







عشرة ايام

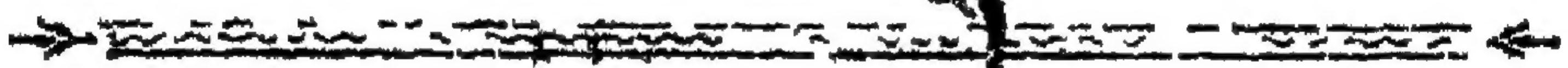
# في السوكان

قام عشرة السكاتب الكبير

(الذكور)

محمد الحبيب بن هاشم

رئيس تحرير جريدة السياسة



بشرها

الياسر انطون الياسر

صاحب

المطبعة الغدير

لصاحبها الطوبى الياسر  
تحت ٥٦٢

(بالفحالة ، شارع الخليج المصري رقم ٦)

(صدوق البريد رقم ٩٥٤ — مصر)



عشرة ايام

# في السوكرات

قلم حصرة الكاتب الكبير

(الذكور)  
محمد الخبير بك

رئيس تحرير حريدة لسياسة

---

عني شره

ليانته امير

صاحب

المطبعة: العصرية

مادة: شريح حبيب - سرت رقم

صحة في حرة - - - - -



أهداء الكتاب

إلى أهالي السودان

شكر وتحيةة

محمد حسين هيكل





## مقدمة

ليس في هذا الكتاب شيء أكثر مما يمكن أن يشتمله عنوانه .  
هو مجموعة ملاحظات ومعلومات جمعتها أثناء رحلتنا القصيرة  
بالسودان وهي قصيرة حقاً لأنها لم تتجاوز عشرة أيام فقد دعنا  
حكومة السودان لحضور حملة افتتاح حراي سار بعد أن تحدد  
موعداها في اليوم الحادي والعشرين من شهر يناير سنة ١٩٢٦ .  
وعادنا القاهرة مساء الثلاثاء ١٢ يناير فلما حلنا في اليوم السادس  
عشر منه ومن هذا اليوم بدأ مقامنا في السودان على نحو ما تحدده  
الاتفاقية الانكليزية المصرية وبعد أن قضينا أربعة أيام بالخرطوم  
عادنا الى سار فمكوار في مساء العشرين من يناير وعدنا اليها في  
صبيحة الثاني والعشرين من ذلك الشهر ثم تركناها الى حلنا في  
الرابع والعشرين وعادنا حلنا وعادنا حدود السودان في منتصف  
الليل العاقل بين الخامس والعشرين والسادس والعشرين من يناير .  
فكان مقامنا بالسودان عشرة أيام على ما ذكرت وعشرة أيام مد  
قصير لا يستطيع الانسان فيه ان يبحث ما يريد بحثه حتى يصل الى  
عور أعماقه ، ولا يستطيع أن يلم المأماً صحيحاً بكل ما يقع تحت نظره  
كما لا يستطيع تحقيق كل ما يصل إلى مسامعه فكيف مع ذلك

تسمح بالوقوف على كثير مما لم يكن للاسان به علم ، كما تسمح بتحقيق كثير مما كان الاسان يتحيله تحيلا وربما كان لصحي متلي حط لا يتاح لغيره بمكسه من الوقوف على كثير من الأشياء والصحي مطور اليه من الناس جميعا على أنه كلمة الناس جميعا ، اليه يدكرون ملاحظاتهم وآراءهم وينتجون شكائاتهم وهمومهم ويدورون آلامهم وآمالهم ثم هم يتساقون في إحاطته الى ما يطلب الوقوف عليه لعلمهم أنه سيديع ذلك للناس جميعا وفي طبيعة الاسان أن يعتقد أن آرائه الخاصة هي خير ما يصلح الناس وحيروا يتم به نظام الحياة ولذلك كان من حطى أن سمعت آراء كثيرين وملاحظاتهم وأن استطعت أن اكون لعسي فكرة مما وقع عليه نظري واتصل به علمي

على أن ذلك ليس وحده هو الذي دفعني الى تدوين هذه الملاحظات والمعلومات التي وقعت عليها أثناء مقامي عشرة أيام بالسودان فلقد سافرت قبل اليوم الى غير السودان من بلاد محاورة لما يعيد أمرها عناية كبرى وفكرت في ان اكتب شيئا عنها ثم ترددت وانتهى بي التردد الى الإحجام وهذه سوريا اقرب لنا من السودان درتها مرتين ، أحدهما سنة ١٩١٤ والأخرى سنة ١٩٢٤ ، وثقت فيها في كل مرة اكثر مما أقت بالسودان ، بل أصعاف ما أقت بالسودان مع ذلك ، ومع عناية المصريين بكل ما يدور في سوريا ، لم أر ما يدفعني الى أن اكتب عنها مثل ما اكتب اليوم عن

السودان . ولعل اكبر السبب في هذا راجع إلى أن لدى المصريين فكرة تكاد تكون صحيحة عن سوريا وأحوالها وما يدور فيها ، وإلى أن السوريين أنفسهم يكتبون عن بلادهم وعن أحوالها ما يريد في الدقة على كل ما يمكن أن يكتبه سائح قصى مدة قصيرة في ربوعهم ثم لعل تمت سناً آخر ذلك أن بين مصر والسودان رابطة طبيعية هي النيل أبو العمة وماح الحياة للبلاد المحيطة بواديه الصيق الحصب المتصل أوله بآخره بآثار التاريخ الحادثة على التاريخ هذه الرابطة الطبيعية المتصلة بها حياة المقيمين على شفاف النهر السعيد تجعل بين أسائه من رابطة الأخوة ما إن عقوه يوماً فلن يرال رابطة تربطهم ويحب أن تنتهي إلى حير ما تنتهي إليه مودة دوى القرني

ثم إن السودان على متاحته لمصر وعلى امتلاء قلوب المصريين باسمه وبتذكره عيد عن أن تكون منه في ادعائهم صورة مصسوطة فهم من يحاله بلاداً حرداء لا تصلح مقام ولا يمكن أن تكون إلا ملى لمن عصت عليه الأمر في ارض مصر ومنهم من يتوهمه مقام همج لا أمل فيه ارواح رراعة أو صاعة أو تحرة وكثيراً . روى عنه الراوون أن أهله أشد الناس عدوة لسعي واعمل . ومنهم لا يريدون من الحياة إلا بلعة تيم الحياة ، فليس بهم إلى مياه النيل من حاجة ، وليس من انقده بينهم باسم بلدية او التعمير سليل ، هذه الأفكار وما إليها من متد تروح في مصر ومنهم كثير فاسد أشد



الفساد وصار بالمصريين أنفسهم ابلع الصرر فليس يد إدن من أن يكون المصريون لأنفسهم عن هذه البلاد صورة صحيحة بعيدة قدر المستطاع عن أن تلونها شهوات الساسة بالوان حداغة تفر أو تستهوى وهذا ما حدا بي الى وضع متاهداتي أمام نظر القراء لعلمهم يحدون فيها ما يمكنهم من تكوين هذه الصورة الصحيحة .

ثم إن مسألة مياه النيل واولوية مصر التاريخية في الانتفاع بها ، وامكان توريعها لتكفي مصر والسودان جميعاً إمكناً فياً ، وما قد يقوم في وجه ذلك من عقبات سياسية ، وما تحي هذه العقبات السياسية على حسن فهم المصريين والسودانيين بعضهم لبعض ، وعلى إحتفاظ كل منهم إراء أحيه بعواطف الاحلاص والمودة - كل ذلك جعلني أوجه خطأ كبيراً من همي ومن عنايتي الى هذه المسألة الخطيرة التي لم تنح في مصر كما لم تنح في السودان من تنوائب الشهوات السياسية ، والتي كانت وما تزال سداً لشر الدعوة التي تنير بين المصريين والسودانيين العداوة والعصاء

وسبب آخر يدعوني لوضع هذه الرسالة ذلك اني بين من دعيتهم حكومة السودان لشهود حملة افتتاح حراة سار كست الكاتب المصري الوحيد الذي قد يعي بدراسة الحال هناك وندكر آراء مستقلة تمام الاستقلال عن أن تنسوها تنوائب الهوى والعرض . فان المصريين الذين دعوا لهذه الحملة كانوا أربعة اسماعيل

سري ناسا وزير الاشتغال وعد الحميد سليمان ناسا مدير السكك الحديد المصرية وهذان دعيا لهما من رأي سابق في مشروعات النيل وعلاقة حاصرة بالخران الذي دعى الناس لحضور حملة افتتاحه . وقيل انهما دعيا بصفتهما العلمية وهما قد ذهبا من قبل الى السودان مرات ولهما في أمره آراء كثيرة منها ما له وزن وقيمة لكن مراكرهما الرسمية حالت وتحول دون نشر شيء من هذه الآراء بل دون نشر ملاحظات من أي نوع كان عن السودان وهما بعد لم يتحدا من الكتابة والأدب وسيلة لايقاف الرأي العام على ما يريدان أن يقف الرأي العام عليه، ولا يريدان طعنا اليوم أن تكون الكتابة مهتهما أما مدوون المقطم الذي دعي هو الآخر لتهود الحملة فقد أقام بالسودان من قبل سبعة عشر سنة وله بأمره امام غير قليل وكان له فيه تاريخ مد دخل فيه وخرج منه ولم يكتب عن السودان شيئا

فكان زاماً بعد ذلك كله أن أحصع البيت من الاسباب التي دفعتني لكتابة هذه الرسالة

\*\*\*

ربما كان المرادي بهذه الصفة يجعل ممكناً تسرب الخطأ الى ملاحظاتي وأفكاري ولؤن الذين دعوا من كتبت المصريين، صحفيين وغير صحفيين، كانوا أكثر عدداً كانت ملاحظاتهم لا ريب

أكثر وأدق . ومثل هذه الملاحظة أنداها المسيو السدري الذي  
قام بحاب كبير من مشروعات الري على النيل ، سواء في حرا  
اسوان ، أو فيما أقيم الى اليوم عند حل الاولياء ، وفي حرا سار نسه ،  
والذي دعي هذه الصفة لحصور حملة افتتاح هذا الحرا الآحير  
فقد تحدثت اليه ونحن في الطريق ما بين حلما والخرطوم فدهتس حين  
علم اني أمتل الصحف المصرية العربية كلها وكان مرجع دهتته  
أن حكومة السودان كالحكومة المصرية يعيها أن يقف الناس على  
حقيقة ما لمشروعات السودان من أثر على ثروة مصر وعلى ثروة  
السودان جميعاً ولا يكون ذلك بما تديعه أي الحكومتين من نترات  
يسهل طعن حصوم الحكومتين عليها وانتقادهم إياها نقداً قد لا يتفق  
مع الواقع في شيء ، وقد يسهل تصيده لمن رأى السودان نفسه وإما  
يقف الناس على الحقيقة مما يشتره الذين يرون هذه المشروعات رأي  
العين وتتأح لهم فرصة سؤال ذوي الشأن ومن باتسروا العمل عن  
أثر هذه المشروعات وما يمكن أن يسحم عنها من صرر لمصر وعن  
وسائل اتقاء هذا الصرر

وكما تعدد الذين يرون هذه المشروعات ويرون السودان كله  
ويدور رأيهم فيما وقع تحت ابطارهم استطاع الجمهور أن يقف على  
الحقيقة بعيدة عن كل تريين أو ترييف

على أن اهرادي هذه الصفة جعلني اشعر بتقل حمل الواجب  
الملقى على عاتقي فسعيت بكل ما لدي من جهد لأرى ولأسمع  
ولأحقق ولأصل الى المسكرة التي اقتنع بصحتها في كل مسألة اتعرض  
لها ولذلك لم أقف من ملاحظاتي عندما جمعت في عشرة الأيام التي  
أهنت بالسودان بل حاولت لا محص هذه الملاحظات بماقتة من  
دهوا الى السودان ومن أقاموا فيه من المصريين ومن غير المصريين .  
وكل عاتبي من هذا التمهيد أن يكون القليل الذي اعرضه في هذه  
الرسالة أمام نظر القراء أقرب ما يكون للواقع وللحقيقة

ويجب أن أسه القاريء الى أي توحيت عية الصراحة فيما  
سيقراً لم ارفع ما قد يرعاه مستعمل بالسياسة متلى من المحاملات ولم  
اسع لتقليق إسان أو جماعة ولم أتقيد برأي سياسي أو غير سياسي .  
وإنما سلكت هذه السيل لاعتقادي بأن الموارد كثيراً ما يتساقط  
عنها الخطأ وإذا أخطأ الناس في تصور شيء لا وسيلة عندهم الى  
تحقيق رأيهم فيه لنعده عنهم عند السودان عن مصر كان عسيراً  
بعد ذلك أن يتغير رأيهم ثم كانت الخطوة التي يسرون عليها مترتبة  
على هذا الخطأ داعية التورط في صلال لا يتساقط عنه إلا فساد في  
السياسة واضطراب في النظام

وقد رأيت أن أصع فيه بعض الحرائط ورسوم واصور لأن  
كثيراً من المواقع التي ورد ذكرها في رسالة ليس ثم يتتبع التلاميذ



والطلاب ولا مما يرصد على الحرائط المتداولة، كما أن الصور قد تفسر  
ما لا تستطيع الكتابة تفسيره

وكل ما أرحو التوفيق إليه أن أوقف القراء عامة وبي وطي  
المصريين خاصة على شيء من صورة هذا السودان الذي يتشارك في  
الآمال والأمانى لأنه وإيانا يعيش على صفاق النهر العظيم المحسن ،  
وأن أوضح أموراً عشت عليها الأهواء ، وأن أدل قومي على مبرلتهم  
من السودان ومبرلة السودان منهم ، وما يحب أن يكون بين المصريين  
والسودانيين من صلة وعلاقة فان وفقت الى ما اليه قصدت فذلك  
خير ما اتعي وإن اخطائي التوفيق فقد قمت بمجهود شعرت واحاً  
على أن أقوم به وفي اداء الواجب لداته عطة للنفس كبيرة



## - من مصر الى الخرطوم -

يعرف اكثر القراء الطريق من القاهرة الى الاقصر هي  
ككل سكك حديد الحكومة المصرية<sup>(١)</sup> وقد قطعها ليلاً ثم  
انتقلنا الى الخط ما بين الأقصر والتلال وما يزال هذا الخط صيقاً  
وعرثاته على صورة غير صورة عربات سائر سكة حديد الحكومة  
المصرية وفيها من أوجه التشبه بعربات سكة حديد الدلتا أن  
عربات الدرجة الواحدة لا تتشابه فيها احداها في نظام كظام  
العربات العادية في سكة حديد الحكومة اذا أخرى فيها كسات  
طولية والى جانب الكسات كراسي من القش ، وبين عص هذه  
الكراسي والعص الآخر ماصد أعدت للكتابة أو للعب الورق  
أو لتناول الطعام عليها واحسبها تستعمل لهذه الغاية الأخيرة أكثر  
مما تستعمل لأية غاية أخرى فأكثر المسافرين بين الاقصر والتلال  
يأخذون طعامهم معهم وان كان بالقطار عربة أكل تابعة للشركة  
لدولية فيها مثل طعام سائر عربات الشركة

ولعل الخط ما بين الاقصر والتلال يمر خطوط سكة حديد  
الحكومة وفساده لا يتفعد سوء عرثاته بل هو يتسبب حوث

---

(١) خط طريق مصر ولاقصر وصعاً في كسات (في اوت - العراق )

المسافر عليه من العار ما لا متيل له في أي حط آخر ، ولا في حط مصر المصورة عن طريق بليس وهو لذلك غير محتمل في الصيف بحال روى لنا أحد الذين كانوا على اتصال عن يعملون في بناء حرايا اسوان ان بعض المسافرين في عربات الدرجة الثالثة على هذا الخط اتناء الصيف لم يطبقوا الحر والعار معاً فاحتقوا وماتوا ولقد فكرت ادارة السكة الحديد في مد الخط الواسع من الاقصر الى التلال فلعله بعد الفراع منه وافتاحه في أوائل عام ١٩٢٧ يقدر أرواح اولئك المسافرين بالدرجة الثالثة من الهلاك ويجعل المسافرين في الدرجتين الاولى والثانية اكثر راحة وطمانية

\*\*\*

قام القطار الذي أقلنا من الاقصر في الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والاربعين من صباح الاربعاء ١٣ يناير سنة ١٩٢٦ ولم يكن من المصريين المسافرين فيه قاصدين السودان غير عدد قليل من موطني حكومة السودان أما الذين ذهبوا لحضور حملة افتتاح حرايا مكوار فكانوا حصرة صاحب السعادة عبد الحميد باشا سليمان ومدوب المقطم وأنا باليابة عن الصحافة المصرية العربية ولم يلب أحد عن الصحف التي تصدر في مصر باللغة الفرنسية . أما الصحف التي تصدر باللغة الانكليزية فباب عنها مدوب عن الاحشيان عارت وآخر عن الاحشيان ميل وكان معاً من الانكليز كذلك مراسل

التيمن ومدوب عن الافريكان وورلد كلف بأحد الصور ومعه بعض  
مساعديه وسبقا مراسل روتر بالاسكندرية نائبا عن صحف لندن .  
أما غير الصحفيين من الانكليز فكتير ، سافر بعضهم مع روحاتهم  
وسافر الآخرون وحدهم ولم يسافر من حسيات غير الحسية  
الانكليزية — من غير الموطعين بحكومة السودان — إلا ثلاثة  
أشخاص لهم علاقة ببناء حراا مكوار



يقع الطريق بين الاقصر واسوان في مصيق بين سلسلتي تلال  
ليبيا والعرب ، ويسير القطار شرق النيل في سفع سلسلة تلال العرب  
وتفصله عن سلسلة ليبيا في بعض الأماكن مرااع صئلة تتسع أو  
تضيق على ما تريد التلال المحيطة بها ويعد النيل عن القطار  
أحيانا فيجعل المرااع بينهما وقل أن ترى المرااع بين القطار وتلال  
العرب ويصل الصيق بالمرااع في بعض المواقع حتى تتشعب بالسلسلتين  
في اقترانهما وليس بين احدهما وبين الهر إلا دهليز صيق محصر  
بالعلال تارات ، أحرد لا ررع فيه أخرى فادا كانت اسأ رأيت  
تساطا غير الذي رأيت ، وأحاط بالقطار من الاهالي ناعة السلال  
المصووعة من الخوص وأطفال يتحرون هاكة البرتقال واليوسف  
افدي

فادا بلغت كوم موريت حصا وماء لم يكن لك مد الاقصر



بها عهد وقد يدهتك اكر الدهشة كيف تترك آلاف الأقدية  
مما يحيط بالليل إله الحصب حرداء لا ررع فيها ولا نماء اذا أمكن أن  
تنتح هذه الأراضي مثل ما تنتح أراضي ككوم امو ولم لا تعي  
الحكومة المصرية تشجيع الاهالي على استعمال هذه الأراضي بدل  
تركها عامرة يرصى المقيمون عليها بما يتلعون به من شعير وما يرد اليهم  
من دويهم القائمين بالخدمة في المدن من أوراق

تعود الأرض عامرة بعد كوم امو الى اسوان فاذا بلغها القطار  
عادره كثيرون من الاحاب الدين قصدوا الى هذا المستى الديع، وهم  
بين شيوخ حاء يرحو في أشعة الشمس المحسنة بعض معاني الصبا  
والشباب، وعليل يمتي في ما كك الأرض يتعي الصحة، وحساء  
تصح هذا الشيخ أو ذلك العليل يعريه حسنها ورقتها عن متييه  
أو علتها، وترى هي في اداء الواجب لهذا العرير شفه السقام شيئاً من  
رضاء النفس يعوصها عن المدن ومهحتها، وترى في هذه الشمس  
الساطعة والطبيعة القليلة التعير ما يسيها تلب القلوب وأكاديب  
الآلس وظلمات النفوس التي طالما حذعتها باللعط المعسول والى  
حلب هؤلاء الفارين من المدن وأعراصها وآلامها ولؤمها قوم اتسعت  
ثروتهم عن أن يؤدي ركن صيق من الأرض طلبات أهوائهم  
وتهواتهم فحلوا من السياحة والتحوال وسيلة لتريص النفس وعراء  
من هموم الإقامة

ثم يقطع القطار ما بين اسوان والتلال ليلعبه في منتصف الساعة الخامسة من المساء ، وهو في هذا السيل يعود أدراجه رماً ثم يطلق الى التلال يقد صحوراً وصحوراً من الحجر ومن الخرايت تحت منه مسلات الفراعة الأقدمين وتماثيلهم وأقيمت منه معابدهم وآثارهم ، وهو ما يرال الى اليوم تحت منه التماثيل وتتحد منه القواعد لولا أن أصبح من الفراعة أثراً من آثارهم

على أن هذه الأحجار التي تنهدت لمصر محداً كما تشهد لها اليوم همّاً ستبقى ليكون منها لمحد المستقل نصب و تماثيل تحدد على ارض ما حلت نصب الفراعة و تماثيلهم

بين هذه الصحور مطار للطائرات البريطانية كان فيه طيرتو عادرته قبل وصولنا وعليها قصدة إلى حلفاء في تطار مدوب بريطانيا السامي الذي يقوم مقام الحكومة البريطانية في حملة افترح حراي سار

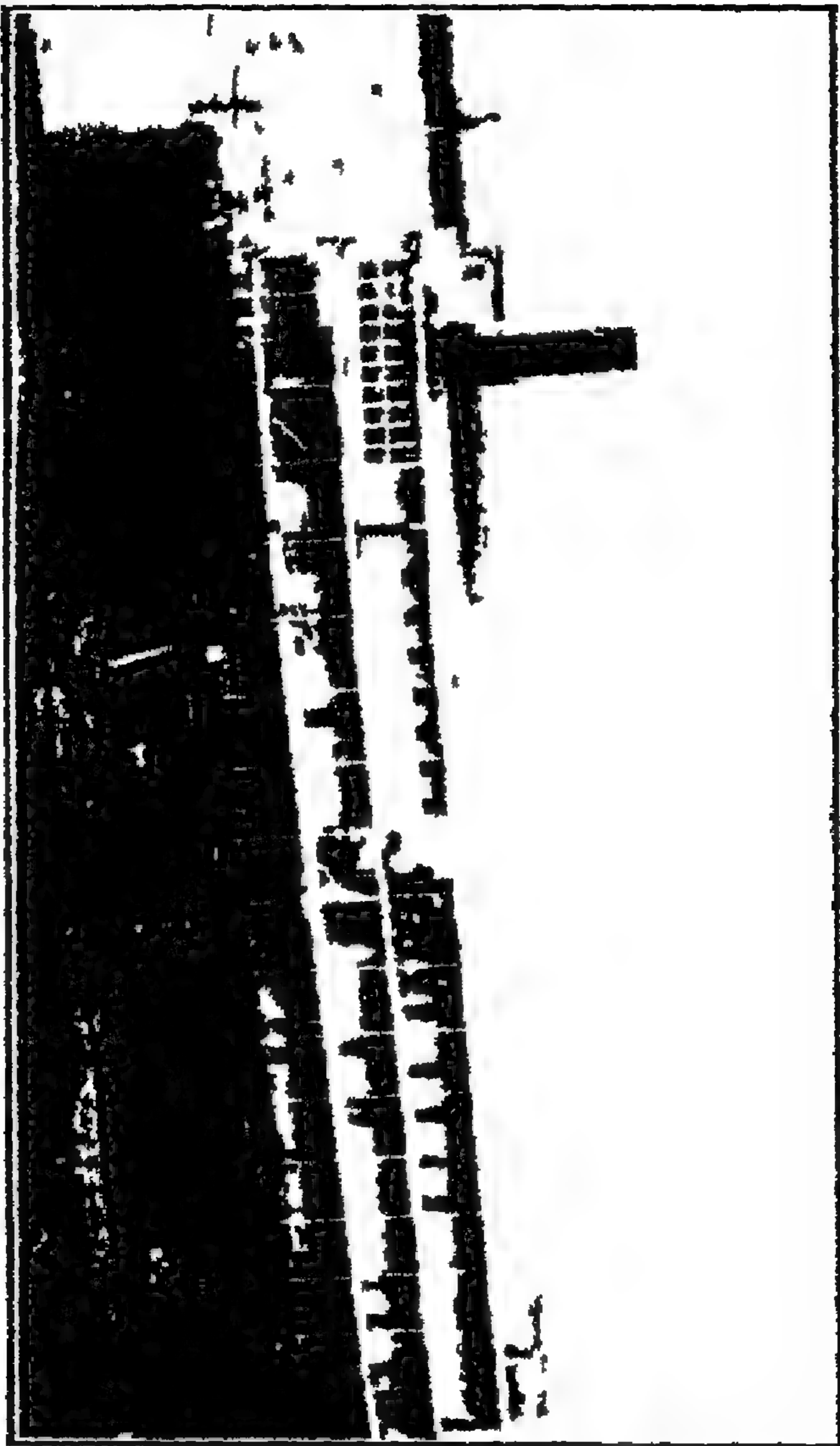
وبين هذه الصحور تحت الحكومة المصرية عن حير مكر لاقامة معسكر للحدود المصرية بعد أن حانت من السودان قبل يمكن أن يكون هذا المعسكر واسطة اتصال بين مصر واسودب يعسكر فيه جيش واحد من البلدين ويتنقل منه الى مصر و إلى السودان على ما ترى حكومة الانلايين ، على ذلك يكون قريباً

ويبدأ القطار يسير الهويا يحيط به الليل وقد اتسع مداه بعد ما  
ححر حرا ن اسوان مياهه ، ويطل كذلك بصع دقائق ينتهي بها  
الى محطة التلال حيث تنتظره الناحرة « برىطانيا » التي أعدت  
لتنقلنا ونقل المسافرين معنا إلى حلما ( انظر صورتها في الصفحة المقابلة )



الناحرة برىطانيا ناخرة بيلية بصاء طريمة في مطهرها ومحرها .  
وهي من نواحر حكومة السودان وكل النواحر التي تنقل الركاب بين  
اسوان وحلما عدا نواحر كوك وبعض الشركات الانكليزية الأخرى  
تابعة لحكومة السودان ولذلك كانت حكومة السودان هي التي  
تنقضى احوار الركاب وتقوم بنقل البريد والصائع وكانت الطوائع التي  
تناع على نواحرها من طوائع حكومة السودان بل أن بين اسوان  
وحلما بعض آثار كوادي السوع وآماد أو حماد وأنوسيل وحكومة  
السودان هي التي تنقضى رسوم الدحول الى هذه الآثار . هذا كله  
مع أن ما بين اسوان وحلما هو مركز الدر أحد مراكز مديرية  
اسوان وداحل في الحدود المصرية وليس من المسافة التي تقطعها  
نواحر حكومة السودان إلا بصع كيلومترات لا تزيد على العشرين  
واقعة بحري حلما هي المعتبرة عند حكومة السودان نفسها داحل  
حكومة السودان

وما أشبه سير نواحر حكومة السودان في مياه مركز الدر سير



الناحية رمانيا



سكة حديد فلسطين في شبه حرية سينا والسودان كـفلسطين واقع تحت النفوذ بل تحت الحكم الانكليزي والسياسة الانكليزية ترى - وقد يكون لها الحق في رأيها هذا - أن كل أرض أهلها صاحبها أو أظهر عدم العناية بها والرعى عنها يجب أن يقوم على استغلالها من يعرف وسائل هذا الاستغلال وسكة حديد فلسطين تستغل شبه حرية سينا ونواحر حكومة السودان تستغل مركز الدر فلتتبع سينا فلسطين ولتتبع الدر السودان ولتقف حدود مصر عند قناة السويس شرقاً وعند شلال اسوان جنوباً ومن يدري إذا كانت السياسة البريطانية لا ترمي الى هذه العناية!

على أن الاحتياط لذلك سير فليس ما يبع الحكومة المصرية من أن تسير نواحر بين اسوان وحلما كما تفعل حكومة السودان وكما تفعل الشركات المرحص لها من الحكومة المصرية وما تقوم به ادارة سكة الحديد المصرية في الوقت الحاضر من توسيع الخط بين الأقصر واسوان وما يرحى بعد هذا التوسيع والسعي لراحة الركاب والسائحين من زيادة السياحة الى جهات مركز الدر يجعل تسير هذه النواحر السيلية المصرية واحداً لا يصح التهاون فيه ، فان قليلاً من العناية باستغلال هذا المركز وزيادة موارده وتحسينه يجعله مورداً اقتصادياً لأهله ومنصر من خير الموارد ذلك بأن مركز الدر في إطار من لا يرى إلا الوقت الحاضر ، مركز فقير عاية الفقر ، تحدر

حال السلسلتين عنده في الهر مباشرة ومن وراء الخصال صحاري  
غير ذات روع لكن مركز الدر هو حران اسواب وهو فوق  
هذا حصن يدعى يفصل بين ما يقع شماله وما يقع جنوبه وهو لذلك  
من خير مراكر مصر ويحب أن يكون من أعرجها عليها ويحيل إلى  
أن من غير المستحيل استغلاله على صورة تحمل الحياة فيه أكثر  
رعداً وبعمة

وهو بعد مستق لا متيل له وأنت كلما المحدث إلى ناحية  
الجنوب منه وجدت حواً أصبح من نواحي الشمال فيه ووجدت سماء  
صفواً تلمع بحومها فتصبيء في الليالي التي لا قمر فيها حتي لتحسبها  
مصاييح السكراء تددت إلى السماء محيوط من نور الأمل الساحر .  
وهي شديدة الريق تمت إلى طلعة الليل العوس ما يريال عوسها  
ويجعل سكينتها تملأ أفئدة المحدثين بالحلم اللامع بمعاني الطرب  
والحدل أما الخصال المحيطة بالهر فهي وان كانت أغلب ثمرها  
حرداء إلا أنها في تحردها اسمة أداً وكأنها تنبهت وراءها من  
مخلفات الماضي المحيد آثار امراة راد لندم وانلى صمتها معنى  
يحدثك أنت ان اليوم بما كان لحصارة العصور القدية من آثري  
الهر تخر أمامها آثار الحصارة الحاصرة ساحدة ، وبقايا من آثار  
الرومان الذين عروا الوادي فلم يبق من آثارهم إلا بقايا لا تنطق بمعنى  
ولا تم إلا عن عذر العري وعن سلطه الآتي

وقد يدهتك قيام هذه الآثار المحيطة من محلات الماصي وراء  
حال مركز الدر القفر القليل السات لكن دهشتك ترول إذا  
دكرت أنه كان أكثر ساتاً وماء قل أن تعمر مياه الليل أرضه  
بعد ما قام حراا اسوان فيه، وإذا دكرت إلى حاب هذا أنه كان  
ولس يرال حصاً قوياً يدرع به الملوك دوو الأيد إذا اعار عليهم  
معير أو تار مهم تأثر فحال مركز الدر تتحكم فيما حولها حير تحكم  
تتحكم في الهر وفي السهل وفي الصحراء ثم هي بعد حال من صحر  
صلد لا يرتفع الماء إلى عليائه ولا سيل إلى مسراه من خلاله فلا خوف  
من أن يعير الهر على آثار أعدها أهلها لحياة الخلد ونقاء لا يبلى .  
عرحت بريتايا عد عير واحد من هذه الآثار الخالدة .  
عرحت عد وادي السوع وآماد وابو سسل وعيرها وهي جميعاً  
مظاهر من هذا الفن القديم الخالد على تفاوت في العظمة والقوة وفي  
الدلالة على المحمد والسطوة وابو سسل هو بين آثار مركز الدر  
أكثرها عظمة وقوة ومحداً ووسطوة وناهيك بمعد أقامه رمسيس  
ليكون واحدة من آيات حله وكان رسو السفينة عد أو سسل  
في منتصف الليل فهدت إليه اسلاك الكهرباء ليرى السائح اس اليوم  
تقوش أحداد الاساية الخالدين على صياها اللامع فعد ابو سسل  
يحوي مكسوة ستره عن العيون اللحظة من مهار في بعض أيام السنة .  
تلك لحظة مشرق الشمس عد استواء الفصول في هاته اللحظة

تمتد أَسْعَة اله طيبة والمصريين فتحي ، لحظة بروعها مستصرة على  
حيوش الطلام ، تتال رمسيس الحالد الحاس على عرسته مستصراً على  
حيوش الحياة والعدر . أما فيما سوى هذه اللحظة فيحتي ما يطوي  
عليه المعد وهدرانه في حب العيب وحالاه وناهيك بحلال العيب  
من حجاب وكذلك ظل هذا الأثر حتى امتدت الأيدي الآتمة باسم  
العلم تكتشف القاب عن هذا الحلال بضياء المصباح والكبرياء على  
أما حين كتفت عنه لم تكن أمام عظمته وقوته ومأم سبطانه  
وسطوته أقل سحراً وهراً

وهذا الحلال انطوي في حب العيب تحيط حدران معداني  
سبل وقد وقف أمامه تماثيل أربعة لملك العظام كلب الهمة والحلال

\*\*\*

ثما ودي السوء - وهو ثقب آثار مركز اندر الى اسوان -  
فيقوم فوق هصة غير بعيدة عن امهر يتحطى الداخل اليه دهايراً  
يحيط به آء هور هي السوء اتى ضيق سمى على اودي عبد أهل  
هذه المنطقة من السدح القديين سعادة لطبيعة السدحة وقمت  
داخل المعد وفي سحته تماثيل دكت من عصا رؤوس وتحطمت  
من العص سبتن وتلى ذلك حجر منحوة طلاس متدسة وقد  
رسم على حدرانها من آيات دلك زمن اندر وخعر واتعد  
وما اليها من آهة تلك العصر نحيته





ربة وادي السوع

أما ما سوى هذين من الآثار فأقل منها حالاً وعظمة على  
أهلها ألدّ آثار العصور المحيطة تحدث أحجارها ويحدث الرمل  
المحيط بها بما كان لأهلها من الأثر الباقى من حضارة ومجد،  
ويدعك وانت بين تلك التلال القائمة وسط الصحراء العامرة الخرداء  
عمر النفس بما قال أبـ تدور مخاطرك حين تشهد آثار هذا  
الرمس الحاصر الممتلىء بحضارته وعلمه وفلسفته عروراً

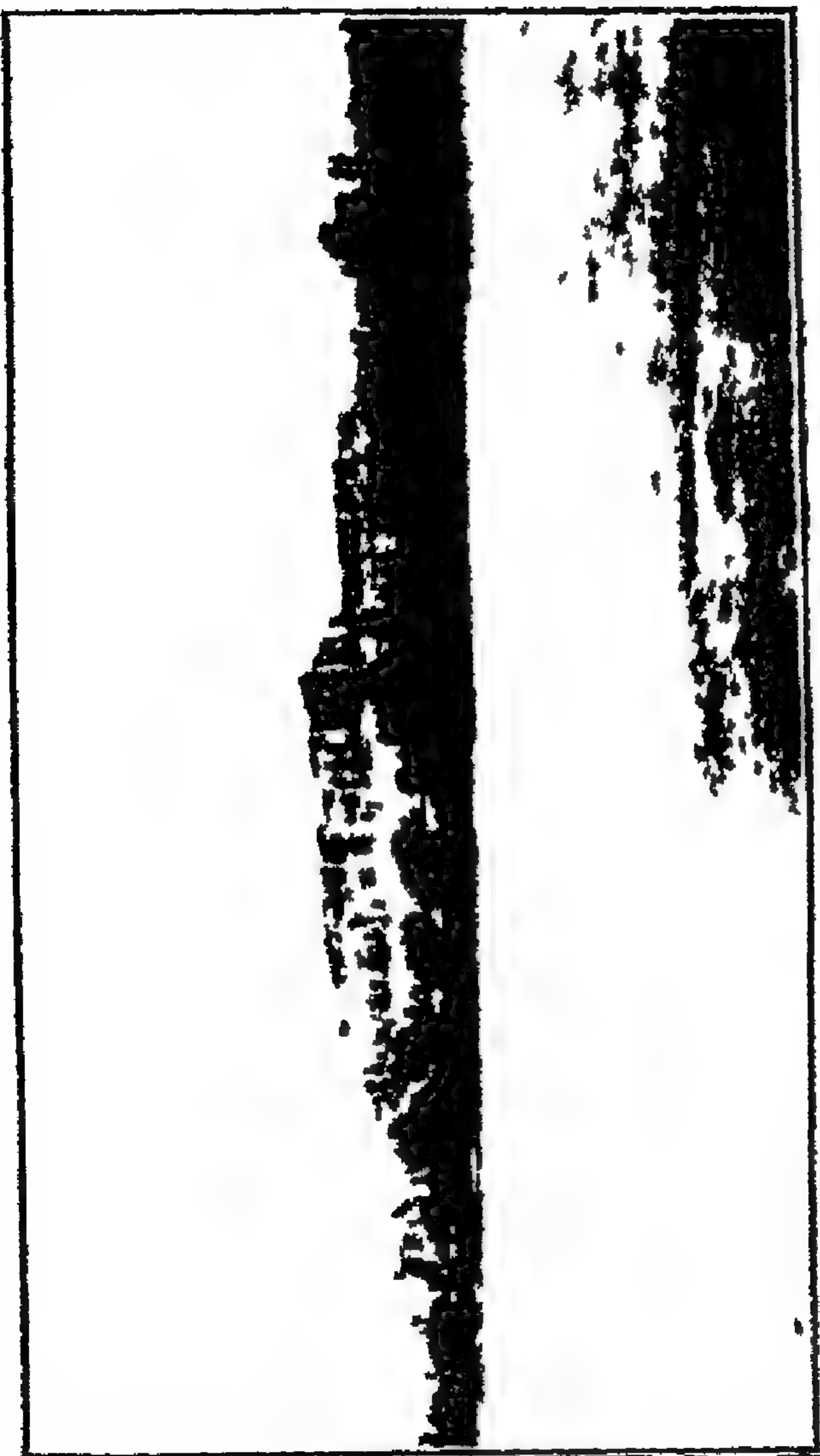
\* \* \*

لو أن السبل يسرت للوصول إلى هذا المستنقح البديع، ثم أقيم فيه  
من وسائل الراحة واللذّة ما يطعم فيه من يرعى في الاستشفاء ومن  
يهر من قارس قر الشتاء حيث الشتاء قارس قارس لأفادت مصر  
من مركز الدر كثيراً ولأود أهل هذا المركز من مصحبي المستنقح  
البديع ما يعيهم من فاقة وما يجعلهم — وهم أهل أمانة ونشاط —  
قوى مستعدة ذات أثر فعال في حياة مصر العامة

\* \* \*

واسات السحرة على هوى تدفعها محركاتها فوق حجة النهر  
الهاديء الصافي وسارت تحيط بها تنواطىء حصراً تارة محدّة طوراً  
ويستملها هواء رقيق متع به أنسافرون فوقها كما متعوا بهذا الجو البديع  
الذي لا يطير له في مستنقح من مستنقح العظماء وهذه الحد الصغيرة

## اللال والإسجار على شواطئ مركز الدر



الحرداء تارة والحصراء أخرى والمحاطة بالرمال الناصعة الاصفرار حياء  
آحر ؛ وبالأآثار المظلة عليا من القمم الصغيرة ترمق أبناء اليوم ترى  
هل بقى في رؤوسهم أو قلوبهم أو افئدتهم أثر من عادة قدس  
الماضي المحيد فترى في عس المصري حياء يرداد أو يقص بتقدير  
عادة السحص وضه أو محرد حرصه على ما يحويه مه من فائدة

\* \* \*

ها نحن أولاء الآن تقترب بنا الناحرة من حلما ، فلم يبق بيسا  
وبين رسو الناحرة عندها الا دقائق وهاتحيط بنا رية الساطئين  
من بحيل وأعتاب وتلال ورمال وهما هودا الماء يسب الى جانب  
القارب على هوب وفي هدأة وسكون والحو رقيق والسما صهو  
والشمس شمس ربيع راه ، وحياة الوحود حصراء ناصرة ثم هذه  
حلما عند مرمى الطر وهما نحن أولاء في سلطان حكومة السودان  
بعد ما طلد في سلطان حكومة مصر الى ساعتين مصتا قبل نحن  
سأكون في بلد حبي ، ثم نحن ثناء الليل ما نزال في وطننا تحكما  
قوابيه كما تحكما طبيعته الخيلة الدانة ،

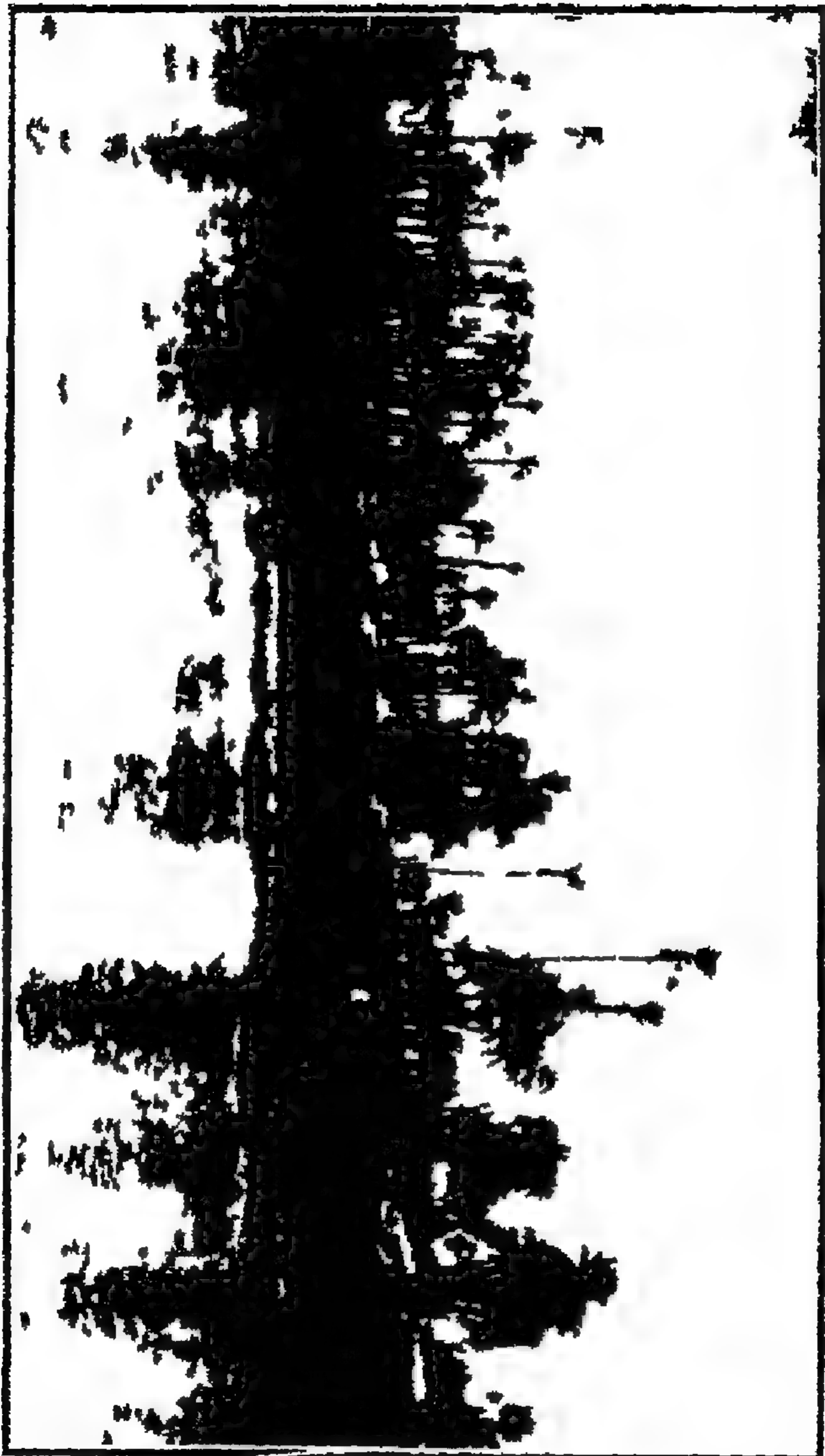
لما اقتربت الناحرة بريتانيا من حنف قل عبيها روص فيه  
موطف أوراق الحوار الى السودان وضيب مسته ن لا تدحل الى  
السودان نوتة من مصر وهما الكايرين وكان أول ما عت  
بعض المسافرين ندين حاو في اسودن قبل ايوه ن هذا روص



كان يرفع في الماضي العلمين المصري والانكليزي ، أما في هذه المرة  
ولم يكن عليه الا العلم الانكليزي وقد أحاب انكليزي كان معاً بأن  
العلم المصري ما يزال يرفع في السودان ، فعدم رفع الرافض للعلم  
المصري لا بد أن يكون سببه صيق المكان المعد لرفع العلمين عن أن  
يتسع إلا لعلم واحد قال رفيق والعلم المقدم هو بالطبع علم صاحب  
النفوذ الفعلي



وردت بريتانيا عدد حلما، واستقبلها جماعة من المصريين الموطمين  
في حكومة السودان بكثير من الدسر والترحاب ودعانا أحدهم فتناولنا  
القهوة في بيته لكن هذا الدسر كان متوتراً شتياً من الاحياط .  
وهذا الاحتياط الذي لم يلحاً اليه المصريون إلا بعد خروج الحيتس  
والموطمين المصريين من السودان آخر عام ١٩٢٤ سنة ما ادخل  
ذلك الى روعهم من حشية أن هم تنسطوا مع المصريين القادمين  
من مصر كما كانوا يتسطون من قبل أن يصيهم ما أصاب  
غيرهم ممن طردوا من السودان طرداً ولعلمهم في احتياطهم على  
حق ، فهم أحوج إلى البقاء منهم الى الطرد ومصر بحاجة الى نقائهم  
حتى تحل مسألة السودان بيساوس الانكليز حل سلم وانهاق  
ودهسا الى القطار الذي يقوم من حلما في الساعة الثانية من بعد  
ظهر يوم الجمعة ليصل الى الخرطوم في الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم



شواطئ السل على مقربة من حلما

الست فاداه قطار أبيض وإذا حطه صيق كخط سكة الحديد ما بين  
الاقصر واسوان . لكك ما تكاد تدحل إلى عرباته وما تكاد  
تستقر في فرعة اليوم المحصصة لك حتى تشعر معى آخر غير شعورك  
حين دحواك قطار الاقصر — اسوان معى الطعام والطاقة والطمأنينة  
والراحة ويدهتك أن عربات اليوم في هذا الخط الصيق أكثر  
رحاً واستهواء من عربات اليوم في مصر ثمعدات الراحة فيها أكثر  
مها في عربات مصر سررها أكثر سعة وعرفها أرحب ، ومها  
مقاعد يجلس عليها الانسان حين لا حاجة به الى اليوم ومها مروحة  
كهربائية ومصدرة صغيرة ودولاب صغير لآباء الماء وما قد تريده من  
لبن أو فاكهة هذا غير وعاء العسيل الطيف اللطيف

تحرك القطار في الساعة الثانية وما كاد حتى دها تناول عداها  
في عرفة الطعام وهي على مثال عرف اليوم في كمال الراحة  
والطمأنينة والطعام فيها متله في الواحر السلية أقرب للطعام الاسكليري  
في أصافه والقائون بالخدمة فيها كالقائمين بالخدمة في الواحر السلية ،  
هم جميعاً من أهل البلاد لا تقع عيك بينهم على أحس يقوم بالرياسة  
عليهم وهم كرمالهم في مصر نظاماً وبطافة وأدناً

ما يكاد القطار يترك حلما ( المعسكر ) حتى يطلق في ( عطمور )  
أبو حمد وهذا العطمور رمال تمتد امام الطرع عن الحاسين حتى تلتقي  
برقة السماء الصافية عد الافق ويتعد الليل عن سكة الحديد في

استدارته الكبرى ما بين حلها وانوحده وتسير سكة الحديد في  
خط مستقيم وسط الرمال مدى يريد على ثلاثمائة كيلو متر. وفي هذا  
العظمور يطلق القطار ماراً بمحطات لا يحيط بها إلا بقاء المحطة وبيت  
الناظر ومساكن العمال وبين كل واحدة وما بعدها ما يريد على  
ثلاثين كيلومتراً وبيت الناظر ومساكن العمال — أو تكلاتهم كما  
يسمونها في السودان — قد بنيت في شكل عجيب فقاعدتها حدران  
مستديرة من الطوب الأحمر ترتفع عن الارض مترين أو تريد قليلاً  
وفوق ذلك قناء على شكل قناء الصيوان حتى لتكاد تحسه صيوافاً  
بالعمل لولا ما تنبيهه عدد اقترابك منه من أنه بقاء عتي بالخير الايص.  
وهو على هذه الصورة اكثر اتقاء لسواي الرمال ولما قد يدر أن  
تقف به الصدفة من الامطار وحول بيت الناظر ومساكن العمال  
رمال العظمور فهم بذلك في وحدة دوما وحدة الناسك في صومعته.  
وغيرهم قطار حلها والخرطوم أربع مرات في الاسبوع دهافاً وحيثه  
فيحمل اليهم أوراقهم

ولما لم يكن حولهم من مظاهر حياة الانسان ما يدر لهذه الاماكن  
أسماء تذكر محادث وقع فيها أو برحل أسس أول عائلة عمرتها أو بما  
يسوى ذلك مما يبقى تاريخاً لمظهر من مظاهر الحياة الانسانية فليست  
لهذه المحطات اسماء تتصل بهذا التاريخ ولذلك اعتبرت عمراً تسداً  
عند حلها ثمرة واحدة، وتنتهي قبل في حمد ثمرة عشرة وعدة ثمرة ٦



يقف القطار طويلاً لتعديل القاطرة وللاتصال بمحرم للذهب في أم  
ساردي تقوم شركة انكليزية باستغلالها

لا وسيلة لقطع الوقت وهذا التناهي يحيط بك إلا أن تقرأ أو  
تتحدث الى من معك من المسافرين ، واكثر المسافرين معاً من  
الانكليز وهم على رقبهم وطرفهم اكثر اتصالاً فيما بينهم منهم  
غيرهم ، على اني قصيت ما بعد العشاء الى منتصف الليل في حديث  
طويل مع المسيو السديري الذي قام على نحو ما سبق القول بأكثر  
أعمال حرا مكواري كما قام من قبل بمحط كبير من أعمال حرا اسوان  
بقيت أتحدث والمسيو السديري حتى قاربنا منتصف الليل .  
وكان القطار يدسب سارياً في ظلمة الليل الداحي راده ظلمة ما يحيط  
بنا من أنوار الكهرباء التي تحجب عما قد يكون من التمايع السحوم  
في السماء وسألنا الخادم عن الوقت الذي يصل فيه القطار الى  
العطرة فادا هو يصلها في الساعة الساعة صباحاً حينذاك قمنا الى  
محادما يهربا القطار حياً فيطير اليوم من أعيننا ويعلب اليوم علينا  
حياً فلا نحس باهترار القطار ثم اسعنت من خلال البواقد تباشير  
الصياء وحاء الخادم شاي الصباح وما كدنا نخرج من تناوله ومن  
لس تيانا حتى كان القطار قد بلغ العطرة ليقف فيها ساعة كاملة  
عد العطرة تلتقي سكة حديد (حلفا - الخرطوم) سكة حديد  
(بور سودا - كسلا) وفيها حركة كبيرة لسكة حديد حكومة السودان .

بها ورشة للواورات كاملة النظام وبها كذلك عدد عظيم من  
الموظفين المصريين بل لعل أكثر عدد من الموظفين المصريين  
بالسودان هم المقيمون بالعطبرة لقيام جماعة منهم على رصيف المحطة  
برغم هذه الساعة المكرة من الصباح فرأينا منهم هذا الشر الذي  
رأيناه من مصريي حلما، ومنهم علماء أن المدارس الموحدة بالسلك  
لا تقوم إلا لتؤن التعليم الأولي، وإن خير مدرسة فيها تابعة  
للأمريكان حيث يتعلم الطفل إلى أن يلعب ما يقابل السنة الثالثة  
الابتدائية في مصر ثم يرسل أهله به إلى مصر ليم التعليم فيها

أما أهالي البلاد فما تزال الحكومة تكتفي بتعليم بعضهم التعليم  
الأولي البسيط ليتخرجوا بعد ذلك وليقوموا ببعض الأعمال الكتابية  
وبعض أعمال فيسة أخرى كالتلغراف وبعض أعمال سكة الحديد  
ومحوها

وأكثر موظف مصري في العطبرة يتقاضى مرتباً ستة وثلاثين  
حيثاً وهو وحده الذي يتقاضى هذا المرتب أما من يسه في الدرجة  
فيتقاضى ستة وعشرين حيثاً ويلي هؤلاء من ذويهم في الدرجة من  
الموظفين

وقام القطار من العطبرة إلى الدامر وحتر بهر العطبرة على  
حسر (كاري) متين حسن الشكل وبهر العطبرة صغير كان مؤه

حين مررنا به عائصاً ومن بعده وقف بنا القطار في الدامر عاصمة بربر  
في هذه المنطقة وما بعدها تبدأ زراعة القطن على المطر لكثافتها  
هنا ليست متسعة البطاق وأب كانت تؤذن بزيادة مطرد ومن  
هذه المنطقة يسير القطار الى الخرطوم قريباً من الهر تارة ، بعيداً  
عنه طوراً ، محترقاً صحراء حافة حياً وهي أقرب الأشياء شهياً  
بالعظمور ، ماراً بين أشجار متكاثرة أخرى ، محادياً بعض المزارع  
ثالثة وفي هذه المزارع ترى القطن وعير القطن من أنواع الزراعة  
وترى الدوم والسق وعيرهما من الشجر



لنا في القطار بين حلما والدامر أكثر من ثماني عشرة ساعة  
وما يزال يسا وبين الخرطوم ساعات ثمان ومثل هذه السياحة  
الطويلة في سكة الحديد تعيد الى الدهن سياحات طويلة متلها أو  
أطول منها في أوروبا لكن بين هذه السياحة الافريقية والسياحات  
الاوربية فرقاً كبيراً فأكتر السياحات في أوروبا تمر بك بين حال  
رفيعة وسط حو سريع التقلب وطبيعة لا يحول عوس الحودون  
انتسامها وأكتر السياحات في أوروبا تحترق سويسرا أو عانة المانيا  
لسوداء فتريك سفوحاً باصرة يفوح منها شدا العطر ويبدو للماطر  
اليها حال ازهر وهي بعد طبيعة لم تترك للطبيعة بل تشارك الاسان  
الطبعة في ريتها وفي جمالها فرادها رية وجمالاً أما هذه السياحة

الأفريقية الطويلة فتحترق بك الصحاري لا حد لها ولا نهاية  
وتتسرك بالوحدة المطلقة وسط الفضاء الصامت لا تسمع فيه  
هسيساً ولا ترى فيه طيراً ولا حيواناً ولا يست في أكثره نبات ولا  
شجر وما انت السات والتحر فيستهما وفي كل قطوب الصحراء  
وعوس الحال لا يفل من عرهما إلا حال الطبيعة الدائمة الصحو .  
افتراناً وقد تحطيا العطارة والدامر وأصبحا يقف با القطار أو يمر  
على محطات دات أسماء ودات تاريخ ويحيط با الوقت بعد الوقت  
شيء من التحر قد صرنا الى مطر دي مهجة يعوص ما مصى من  
عوس وقطوب ؟

كان لنا في ذلك أمل لكه سرعان ما تندد وبقى لنا مه  
سراب هو هذه المراة القليلة من القطر وهذه العانات ترعى فيها  
الأبل ويحد فيها الدو لأعماهم وماعرهم وأقارهم مرتعاً على أن  
لهذا السراب مهجة ومن تلك المهجة أهل هذه المدن المستوحشة .  
فهؤلاء هم يقترون من التطار كلاً آوى الى إحدى المحطات ويد  
امرأة لس رائب تبعه ويد علام عيش يعرضه من به جوع ونعلك  
غير مستطيع وان وصفت لك هذا العيش أن تتصور ما هو فرعيه  
صغير الخحم مستفح لا تدري أهو من درة أم من شعير وعير المس  
ارائب وعير العيس يتحرر عص هؤلاء السود من احوالها في سلال  
وأسنان صغت صغاً ضريباً من قش مور وهذه هي المصاعة التي



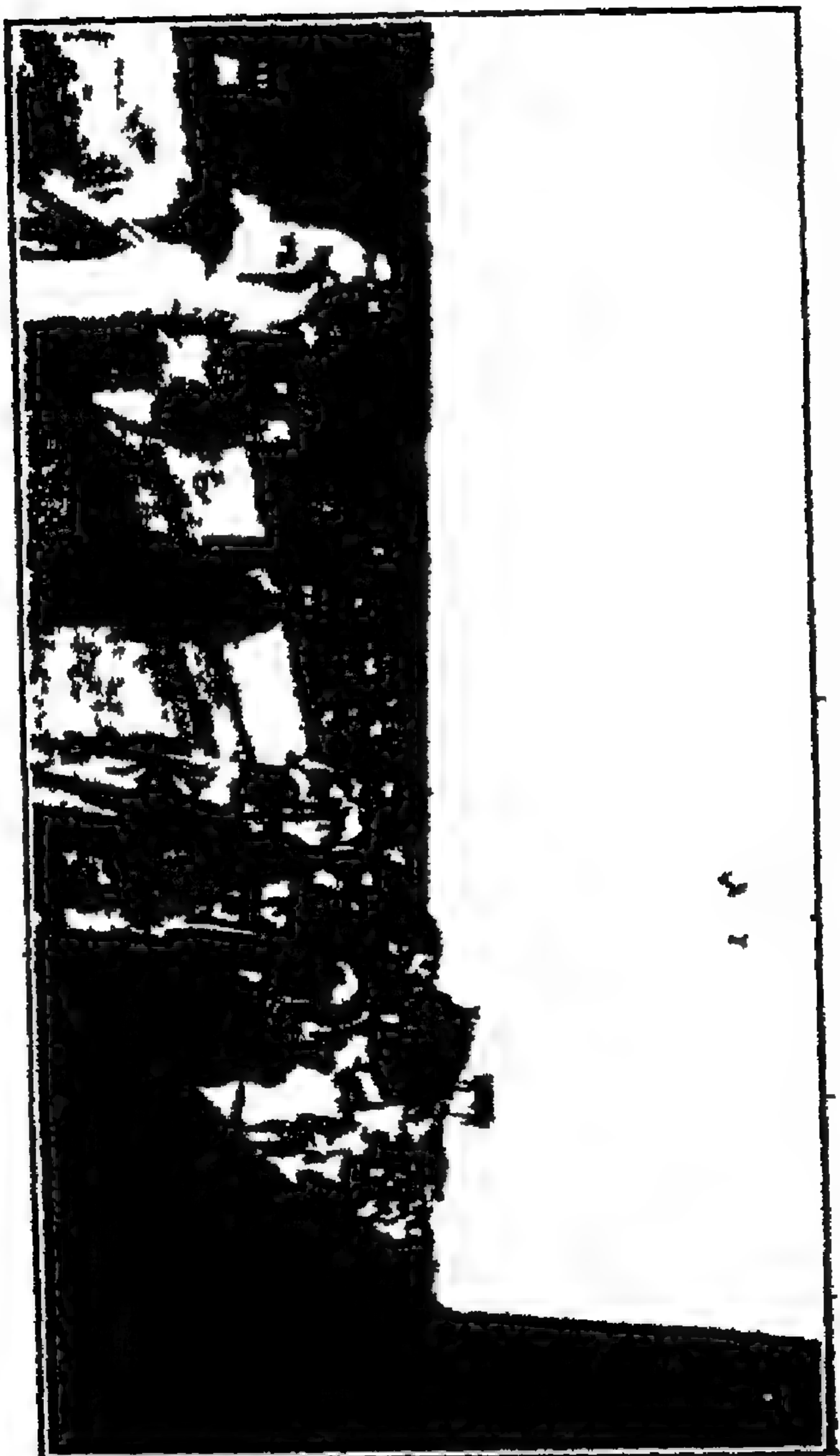
يقل عليها بعض السائحين وتجد لديهم سوقاً رائحة أما اللين وأما العيش فلا عيش لهما الا بين المسافرين من أهل البلاد

\*\*\*

وهؤلاء السكان من طبقة العمال في السودان ليسوا جميعاً أصليين فيه بل بعضهم سكتاوية أتوا من سكتو وآخرون فلاتة جاءوا من البحر في طريقهم الى الحج فوقفوا في السودان يتبعون ما يقيتهم في هذه الرحلة الطويلة التي تكلمهم أحياناً سين تناعاً يقومون بها عن قلب طيب وهم راضية راحين أن يعمر الله لهم بعد اداء فريضتهم المقدسة ما تقدم من دينهم وما تأخر ومن هؤلاء الفلاتة عدد عظيم يقوم برراعة القطن وحيه في أراضي الحرية وعلى عملهم تعتمد حكومة السودان الى حد عظيم

\*\*\*

الدامر عاصمة مديرية بربر والعطن الذي يررع في مديرية بربر وفي غيرها من مديريات شمال السودان يروي من مياه النيل الرئيسي وطرائق ريه تختلف فما كان من رراعة الأهالي فترويه السواقي . وما كان من رراعات الشركات فترويه الآلات وقد ذكر لي بعضهم أن المساحات التي تررع قطعاً في شمال السودان — أي فيما قل الخرطوم — ليست كثيرة وليست بذات خطر فهي لا تزيد على ثلاثين ألف فدان وقد اتفق بين الحكومة المصرية وحكومة



سودانيون يحاربون التطارات في إحدى المظاهرات

السودان — أو بالأحرى والحكومة الانكليزية — على ري هذه المقدار بعد ما حراا اسوان وتعليته وحكومة السودان ترسل للحكومة المصرية في كل عام ورقة تسجل فيها أنها لم تررع رراعة صيفية الا هذه الثلاثين ألف فدان وتعتبر الحكومة المصرية هذه الورقة كافية فلا تحتاج الى مراقبة هذه المقادير بطريقة من طرق المراقبة تقوم هي بها من تلقاء نفسها أو تتفق عليها مع الحكومة البريطانية . والقطن الذي يررع في هذه المناطق كالقطن الذي يررع في الحرية يسلم الى الحكومة لتتولى بيعه بالطريقة التي تراها وقد رأت بيعه بالمراد في هذا العام وبعد البيع تحاسب الاهالي على أنها مع ذلك قد صرحت لبعض رؤساء القائل دوى اليهود بأن يتولوا هم بيع أقطانهم بأنفسهم وقد ذكر لي مصري من احوال اليهود له متحر واسع للاقطان في لهر نول أنه هو الذي يشتري أقطان هؤلاء المتسايح في كل عام كما يشتري قطن الحكومة وان المتسايح الذين سمحت لهم الحكومة بهذه الميزة لا يلعون العشرة عدأ

وتسعى حكومة السودان ليكون مستقل القطن فيه دا شأن عظيم فقد روى هذا التاجر أن الاقطان المصرية لم تكن وافية لمحااجة المعارل في العام الماضي فقصدت لحة النورصة في لهر نول بامكان تسليم القطن السوداني مقابل كسراتات المصري ومعنى هذا ان اللحة لم تحد من الفرق بين القطبين ما يحول دون تنافسهما في سوق المصاعة

وليست تقف رراعة القطر عند مديرية بربر بل تتعدها الى المديرية التي بعدها حتى الخرطوم ، وان كانت الأراضي التي تررع قطعاً ما تزال قليلة وهذه القلة هي التي تحمل اهالي تلك المناطق ما يرالون بعيدين عن معاني الحضارة مسسكين بتقاليد البدو الصحيحة ، على ان ما يحده بعضهم من الرمح في رراعة الارص يحدث هذا العص للاستقرار واستغلال الأراضي

وهذه حلة لم تنتشر عند انتشاراً كبيراً بل ما يرال ميراث الماضي كير الاثري أهالي السودان وأهالي السودان كانوا الى وقت قريب يأهون العمل وقيمون على حياة النادية بكل معانيها . فما دام في دار الواحد منهم بعض الدرة او التعبير عد نفسه عياً وأف العمل ولم يأت أن يحود وأن يكرم ولا يبرله عن اسمه العمل إلا الحوج الذي يلازم الحضارة والحضارة حيت حلت الحاجة الى العمل ومن أف العمل فقد حل عليه الحوج

انطلق القطار بنا الى تسدي ومررنا بعد ذلك ماشالات اثلاثة وصره تقترب رويداً رويداً من الخرطوم بحري فلما بلغها قامت معسكرات كانت معسكرات الجيش المصري حتي العام الماضي ، وقد أصبحت اليوم معسكرات لقوة الدفاع عن السودان وهذه المعسكرات واقعة على صفاف النيل الاررق الى الحصنة الشمالية وتمتد الى بعد منه غير قليل . عن يمين الداخل الى محطة خرطوم بحري متسع كبير عند



كورتية للحيوانات المسافرة الى مصر تبقى فيه الرمن الكافي لليقين  
مأن ليس فيها ما يحمل الى مصر وناء أو صراً ، وتنتقل منها مباشرة  
الى القطار الذي يقلها الى حلما فالسعين الذي يقلها الى السلال  
والى حاب هذه الكورتية مكان أعدته حكومة السودان  
لتربية الحيوانات . ولحكومة السودان فيما قيل لي عناية كبيرة بهذه  
التربية حتى لا تحتاج الى شراء حيل للحيتس ولا تستعين من حيوانات  
الخارج إلا بالدرر القليل مما تحتاج اليه لاصلاح الساج

\* \* \*

يساب السيل الاررق بين الخرطوم محري والخرطوم ويختاره  
القطار فوق حسر ( كوري ) عريض يتسع للقطار والترام وللراكبين  
والراجلين ثم يلتوي القطار بعد ذلك ماراً بين كلية عردون ومدارس  
الخرطوم المحتلة عن اليمين ومعسكرات الحيتس البريطاني عن الشمال  
ويتابع التواءه حتى يصل الى محطة الخرطوم الرئيسية  
تقع محطة الخرطوم في فضاء من الأرض لا يحيط به ما يشعر القادم  
معه نسيء من مهابة محطات العواصم فالمباني الخاصة بأعمال المحطة معرلة  
صغيرة قليلة الارتفاع كماني محطات الارياف العادية في مصر . وليس  
لها من وحاهة مباني محطة حلما أو محطة العطرة كثير ولا قليل وحط  
الحديد لا يطله سقف ولا يحيط به من الافاير ولا يتصل به من  
حطوط الماورات الكثيرة ما يرى عادة في المحطات الرئيسية . لذلك



دهش من لم يعرف الخرطوم من قبل أن تكون هذه محطة سكة الحديد لعاصمة السودان على أن هذه الدهشة لم تدم الا ريثما أحدثت بالصراريات كانت تمتد الى مرمى الطر في طريق متسع يبدأ أمام المحطة هذه ريات يوم الملك اعدت للاحتفال بعيد تذكاري مقدم جلالة الملك حورح الخامس الى الخرطوم حين عودته من الهد في سنة ١٩١٢ وهذا الطريق الذي تمتد فيه الريات هو شارع فكتوريا. وهو يصل ما بين المحطة وسراي الحاكم العام

كانت الساعة الرابعة حين وقف القطار في المحطة وكما قد أمصبا ستا وعشرين ساعة من وقت ان عادوا حلقا ومما تكرر معدات الراحة بالقطار كاملة والسفر قطعة من العذاب لذلك فرح المسافرون جميعا للوعهم الخرطوم وبل كل يبحث عن البيت أو الصدق الذي يأوي اليه وبلت مع من بل والبيت جماعة من المصريين الذين عرفت من قبل وقوا ينتظرون فلما رأوي قابلوي بالترحاب والشر بما أدخل الى نسي العطية والطأينة ثم عادت محطة الخرطوم الى صدق حراند حيث قصيت أيام مقامي بعاصمة السودان



## الخرطوم لانظره الأولى

قل افتتاح السودان بقوات الجيش المصري وبعض الفرق الانكليزية في العقد الأخير من القرن الماضي كانت أم درمان هي العاصمة الكبرى لهذه الأصقاع المترامية من أراضي القارة الافريقية ، وكان يطلق عليها اسم عاصمة الدراويش ، وكانت ذات أهمية تجارية خاصة أن كانت ملتقى طرق القوافل الآتية من الأبيض وعبر الأبيض من بلاد الداخل فلما فتحت السودان وحد لورد كتنشر الخرطوم وفيها من التذكارات التاريخية للحمالات المصرية الماضية ما يجعل حقاً لها أن تكون عاصمة بدل أم درمان وكانت قد حرت كل محرب أثناء الحرب فلم يبق منها إلا آثار واطلال ، فحددها مهمة الجيش المصري وقيامه بأعمال الساء وغيرها من أعمال التعمير وسعي سعيه ليحعل أم درمان أثراً بعد عين لكن أم درمان بقيت الى يومنا مستقر تجار الواردات الى السودان كما أن الخرطوم أصبحت بعد بنائها وبعد امتداد حط السكة الحديد عندها مستقر تجار الصادرات من السودان

ولقد روى المحدثون كثيراً من الروايات عن الخرطوم وحملوا منها مدينة عربية محنة فتوارعها متسعة يريد بعضها على الحسين متراً ولا يقص واحد منها عن ثلاثين متراً ومايها متطمة تمام

الانتظام ، وفيها نور الكهرباء يصيء شوارعها ومارلها ، وفيها المياه حارية في كل المارل وهذه التفاصيل عن صورة هذه المدينة التي استق اسمها من صورة الليل الاررق الملتوي التواء حرطوم الميل تترك في دهن القاريء محلا لمقاربات كثيرة فهذه الشوارع الواسعة وهذه الأنوار الكهربائية وهذا الماء الحاري أقرب ما يكون الى صور مدن المياه في اورنا ومدن المياه في أورنا تجمع من معاني العمة ما لا يجتمع في غيرها من المدن فيها الحداثق العباء وفيها أماكن البرهة والرياسة وفيها المجتمعات الراهية الراهرة ، وفيها كل ما يحلو صدأ النفس ويطردهوم القلب ادن لا بد أن تكون الخرطوم على هذه الصورة السامة الحدانة فطوني تقوم جعلوا في أقرب الماطق لحظ الاستواء ما قصر عه كثير من أهل مدائن الماطق المعتدلة .

وتدخل الخرطوم وهذه الصورة تملأ نفسك فما يكاد القطار يسير بك نحو المحطة الوسطى — كما يسمونها — حتى إذا بك قد مررت — بعد تحطيك كبرى الليل الاررق بين الخروض والخرطوم بحري — بعض مناب للحكومة لا تحقق الصورة التي في نفسك ولكنها مع ذلك لا تقصي عليها فحول كيسة عردون والمدارس المحيطة بها حداثق طريفة تأخذ بالظر لكن بعده فضاء صحراوي لا ماء فيه ولا ماء وتلعت وأت بالقطار يمة ويسرة وأدا كل ما حولك من قليلة الارتفاع بيت من طابق واحد فدا وقف القطار

رأيت ميداناً واسعاً ليس فيه شيء يريه ورأيت أمامه مثل تلك  
المائي القليلة الارتفاع وشعرت بهذه الصورة الحداثة الممتلئة بها نفسك  
وقد بدأت تدب وتصحح . لكك سرعان ما تشغل عن هذه  
الصورة ودولها عن تراه من معارفك واصدقائك الذين جاءوا الى  
المحطة ينتظرون هذا القطار القادم من مصر آملين أن يحدوا به من  
ريح مصر ما يسليهم ويعشهم واب يلاقوا بين الراكين هؤلاء  
المعارف الذين عاينوا عنهم حين بعد أن كانوا في حياتهم حراً غير  
قليل من هذه الحياة ، والذين أصبحوا سبب هذه العيبة ولوحودهم  
نائين عن القاهرة ومثلها من الأماكن التي عرفوهم من قبل فيها أقرب  
إلى قلوبهم وأفئدتهم ترى هؤلاء المعارف قهر أيديهم ويهرون  
يديك تشوق ولهفة ويسألوك عن البلاد ما حالها وعن حلفت وما  
صار اليه أمرهم ؟ فادا فرغت من ذلك وفكرت في اختيار صدق  
تأوى اليه عاونوك رأيهم ومساعدتهم وبكل ما يملكون من وسائل  
المعاونة ، وأشهد لقد لقيت من رقتهم ما أساني مشقة سفر ست  
وعشرين ساعة فيها ما فيها من مشقة ناعم ما في القطار من وسائل  
الراحة والطمأنينة

وعرفت ساعة وصولي المحطة أحد كبار موظفي حكومة السودان  
من السوريين فلقيني بترحاب أي ترحاب وصحني في سيارته الى



حراند أوتيل حيث برلت . وما كاد يستقر في المقام حتى جاء لريارتي  
بعض احوال المصريين

وفيما كنت بالسيارة في طريقى الى الصديق أظهرت دهشتي  
من هذه الصورة التي تددت لي من الخرطوم والتي لا تتفق في شيء  
مع ما كان مرتسماً لها في خيالي الشوارع واسعة حقاً وعرضها  
يريد على ثلاثين متراً وفيها الكهروء حقاً تصيئها اذا حى الليل وولت  
موليات النهار . لكها شوارع غير مرصوفة والتراب عن حادبها  
كثير حتى ليعوص فيه عجل السيارة ونحن على ما يطهر في حير احياء  
المدينة الآهله بأعظم سكان الخرطوم من الموظفين ثم ما هذه الماني  
المحيطة بها والتي لا ترتفع اكثر من طابق واحد ، وما لها لا يحيط بها  
من بصره الررع وحصرته الا قليل ، ولم أستطع احفاء ما يحول محاطري  
فسألت صاحبي ما نالهم لا يرصهون الشوارع فكان حواءه أن قال ان  
ذلك يكلف مليوناً من الحيهات وميرايه السودان كله لا تريد على  
خمسة ملايين ولذلك تكتفي الحكومة بتسيير الواوارات الثقيلة في  
القسم الأوسط من الشوارع الكبرى حتى يتمكن الناس من السير فيه  
اردادت الصورة التي كانت مرتسمة في خيالي من الخرطوم  
دولاً حتى كادت تصل الى حد القبح حين دهت في صبيحة اليوم  
التالي أروء الحاء المدينة فقد احدثت الى أحياء أعدت لموظفين قل من  
الأواين درحة ولعص أعيان المدينة ، كما احدثت بعد ذلك إلى



الاحياء الآهله بالسودايين وتحارتهم والتي تقع بعد ميدان الجامع .  
وهذا الميدان فسيح متسع أعد لتقام فيه الحملات ذات الصعة الدينية  
وأحصها حملة مولد السي . مع ذلك فهو ميدان ترب تعوض القدم  
فيه الى حد يتعذر معه السير ويهد السائر التعب بعد قليل فأما  
ما بعده من الاحياء السوداوية السحة فتتحلى فيها مظاهر الفاقة القاتلة .  
ترى فحات مفتوحة في بناء محمص هي حوايت الصاع والباعة .  
وترى في هذه الفحات جماعة السودايين حلوساً وعليهم ملاسهم  
اليصاء أصحت سمراء من الشمس والتراب وترى أمامهم من  
صاعاتهم العسريات والاحدية وغيرها من صاعات وطنية صئيلة  
فادا ارددت تعلعلاً الى ما بعد ذلك رأيت حوايت من القس  
يعمرها رجال لا يكاد يسترهم من الملاس إلا قليل ورأيت بعدها  
« سوق النساء » عملت الشمس في وحوههن وأساريرهن فرسمت  
عليها من علائم النؤس وآثار التقوة ما لا تفهم معه كيف ترصى  
احداهن احتمال هذه الحياة القاسية لولا ما في الحياة من سحر حداع  
يعري أئسد الناس نؤساً وشقاء دأمل في يوم نعمة ورحاء وتبيع هاتيك  
السوة (الكسرة) ، وهي نوع قبيح من الطعوم ، كما يعص الفلعل وبعص  
ألوان الشقاء مما يطعم الفقراء

ولا تطاوعك نفسك لتشهد من نؤس هاتيك واولئك اكثر  
مما شهدت فتعود أدراحك طالباً بعص ما يروح عن نفسك

وكان معي صاحب مصري طريف سار وإياي الى ناحية الترام  
تركه الى حمة ( المقر ) والمقر هو المكان الذي يقترن فيه ماء  
اليل الأبيض باليل الاررق وتحري هذه السفين التي تقل الركاب  
المسافرين بين الخرطوم وأم درمان فقصدنا الى حيت محطة الترام  
وانتظرناه حتى اذا أقل ألفتته ترامًا محاريًا تحره آلة ذات عجيج  
وصحيج ومن ورائها عربات عدة تكاد تلغ الثماني أو العشروا كثرها  
قدر تقوم فيه مدرجات يجلس عليها ركاب الدرجة الثالثة وبه عربتان  
هما عربتا الدرجة الأولى مبروستة مقاعدها مبلدة أو متسع تود لو أن  
مكانه حشًا بطيفًا

اختار الترام بنا الخرطوم من طرفها الى طرفها الآخر واختار  
بنا في أحياء تختلف بعمه وبؤمًا ، لكه كان يسير في شه صحراء قل  
أن تقع العين فيها على سائر فلما بلغنا محارب الحبوب عد سكة  
الحديد وقعت العين على مطر ما أحسني رأيت في الحياة شيئًا  
أشد منه إيلامًا ولا أكثر منه دوعًا للاتفاق الى النفس مطر لن  
يستطيع الخيال وان علا وان بالغ في العلو أن يصل الى تحسيد الألم  
الانساني كما حسدته هذه الحقيقة الماطقة كل معنى القسوة الانسانية  
الى حارب محارب الحبوب ميدان فسيح من تراب صارب لونه  
الى لون الرمل وفي هذا الميدان تمر العلال من درة وتعبير الى  
المحارب وقد يقع منها في اتاء مرورها ما يحتلط بهذا التراب

لم أر الحبوب تمر ولم أر ما سقط منها الى الارض واحتلط بترابها  
لكي رأيت امرأتين كل واحدة منهما عارية أو تكاد فلا يسترها  
إلا حلق قدر يعطي بعض أسفلها ويترك الطهر كله والأردع والرأس  
مكشوفة للشمس والهواء . وكانت كل واحدة مقعقة كما يقعى الكلب  
وتدش الارض بأطرافها وقد أحدثت فيها فحوة كبرى وهي ما ترال  
دائنة على السس وتلقي ما بين حين وحين شيئاً من التراب الذي  
يعلق بأطرافها ويديها في عرنا أو مسحل الى حائها سألت صاحبي .  
ما نال هؤلاء النسوة أكس على الترى يحتضره بأطرافهن كما يحتضر  
الحيوان وحاره بمحله ؟ قال صاحبي وفي نبرات صوته رنة هم وشحن .  
هن فقيرات لا يجدن قوتاً ، وقد تعول واحدهن طفلاً أو أكثر ، وقد  
أقلن يحتفرن التراب آمالات أن يجدن فيه حبة من درة أو شعير مما  
قد يتتر ساعة حمل العلال الى المحارن فادا طهرت احدها من  
حسنته حبة القت به في عرنا لها وتطل كذلك يوماً تحتقر القوت من  
تراب الارض احتقاراً فادا حيل اليها أب قد اجتمع في عرنا لها  
بعض منه عملت لتطفيه عل فيه ما يقيمها ويقيم من تعول من طفل  
أو يتيمة يوماً أو بعض يوم وهن كذلك يفعلن ما أعاهن القدر فادا  
أمطرت الدنيا أو انقضى موسم العلال فلهن ولن يعلن السؤس والويل  
أي سواد لخط الانسان كهذا السواد ؟ هو أسود من تلك  
الوحوه السقية والطهور العارية والشعر الفاحم في تجمعده والتفافه

ذلك مطر دونه كل ما رأيت من ماطر العاقبة والنؤس دونه هاتيك  
المتسولات يرتحين عطف كريم ، أو يأملن أن تمس توجعتهن قللاً  
مكلوماً يهيص حربه سحاء . هو نؤس النفس التي تعف عن السؤال  
وترى في عايات الشقاء مع العمل نعمة الرفعة عن مسألة اللثام بل عن  
مسألة الكرام

حدثت بعض المقيمين بالخرطوم بهذا ومثله مما شهدت فيها  
فأدبل ما كان لها من صورة في نفسي وحأهدت لأحد لذلك كله  
عدراً فالخرطوم بلد حديد ، دحله الخيش المصري ومن معه  
من فرق انكليزية سنة ١٨٩٨ فألفاه حراً ياناً ومن ذلك  
التاريخ — أي مد ثمان وعشرون سنة فقط — أقيمت المدينة كلها  
بما فيها من معسكرات ومبارل وشوارع وطرق رسمت يوم رسمت  
على صورة الراية البريطانية لتكون متلاً للطام الانكليزي الهاديء  
المطمئن وعرست الاحتجار فيها فت ماتت منها وأعيد عرس  
ما مات والمدن كالأشخاص لها حياة غير الصورة الطاهرة وغير  
حياة الجسم الذي يتشابه مع أحسام العير في أكثر مظاهره لها حياة  
الروح المستمدة من تاريخها ومما مر بها من محن وآلام ، ومن مسرات  
وأعياد وثلاثون سنة ليست كافية لتعت الى مدينة من المدن حياة  
الروح ولتحلل منها ما يحدث النازل اليها معان تحدث بها المدن



القديمة التي شهدت من غير التاريخ وعبره ما ترك على كل حدار من حدرانها وحر من حاراتها صحماً باطقة بمختلف الصور والمعاني . فالحرطوم العدر ، وهي بعد بلاد حديث . ادا هي لم تحدثك بمكون حياتها، وندت لك كما تدو للعين الدمية صعبا الصانع على مثال غيرها من الدمى ولم يكلمها الوقت بحراجه فيجعل لها معنى وقيمة ولها الى جانب ذلك من العدر أن ما فيها من بعض الجمال اما أعد لمتاع الحاكمين ودوي الامر فيها مما لا ترال مظاهره لذلك قاصرة على الحي الذي فيه يقيمون

فكان جواب بعض من تحدثت اليهم بما أحسست به وما التمت للحرطوم من عدر ان قالوا ان فيما أقص عليهم شيئاً من الحق كثيراً وفيه من العلو كذلك شيء كثير فالحرطوم بلاد حديث حقاً وليس بين سكانه من التحاس ما يجعل فيه وحدة الروح التي تقيم الحياة فيه الانكليز حكام ، وفيه السوريون والمصريون موطعون ، وفيه الأروام والسوريون تحار وفيه السودايون أقل من كل من سواهم في البلد أثراً وسلطاناً وليس بين هؤلاء جميعاً من الاحتلاط ما يخلق روحاً جماعية ترفرف على البلد كله ، بل لكل جماعة قوامها القومي والحسي والديني والعوي ، للانكليز ناد والمصريين ناد وللأقباط من المصريين مكتبة وكنيسة ومدرسة ، والسوريين ناد ومحامع أخرى ، وللأروام ناديان والسودايون أهل



البلاد لا نأدي لهم وإنما يجمعهم حول بلادهم وروح ذلك المباح والطقس الذي يشمل البلاد وتضاريع البلاد على سعتها لم تنظم بعد النظام الذي يجعل ساكن أورونا وساكن مصر يراها بالعين التي كان يظن أن سيراتها وأحياء البلاد ثلاثة أولها الواقع على النيل الأزرق مباشرة وهو أحملها وأكثرها نظاماً ، لا يقطعه من غير الانكسار إلا السير السيد علي الميرعي ، فله فيها قصره وله أمام قصره ساقية تنمائها الحارثي وتأتيها مقام غير الانكسار من الموطعين ومقام بعض الانكسار الأصاعرونه تحارة الأروام والسوريين وما في البلد من دواعي المسرة ، وتأتيها مقام أهالي البلاد ونه الجامع وميدانه حيث يقام مولد النبي ، ونه ما سق أن أشرت إليه من مظاهر التوس والفاقة لكن للحرطوم على الرغم من ذلك كله حملاً والحياة فيها روعة لمن عرف معنى الحياة وروعيتها

ولعل الانكسار أول من عرف كيف يجعل للحياة في الحرطوم معنى وروعة مدبروها فقد أقاموا لكل منهم منزلاً بما تحمله كلمة منزل الانكليزية Home من المعنى جعلوا فيه حديقة وملعباً للتس ومقاماً للطيور وحاء كل واحد في بيته من الحيوانات والطيور الأليفة أو التي يسهل تأليفها كالغزال والسعاء بكل ما يحتاج إليه لملء أوقات فراغه من غير ملال بل بعطة ولذة وقد وجد كل انكليزي من « منزله » الكامل الاداة ما يعوض عليه مشتقات العمل في هذا

الحو الشديد الحرارة في فصل الربيع وما يتسلى به عن وحدته وعدمه عن بلاده . ثم لم يكفهم هذا فخلقوا ملاعب لهم يلعبون فيها كرة القدم كما أقاموا حارح المدينة ميداناً لسباق الخيل ومتى تمت للأحليري معدات الرياضة كمل له نصف نعيم الحياة وهو واحد في بيته غير ما فيه من معدات الرياضة سكينة وطمأنينة فأما ما بقي بعد ذلك من لذة الجماعة والتحدث الى الآخرين فميسر للأحليري في ماديته بالخرطوم يذهب اليه كل مساء يقضي فيه شطراً غير قليل من وقته

وقد أحد غير الأحليري مأحد الأحليري وبهحوا بههم . فلكثير من الموظفين السوريين والمصريين في مآرلهم ملاعب للتس وأنواع شتي من التسلية

قالت سيدة سورية لها في الخرطوم ثلاث سوات لقد شعرت شعورك لأول ما برلت الخرطوم فلم يعحني قهرها وصمتها الموحش . لكي لم ألت على ذلك إلا قليلاً وما لنت أن وحدث في مبرلي وما حوله من حديقة وملعب وطيرو أو حيوان سلوى حبت إلى الخرطوم وحعلتي أرى للحياة فيها متاعاً وروعة

ولا ريب في احتواء ما يقولون على حاب من الحق كبير . فالبيت يشعل من حياة الإنسان رحلاً أو امرأة حطاً عطياً فيه لمن عرف كيف يعيش فيه نعمة وسعادة وليس البيت هذا الطابق

الصيق في إحدى العمارات المتسيدة يحيط ساكنه عن اليمين وعن الشمال وأعلاه وأسفل منه من يرى ضرورة المحافظة على سكنتهم كي يحافظوا على سكنته ، ثم هو لا يجد بعد في هذا الطابق ما يعينه على مرجه ورياضته إنما البيت الذي فيه العمة والسعادة هو ما اتسع لحديقة وملعب وكفل لصاحبه سداد ما يحتاج إليه وما يستتبه وما أكثر ما تكفل بيوت الخرطوم هذه الحاجات

ويذهب المقيمون بالخرطوم في تحييد مدينتهم الى أكثر من هذا ، فهم يسألوك ألا ترى هذا الشارع الجميل الممتد على شاطئ الليل الأزرق ما بين سراي الحاكم العام وحديقة الحيوانات والواصل الى المقر ؟ ألا ترى المائي على حانه تحيط بها حصرة الزرع الناصر وقد قامت فيها الاشجار ناسقة فاستملت أكثر المزار حتى لتكاد تحسب القصر المنيب كوسحاً في ظلال حديقة ، وفي هذا الشارع يقوم فندق ( الخرايد ) وهو يصارع أبهى فنادق العواصم العامرة نظامه وظرفه وبالحديقة العناء الواسعة المحيطة به وحديقة الحيوانات الى حانه فيها مسرح للعين وبرهة للحاضر ما تحتوي من صوار وكواسر ومن طير ووحش وعرال ثم ان الخرطوم من أماكن التحارة ما لا تطمع فيه مدينة في حجمها وعدد سكانها فيها متاجر وسعة يرد اليها كل ما ينتحه العالم المتمدن من أنواع الصناعة ومواد الترف ، وبعض هذه المتاجر كبير الى حد يكاد ينافس معه أماكن التحارة

الكيرة بالقاهرة وما عليك إلا أن ترور السوق لترى فيها محلاً  
لدافيس براين يافسه محل لعابان الأرمي ، ولترى كذلك محلاً  
للكاتو الرومي ولمرهج السوري ولترى غير هذه من الأماكن ما لا  
تأني مصر القاهرة أن تنافس به مدائن العالم

وليس للعريب البارل بالخرطوم أب يعي عليها عدم توفر  
المجتمعات العامة بها وفيها قهوات وبارات ومطاعم ولئن كان هذا  
كله قليلاً وكان غير مأهول فلأن سكان المدينة قليلون لا يريدون  
عن تلاتين ألفاً ولأن أهلها اعتادوا عيش الوادي يجتمع الى كل ناد  
من اتفقوا حساً ولعة ودياً ، فليس بهم الى هذه المجتمعات من حاجة .  
وفي هذا الذي يقوله سكان الخرطوم حاب من الحق غير  
قليل وفيه ما يدل على أن البطرة الاولى لهذه المدينة الحديدية  
المختلطة تسرف في الانتفاص منها والحماية عليها لكن هذه  
البطرة الأولى تحتوي من الحق هي الأخرى حاباً غير قليل فهذا  
النوع الذي يصفون لك من الطمأنينة والسكينة قاصر على جماعة  
الموطنين والقائمين بأمر الحكم ولئن كان أكثر المقيمين بالخرطوم  
موطنين وكان من بها من تمار يتبع كل منهم الى طائفة يحد  
في الانتماء لها متاعه فأت لا تكاد تشعر في الخرطوم بحياة  
المدينة على ما تألفها في العواصم التي تجمع الموطنين والتجار وأرباب  
الصناعة والفن والعلم وما تشوّه هذه الحياة من حو فكري تسعت



فيه الآراء المختلفة متآررة مرة متصاررة أخرى عاملة دائماً للسير  
بالإنسانية المحيطة بها في سبيل الرقي والتقدم

وهذا طبيعي أن كان السوداويون قليلون في الخرطوم حد القلة،  
وكانت حياة الطائفة الراقية منهم متصلة بالحكومة اتصالاً له من  
الصعقة السياسية أكثر مما له من أية صعقة أخرى ذلك بأن أم  
درمان ما تزال للسوداويين هي المأوى وهي الملجأ إليها تحس قلوبهم  
لأنها عاصمتهم وعاصمة أسلافهم وإن كانوا لا يملكون الدفاع عنها  
لتكون عاصمة الجميع وملجأهم ومأواهم

\*\*\*

هذه الصورة الخاصة بالخرطوم ترجع على ما ذكرنا إلى أنها  
مدينة حديثة لما تمس ثلاثون سنة على عمارتها للمرة الأخيرة،  
وإلى أنها بنيت هذه المرة الأخيرة لتسد حاجات الفاتحين وتقدم  
إليهم ما يستطيعون من مواد العمة والترف ولذلك كان أكثر  
السوداويين الذين يقيمون بالخرطوم إذا يقومون في ركاب هؤلاء الفاتحين  
وخدمتهم ومن أجل ذلك لا يستطيع الدار بالخرطوم أن يرى بها  
ما يكتشف له عن معنى الحياة الوطنية في هذه الروح المتنامية  
الأطراف وأنت إذا أردت أن تعرف شيئاً من معنى هذه الحياة  
فلا سبيل لك إلا أن تقصد إلى الدم حيث تقوم « تكالات »  
السوداويين من الصانع والخدم وسائقي السيارات وغيرهم ممن يقومون



في خدمة السادة الحاكمين في هذه التكاليف المسية من الطين والقائمة  
في « ديم » الوطيين ترى شبهة الحياة السوداوية المحيطة بالخرطوم  
وهي حياة شقية تتفق وما يقوم به أصحابها من أعمال وما لهم عدد  
العائحين وعد السودايين أنفسهم من مكانة

و « الديم » يعد عن الخرطوم مدى غير قليل وهو يعيد الى  
داكرتك حين تراه صور « العرب » القديمة التي يقطبها « التلمية »  
والمستأخرون في أرياف مصر والديم كالعرب القديمة لا مفايد لمارله  
المكونة من عرف أرضية ناهها هو الفتحة الوحيدة فيها منه يدخل  
الهواء والنور والشمس كما يدخل الناس والدواب

ولما كانت الخرطوم مقام العائحين ومن أحاط بهم من التحار  
الأروام والسوريين ومن لاد بهم من بعض السودايين والحياة فيها  
أقرب للحياة العربية في كثير من مظاهرها وانك لتري متاخرها  
متسعة على طرار المتأخر الاوربية كما ترى اكثر التحار فيها اشد  
بالاوريين اتصالا وفي سبيل هذه الحياة العربية يرصى المقيمون  
بالخرطوم أن يجعلوا للحوم والعواكه والحصر المحفوظة في علب  
الصفيح او الزنك حطاً كبيراً في قوام حياتهم ، رغم ما يمكن أن  
يعترض به أولو العلم في شؤون الصحة على هذه الأطعمة المحفوظة ،  
ورغم ارتفاع أثمان هذه المواد التي ترد الى الخرطوم من بلاد بعيدة  
لكن لاهل الخرطوم في المحاص أثمان الحاحيات الأخرى التي تنمو

وترى في البلاد نفسها ما يعرضهم بعض الشيء عن علاء أتمان  
الواردات وما يحفف بعض الشيء كذلك من الاعتراضات الصعبة  
التي يطعن بها على الأطعمة المحفوظة فالعم والديكة الرومية وكلاهما  
طعام صالح تنهي رحيصة عاية الزحوص فريال يكتفي بما « لأورى »  
لديك أو لديك رومي أكثر منه لدة ويرى بعض أحوال المصريين  
المقيمين بالخرطوم والمتقنين في الطعام أن الديكة الرومية تحتاج بعد  
أن تشتري هذا الثمن المحس إلى زمن تقيمه بالمرل لتسمن وتلد  
لكن الأكثرين يرونها جديدة من غير حاجة إلى هذه العناية

أما الحصر والماكة فادرة حد الدرة في الخرطوم وفي  
السودان جميعاً حتى لتقطع في بعض المصول انقطاعاً تاماً وحتى ترى  
الوارد منها من الخارج تتحاطه الأيدي قبل أن يصل إلى الأسواق .  
ولذلك كانت اللحوم العداء الاساسى للمقيمين هناك وكان لها عليهم  
من الأثر ماها على آكلة اللحوم لولا حصاره اسرنتها دماؤهم أحيالا  
طويلة فلا تستطيع تهور أو سوات أن تقتلها من طنائهم اقتلاعاً  
على أن الخرطوم تمتاز مع ذلك كله بأنها مقر حكومة ذات  
نشاط عظيم فإذا كانت مدينة تقصها حياة المدينة ويقصها تاريخ  
المدائن فهي مستقر نشاط كبير للموظفين من أحاسيس المختلفة وهي  
لذلك أكثر شهرة العمل Laboratone وهذه الصورة منها تستحق أن  
تكون موضوع بحث مستقل وعناية خاصة

## عيد الملك أو يوم الملك

إثر تتويج صاحب الخلالة جورج الخامس ملكا على انكلترا في أواخر سنة ١٩١١ سافر على عادة أسلافه ليتوج امبراطوراً للهند وفيما هو في طريق عودته مر بالسودان وزار الخرطوم في ١٧ يناير سنة ١٩١٢ وقد اعتبرت حكومة السودان هذه الزيارة بمثابة تتويج لحلالته امبراطوراً للسودان واعتبرت يوم ١٧ يناير يوم عيد رسمي كأنه عيد حلوس حالته على عرش السودان وفي هذا التاريخ من كل عام يرسل حاكم السودان العام بريقة الى حالته باليابة عن أهالي السودان يعرب لحلالته فيها عن تعلقهم بعرشه واحلاصهم له ويرد حالته شاكرًا أهالي السودان مطهرًا حرصه وحرص حالته الملكة على رعد السودان وتقدمه وفي هذا التاريخ من كل عام تقبل دور الحكومة وترين الخرطوم بريعة العيد ويقيم الحاكم العام سرايه حملة شائعة تورع فيها الأوسمة التي تمنعها حكومة ملك إنكلترا على رعاياها من أهل السودان اعترافًا بولائهم وتقديرًا لاحلاصهم ولما يقومون به من حليل الخدمة للسودان وللإمبراطورية

وصادف أن كان يوم ١٧ يناير سنة ١٩٢٦ يوم أحد، فتأجل الاحتفال بعيد الملك الى يوم الاثنين بعده . ولما كان مدوب انكلترا السامي لمصر والسودان قادما لافتتاح حراا سار فقد جعلت حملة هذا العيد التي تقام في سراي الحاكم العام تحت إشرافه ورعايته . يورع هو فيها ما تنعم به الحكومة البريطانية من الأوسمة ويقوم من المراسم بما تقتضي به هذه الرعاية

وسراي الحاكم العام حديقة بأن تقام فيها مثل هذه الحملة وما هو أقيم منها فقد اقيمت على أثر فتح السودان في أواخر عام ١٨٩٨ حيث كانت تقوم السراي التي قتل دراويش المهدي فيها عررون باتسا والتي كانت مقر حاكم السودان من قبل مصر وقد روعي في إقامتها ما يحب لها من العظمة والمهامة وهي تطل بنايها على النيل الأزرق، ولها عده بناها البحري وتطل من الحمة القليلة على متبره واسع الارحاء مترامي الانحاء بديع النظام يقوم في آخره الباب القلي المؤدي الى شارع فكتوريا فالى محطة الخرطوم

وأبت إذا دخلت الى السراي من حاب النيل الأزرق قانلك لأول تحطيك الباب دهليز تتصل به عرفة انتطار من ناحية وتتصل به من الأخرى عرف عديدة متداحلة أعدت لموضي الحكومة المتصلين بالسراي وحدران هذا الدهليز مريية كما بعدة الحرب وآلته فمها قعات وحراا محتلة اللون والتشكل لكرمها جميعا



قبعات الفرق الأنكليزية وحراسها وعلى الحدران رايات الفرسان  
الانكليزية . فادانت تحطيت الدهاير وحدث اققيا عليه دهليرا  
آحر طويلا يمتد من الحادين الى ناحيتي السراي الشرقية والعربية  
ويظل هذا الدهليز الافقي على ساحة يقوم على حاديهها حاحان  
حصص احدهما للحاكم العام وأهله وحمل الآخر لصيوفه والدهالير  
والعرف والاحصحة كلها نادية المحامة والمهابة ومن فوق السراي  
يرفرف العلمان المصري والانكليزي

أما حديقة السراي أو بالاحرى متهربها فقد فرشت أرضه  
بسدس الحارون والحشائش الصغيرة وقامت في حوايه وفي أواسطه  
أشجار ناسقة كان ورقها في هذا الفصل الذي يدل فيه ورق الشجر  
في مصر ويتعري من كل ورق في أورنا أحمر دا رواء ومهجة ولا  
عجب ، فأحمل أيام السنة في الخرطوم هي ما يقابل أيام الشتاء وما  
الك بطقس بهاره بهار الربيع وليله أحرىات الصيف وكل ما فيه من  
مظاهر الحياة سام بديع الانتسام

\*\*\*

أصحت الخرطوم يوم الاثنين إدا في لباس العيد كانت  
لرايات والاعلام ترفرف في شارع فكتوريا وفي مقدمة بعض  
الحوايت والمتاخر وكان الحاكم العام قد دعا الى حملة شاي تقام  
في سرايه بعد ظهر ذلك اليوم عدداً يريد على الثمانئة من بينهم مائة



وعشرة من أعيان السودايين ورؤساء القبائل والعشائر فيها ممن لا يقيمون بالخرطوم كما دعا أعيان السودايين بالخرطوم ودعا كبار الموطعين وكل دي مكانة من غير السودايين وهؤلاء و برية العيد خرجت المدينة من صمتها الموحش بعض الشيء وكان أعيان السودايين في حشهم الحمراء والرقاء المطررة بالذهب وسيوفهم المموهة أعمادها بالذهب كذلك أكثر ما حلع على مطر العيد بهجة وريية

في الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم استقبل الحاكم العام وقليل من رجاله اللورد لويد مدوب انكلترا السامي الذي وصل ساعتئذ محطة الخرطوم قادماً من مصر ثم قصد وإياه سرايه ولم يكن في انتظاره بالسراي غير عشرة من أكابر أعيان السودان صاحبهم المدوب السامي وقرينته ثم صعدا إلى عروفاهما

ولما كانت الساعة الرابعة قد حددت موعداً لحفلة الشاي حيث يقدم المدوب السامي أوسمة الشرف لأربابها هرع المدعوون إلى سراي الحاكم العام ، حوالي هذه الساعة ، ومهم جماعة « الرسميين » ارتدوا ملابسهم الرسمية وتقلدوا بياستبيهم وأوسمتهم ، ومهم أعيان السودان تقلدوا فوق عبا آتهم الحمراء أو الكحلية المطررة بالقصب المذهب سيوفهم الموشاة بالأعماد نوتسي الذهب والفضة ، ومهم غير الرسميين وغير أعيان السودان من دهوا في ملابس كل يوم وبذلك

كانت حديقة السراي معرضاً لأكثر ما يمكن أن يتصوره الخيال من الآراء تنافياً واختلافاً فكنت ترى الردهوت والطروش ليسه الموطهون في الحكومة المصرية من المصريين والانسكاير وقد حلّ كثير من مهم صدورهم بالياتين المصرية وكنت ترى ملاس موطني حكومة السودان المديين اتحدت من القماش الايص وفصلت على صورة « الخاكت » والعمامة والقهطان والحة تردها الموطهون الشرعيون كالفصاة والمهتي وواحد أو اثنان غير هؤلاء والفراك أو السحور ومعها القعة العالية على بعض أعيان السوريين أو الاروام من التحار والمقيمين بالسودان ، وحب حكومة السودان الرسمية على أعيان السودان وبين هذا الجمع المتقمش بأردية المقابلة عدد كبير في الري العادي على مختلف أشكاله وألوانه

تراحت هذه الآراء المختلفة المتناقضة المحتمة في هذا المكان وحملت تتدافع نحو ساحة السراي ذلك ان الحاكم العام والمدوب السامي جلسا الى مصدة فوق هذه الساحة وحاس حولهما صيوفهما كذلك جلس عدد كبير من الموطهين والاعيان الذين تقرر الانعام عليهم بالأوسمة الى حاب من الساحة المحاطة بدار برون والمرتفعة فوق أرض الحديقة بدرجات وكان الحاكم العام قد وقف يتلو البرقية التي أرسل بها الى حلالة ملك اسكلترا بالبيان عن أهالي السودان ورد حلالة الملك حورح عليها فلما أتم تلاوته وترجمها فصيلة

معني السودان ورع المدوب السامي الأوسمة على أربابها ومتاهدة  
ذلك كله هي التي أدت الى ذلك التدافع بالمالك بين كل تلك  
الارباب

لذلك ما كادت هذه المراسم تنتهي حتى اضطر عقد المالك  
المتراصة وانقلب مدها نحو ساحة السراي حرراً في انحاء الحديقة  
الواسعة و برل المعمر عليهم من عليتهم والمحرطوا في سلك المدعويين  
تميرهم أوسمتهم وأحدث رولهم الى الناس شيئاً من الحركة سدها  
اسراع الناس اليهم يهشونهم بما حاروا من ثقة عالية فكانت  
الايدي تتصافح والتشفاه تنسم وحقق عيون المعمر عليهم يلعب بمعاي  
العطة والرصا وتحقق حشونهم أحياناً في صورة التواضع والحياء مما  
تنهض به آدابهم من عبارات تقدير المهشين وتميائهم « الخالصة »  
لهم دوام الرفعة ومتونة رضاء الحاكم على ان يطر العريب عن الديار  
كان يسترعيه ما علق على صدور أعيان السودان الصالحين من أوسمة  
صيع أكثرها صلانياً ما كانوا ليرصوا أن تمسها أيديهم لولا ما لها من  
معنى التقدير والتشريف ثم ارداد العقد اضراطاً وقصد كل الى مائدة  
من موائد الشاي المعترة على نظام طريف في انحاء المتبره الخيل .  
كان أهل السودان في أربابهم المطررة أكثر استرعاء للطر  
من كل من سواهم ذلك تأمهم أهل البلاد وروح هذا الخوالصحو  
الذي يطلوا على ان استرعاءهم لطر الاوربيين كان راحعاً لعراة

أريائهم وحالهم أكثر منه إلى أي معنى هسائي خاص أما التراقيون  
عامة وأناء وادي النيل خاصة فكان للمعنى الهسائي عليهم أكبر  
الأثر . ولا عجب . فإن العربي والسوداني من الفوارق في اللون  
واللباس واللغة والدين والعوائد والعقائد ما يجعل السوداني أمام الأوربي  
لعراً تتلهى عيانه بصورته الطاهرة ويعجز إدراكه عن استكشاف  
ما تطوي عليه روحه وبهسه الدخيلة من هرات يدعت منها تقديره  
للحياة وعائته منها وفيه معابها أما التراقي فيدرك غير قليل من هذه  
الهرات الدخيلة لأنه يشارك السوداني فيها كما يشاركه في أصل حسه  
وفي لعتة وعاداته وأما من النيل فيستري السوداني بطره كما  
يستري بطرك قريب أو أحباب عك سين طوالاً فإدا رأيته  
ورأيت أناءه وأقاربه شعرت بين أصالعتك شوق وحين وحدثت  
عيالك هؤلاء الأناء والأقارب الذين لم ترهم من قبل ولكما يحري  
في عروقهم الدم الذي يحري في عروقك وتلدعهم الألام التي تلدعك  
وتنص قلوبهم بالأمال التي ينص بها قلبك

أحاط بعض موائد الساي جماعة من هؤلاء الأعيان من أهالي  
السودان وكان معي صديق سوداني عرفته يوم برلت الخرطوم له  
مكل هؤلاء الأعيان صلة ومعرفة ، فسار وإياي يحدث بيبي ويهمهم  
من التعارف ما يسمح به المقام ولقد شعرت وأحسهم شعروا أثناء  
هذا التعارف القصير بأحاسيس الاحتياط والحذر الذي لاحظته على



أخوانا المصريين من قاللونا في حلما وفي العطرة وفي الخرطوم فلم  
يرد ما تبادلنا وجماعة أعيان السودان في حديقة سراي السير حواري  
آشر حاكم السودان العام على عبارات التحية السيطة وربما كانت  
هذه مألوفة في الحذر لا يقصدها الموقف لكي كنت من صيوف  
حاكم السودان العام فكان واحداً أن أرى هذه الصياغة كل حقوقها.  
وحلست الى مائدة جلس اليها السيد احمد الميرعي وفصيلة  
الشيخ اسماعيل الأرهري مفتي السودان وجماعة آخرون كانوا كلهم  
متال الرقة وحس الصياغة وفيما نحن جلوس أقل السير السيد على  
الميرعي فقام الجمع تحية له واحلالاً وأقل كل من الحاضرين عليه  
يقل يده وحلست الى حابي في وقار وهية وفيما هو حالس كان  
أعيان السودان يقولون عليه ويبحون على يده يقولونها طاهرها  
وباظها ويرحونه الرضى عنهم وحسن الدعاء لهم وكانوا كذلك  
يقولون يد أحيه السيد احمد لكي أشهد أني ما رأيت إيماناً كهذا  
الذي رأيت مرتسماً على وحوه هؤلاء الناس نادياً في بطراتهم متحلياً في  
كل حركاتهم حين اقبالهم مسرعين في حتوع واحلال يقولون يد  
السيد على ويطرون من طرف كسير بطرة كلها الايمان والاحلال  
ورحاء الرضى وحسن الدعاء ومن هؤلاء الاعيان شان تلوح عليهم  
مظاهر القوة والاعتداد بالنفس ، ومهم كهول وشيوخ ترى على



عوارصهم من التيب ياصاً في سواد ، ولكل من هؤلاء التسان  
والتيوح سلطان على من يديون له من القائل والعنائر لكه  
يتقدم بهذا السلطان أمام السيد على وهو مؤمن بأن كلمة الرصى من  
لده أقوى من كل سلطان

وللسيد الميرعي احترام خاص لمكانته هذه عند البارلين في  
السودان من كل الاحاس والطوائف ويريد في هذا الاحترام ماله  
من صفات تمل على من يتصل به اكاره وحسن تقديره وهو بحيف  
قصير القوام دقيق تقاطيع الوجه تم عيابه بريقها الشديد عن كثير  
من الدكاء والدهاء وتطوق تعره العربي الرقيق الشفاء انتسامة دائمة  
تجعل محياه الحذاب دائم الاشتراق وتعلو حياهه قلوسة أقرب في  
حورتها الى القلق التركي القديم الذي كان يلبسه اور ناشا وإن لم  
تكن سوداء مثله ، بل اهتمت عليها صوف من الوان سوداء ومدهة  
متوارية متقاطعة ويحيط بالقلوسة عمامة يصعب تحديد لونها لكن  
لها مع لون العمامة اتساقاً وتحاونا حساً أما قفطانه وحتته وعلى صورة  
ما يلبسه تيوحا مع شيء كثير من الاحتشام في الواهها ولعله أصغر  
من رأيت من أعيان السودايين حساً وإن كان أكبرهم مقاماً وكان  
لمقامه السامي في عى أن يتحلى بأي وسام من الأوسمة خصوصاً  
بعد ما أنعمت الحكومة البريطانية في هذا اليوم بمنح لقه  
على كل من السير السيد عبد الرحمن المهدي والسير التيوح على التوم .

ومع ما كان نادياً من الحبور والبهجة على المعيم عليهم بالأوسمة والرتب من أعيان السودان وموطي حكومته فلا ريب أن اتشد من كانت علائم العطية نادية عليهم في هذه الحملة هم الانكليز سواء منهم من كانوا في حكومة السودان ومن كانوا صيوفاً أو سائحين . ولم يستطع الصحفيون الذين كانوا يدورون في انحاء المكان أن يحصوا انتهاجهم بما كان أمامهم من مظاهر عظمة الامبراطورية وتفوقها ولهم الحق وهم يرون ما لدولتهم من سلطان ومحد أن يبال كل منهم من ذلك السلطان والمحد متاعه

أما المصريون فكان يحال همسهم شعور منهم يحتلط فيه الأسف بالألم تأييد الصمير وكنت تراهم يسير كل منهم مفرداً أكثر الوقت ويطر الى ما حوله بعين العريب الحائر ولم يتد اتان من الناشوات المصريين رلا صيوفاً سراي الحاكم العام عن هذه القاعدة

وكذلك كنت ترى احتلافاً وتناقصاً في احساس المحتجين في هذه الحملة كما كنت ترى احتلافاً وتناهماً في أريائهم

\* \* \*

وحوالي منتصف الساعة السادسة برل لورد ولادي لويد من ساحة السراي الى الحديقة ومعها حاكم السودان العام وبعض الموطمين ، وحمل اللورد وقرينته يطوفان بالخاصين عموماً وأهل

السودان خصوصاً يتعارفون بهم ويصاحبوهم يداً بيد قال صديق :-  
لعل من بين السودانيين من يرى زيادة في الاحترام واكرام  
الوفادة أن يهر يد اللورد واللادي اكثر من مرة ولو كثر هؤلاء  
الممالعون في الاحتفاء لتق ذلك على اللادي نوع خاص  
فأحاب أحد الحاضرين

- ان كل شيء يا صاح مستحب مادام فيه خدمة للامبراطورية  
ولادي لو يد على رقبها واتصالها بالعائلة المالكة في انكلترا تسعد  
عصاثة تمامائة يد ما دام في ذلك للامبراطورية سعادة وعظمة  
وإذا تق عليها الممالعون في الاحتفاء فتلك مستقة يوم له أيام هاء  
وراحة بعده وما مستقة يوم في نظر الانكليزي الى حاب مصلحة  
الامبراطورية الاتمام السعادة

كانت الشمس قد انحدرت الى الميعب فبدأ الناس يصرفون  
جماعات بعضها إثر بعض وابصرفت ومن معي ميممين أحد الأندية  
ومح نذكر عيد الملك يقام في الخرطوم تدكاراً لمرور حالة ملك  
انكلترا وامبراطور الهند بها وفيما مح في حديثنا حات التفاتة من  
أحدنا الى أعلى سراي الحاكم فرد طرفه اليا وقال

- على كل حال فما يرال العلم المصري حماقاً الى حاب العلم  
البريطاني فوق السراي . وفي هذا لنا بعض العراء عن أن يكون  
ملك مصر في الخرطوم عيد كعيد ملك انكلترا

## حكومة السودان في الخرطوم

في مقدمة كتاب لورد كرومر المعنون « عباس الثاني » عبارة يحس الوقوف عليها لحس تقدير وسائل السياسة البريطانية في بلوغ غاياتها وحس ادراك ما تنديه حكومة السودان في الوقت الحاضر من مظاهر التسلط قال اللورد

« ان ححر الراوية في سياسة مصر والسودان أن يصع محل الاعتذار أن ليس تمة رابطة بين الحاكم والمحكوم عند اعدام روابط الحس واللغة والدين والعادات الاجتماعية إلا المصالح المادية وأعظم هذه المصالح خطراً ما كان متعلقاً بالاعفاء المالية لذلك تدعوا كل الظروف السياسية الى أن يحصع جميع الاعتبارات الى ضرورة عامة هي الحرص على تجميع الصرائب وعلى المسؤولين عن ادارة مصر والسودان أن يعتمدوا حد الاعتماد على أنفسهم في تنفيذ سياستهم على القاعدة المتعارف اليها فقليل من يعصدهم في هذه السياسة ذلك بأن الاقتصاد ليس أمراً مرضياً عند الناس وكثير من يوحه اليهم خارج النقد وهم لا يستطيعون الاعتماد الى حد كبير على تأييد الرأي العام المصري أو البريطاني فالانكليز يميلون عادة الى الأحد بما سبق الأحد في انكلترا من اعمال وتحارب وقد ترايدت



نفقات الدولة عديم احيراً الى حد كبير وتقلت الاعباء العامة الملقاة على عاتقهم الى حد كانوا يحسونه مستحيلاً مد وقت قريب وكان من أثر ذلك أن ساء تقدير الرأي العام للاقتصاد وان تلد الشعور القومي الى حد ما نراء ادارة الشؤون المالية في البلاد الخاصة لانكلا

« ولن يملك كثير من كبار الساسة الانكلاير وان تمك الصحافة القوية السلطان عن مواصلة جهودهم في الحت على امهاص التعليم ونشره في مصر إاد يرويه الأساس الأول لساء الحكم الداتي. أما أنا فلا أظن ان مثل ما يلقي في المدارس والكليات من تعليم كان ليعد المصريين يوماً ما لحكم أنفسهم ما لم يحوروا طابعهم القومي مما لا يتم الا تدريجاً وهذه ليست نقطة المحت الآن فاما اريد أن أبحث في نفقات التعايم وأن أس سوء الرأي في التوسع فيه الى حد فرص صرائب باهظة

« وتمت هجمات من نواحي أخرى يحب صدها فقد يلح الاداري العيور ، الذي يقدر ما يستطيع القيام به من خير ، في زيادة الطرق والككاري والمستشفيات وسائر معدات المدينة الحديثة ثم يجهل ، مع الحاجة ، النتائج العيدة التي تترتب على ما تحتاج اليه سرعة تحقيق هذه المشروعات من طائل النفقات

«لذلك يحس بالساسة المسؤولين عن شؤون مصر والسودان ،

بالعالم ما بلغ عظمهم على هذه المشروعات حين محرد البطر الى م  
أن يتعدوا عن الساسة الخياليين اتعادهم عن رجال الاداء  
الدواوين، وان يرحثوا ما يستدعي طائل الفقات من تلك المشاريع -  
التي تستهويهم حتى يثقوا بأن موارد الدولة تحتلها دون أن يتقلاوا  
كاهل الجمهور بالصرائب ليستجعوا انتشار التعليم وخصوصاً التعليم  
الصناعي وتعليم الآلات وليستجعوا كذلك المشروعات العامة وغيرها  
من أسباب التقدم على أن يكون هذا التشجيع بمقدار لا يقتضي  
الالتجاء الى فرض صرائب جديدة ثقيلة »

ليس بين الحاكم والمحكوم ، عدم اعدام روابط الحبس واللعنة  
والدين والعادات ، غير الرابطة المادية هذه كلمة لورد كرومر التي  
تلخص كل ما جاء في العسارة التي نقلها بل التي تلخص الى حد  
كبير سياسة اسكترا في مستعمراتها وفي البلاد التابعة لها وهي التي  
تحمل لهذه السياسة الاستعمارية "البريطانية امتياريًا وتموقًا على غيرها  
من سياسة الدول الاستعمارية الاخرى فليس من عراض السياسة  
البريطانية الاساسية أن تنشر الثقافة الانجوسكسوية في البلاد التي  
تحكمها وليس من عرضها أن تنشر فيها مبادئ الثورة الفرنسية ولا  
أن تحمي فيها الهياآت الدينية المسيحية كل ذلك قد يحدث بطبيعة  
تفوق النفوذ الانكليزي لكنه ليس عرضاً أساسياً متصوداً لذاته .  
اما العرض الاساسي هو تلك 'الروابط المادية بين اسكترا وسائر أحرار

الامبراطورية وتكون هذه الروابط متينة مأمونة العواقب يجب أن لا تكون فائدتها لانسكلترا وحدها ، بل يجب أن تشعر البلاد المحكومة بأن لها من ورائها فائدة محسوسة اول مظاهرها تقص البعثات العامة تقصاً يترتب عليه تخفيض الضرائب وزيادة رفاة المحكومين زيادة تشعرهم الطمأنينة الى حاكميهم

وقد اتبعت هذه السياسة في مصر بدقة تامة مدة وحوود لورد كرومرها ويمكن أن يقال انها اتبعت الى ما قبل الحرب العامة . لكن هذه الحرب أدت الى انقلاب كان من وراءه أب غير المصريين من طابعهم القومي على ما ورد في عبارة لورد كرومر . وكان من وراء ذلك ان اعلن استقلال مصر أما السودان وحكومته في الخرطوم فما تزال السياسة الحارية فيه هي هذه السياسة التي رسمها لورد كرومر في كلمته السابقة

فع ان كثيرين من المقيمين بالخرطوم يشكون من فداحة الضرائب التي يؤدونها ، والتي تلغ ربع قيمة ريع المائي القائمة بها ، تعمل حكومة السودان على ان تكون الضرائب في سائر انحاء البلاد محفصة حتى لا يشعر أهل السودان ثقلها وليس يصير السياسة البريطانية أن تكون ضرائب الخرطوم فداحة واكثر المقيمين في الخرطوم ، كما رأيت من قبل ، ليسوا سودانيين ، بل اكثرهم موطهون وتحار من المصريين والسوريين والأروام وغيرهم وهؤلاء لا شيء من الخطر في أن تعي

الحكومة تحصيل الضرائب التي يدفعونها ويكفيهم أن تعي توفير كل اسباب الراحة والطمأنينة لهم

وتحصيل الضرائب بالنسبة لأهالي السودان أنفسهم موضع عناية دائمة وقد عيدها ونظام أعاء السودان المالية وميرانية ايراداته ومصروفاته الى لورد تسترأحد اكابر الاقتصاديين والمالين الانكليز ورغم ما أنداء من ميل الى ترك هذا المصب الشاق فان رجاء حكومة السودان اياه أن يبقى لمصلحة السودان ولمصلحة الامبراطورية كان اكبر على نفسه أثراً من ميله الخاص ، ففي الخرطوم يعق اكثر بكثير من المرتب الصحم الذي يتقاضاه راصيا بالحياة في هذه البلاد القاصية ليعخدم الامبراطورية ويعخدم السودان معا

تخفيف عبء الضرائب يترتب عليه نقص في ايراد الخزانة العامة فاداً لم يقابل هذا النقص بموارد أخرى تدر ضرائب مباشرة أو غير مباشرة تعدر على الحكومة القيام بواجبها . وميرانية السودان تردد عاماً بعد عام بسبب الموارد الحديدية التي ما فتت حكومة السودان تسعى لحلها تكفل استقلال السودان عما كان من قبل في حاجة اليه وما كانت مصر تؤديه له وقد يدهتك ان تكون زيادة السكان من بين هذه الموارد الحديدية ، كما ان زيادة نشاط السكان من بين هذه الموارد ايضاً وهاتان الزادتان عيت حكومة



السودان مد رمان بعيد توفيرهما من طريق توفير اسباب الصحة في البلاد فقد كانت حمى الملاريا مما يقتك بالسودانيين فتكاً دريماً وما يصعب فيهم اسباب النشاط وما ترال هذه الحمى منتشرة في بعض انحاء السودان لكن الحكومة قاومتها في مناطق كثيرة مقاومة شديدة اتحت ابادتها في هذه المناطق اداة تامة وما ترال الحرب المعلنة على الملاريا ناشئة وما ترال حكومة السودان تعمل على مطاردتها لمصاعمة عدد السكان ولمصاعمة نشاطهم

كذلك عيت الحكومة بمحاربة الزهري المنتشر في السودان انتشاراً مروعاً والذي يحمي على الأعقاب حمايته على الخيل الحاصر. وانك لتعجب أشد الاعجاب بما تدي الحكومة من نشاط وعناية في هذا السيل وهي تعالج الموصى بأحر رهيد الى حد يجعله في حكم المحارب وهي تنشر الدعوة لهذا العلاج في طول البلاد وعرضها بمختلف الوسائل وأطباء الحكومة من السوريين وغير السوريين المنتشرين في اقاصي هذه البلاد التاسعة يعاونون الحكومة المركزية بالخرطوم في هذه المحمودات خير معونة

ومن طريق زيادة السكان وزيادة نشاطهم ترحو الحكومة أن تجد اليد العاملة بمقدار كاف لتستر زراعة القطن في البلاد . فماليين الأفدية في الحرية الواقعة بين النيلين الأزرق والأبيض صالحة لانتاج القطن كما ان أراض واسعة اخرى صالحة لانتاحه .

وإذا كانت التحارب التي تمت في الحرية الى اليوم قد أسعرت عن  
نقص تدريجي في المحصول بسبب الآفات التي تصيبه حتى أصبح  
الهدان الذي كان ينتج اول ررعه خمسة قاطير ونصف القطار من  
صف السكلاريدس لا ينتج إلا قطارين وررع القطار بعد أربع  
أو خمس سين من رراعتة فان شركة الحرية وحكومة السودان  
تأملان التغلب على هذه الآفات بالوسائل العلمية ومتى كان ذلك  
ممكناً فتسكلة اليد العاملة هي المتسكلة الكبرى والتغلب عليها  
لا يكون إلا بزيادة السكان وزيادة نشاطهم

ومسألة آفات القطر هي الآن من المسائل التي تستعد من  
حكومة السودان عناية كبرى وقد تخصص للبحث في هذه الآفات  
وعلاجها أربعة عشر عالماً باتياً من خير علماء الاسكاير في هذا الامر  
يقيمون بالخرطوم كما ان في لندرة جمعية علمية باقية تتصامم وهؤلاء  
العلماء في عملهم وأبحاثهم فأذا مسح هؤلاء في مقاومة آفة القطر  
نجاح قلم الصحة في مقاومة الملاريا وارهري كفالت الحكومة محصولاً  
واوفاً من القطر يحقق الى حد كبير ماترعي السياسة الامراضورية  
اليه من رعد السوداين وفائدة انكلترا وفائدة كبرى

وفي انتظار تحقيق هذه العايات تعمل الحكومة لا كثار الدسية  
وجعلها من مواد التصدير دات الايراد كما تعمل بترويج حاصلات  
السودان ترويجاً يتفق ومصلحة انكلترا

ولكي تكون هذه المحبوبات مستحبة يجب أن يكون الأمن شاملاً البلاد وأن تكون في سلم بعضها مع بعض وهذا هو موضع عناية الحكومة الإداري وهي في سبيله لا تلتقي من المشتقات ما تلاقيه حكومة مقيدة بأبظية خاصة ترمي إلى حماية حرية الأفراد في صورها المختلفة ونظام الأحكام العرفية ما يرال هو النظام السائد في السودان وكلمة الحاكم العام هي الكلمة العليا للعادة

\* \* \*

ويبدو في مصالح حكومة السودان المختلفة نشاط كبير فأول ما برز الحارطوم في الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم السبت ١٩ يناير سنة ١٩٢٦ دعا مدير المحاربات - وهو كمدير الأمن العام في مصر - الصحفيين إلى اجتماع عنده الساعة السادسة وذهبت في الموعد بعد أن احتارت السيارة في شوارع تربة، وصعدت في بناء قليل الارتفاع قليل الوحاهة والمائة على سلم صيق من حجر الحل حتى انتهت إلى عرفة المدير فألقيت الصحفيين حالسين على مقاعد أدركت لأول ما رأيتها أنها أحصرت حصيصاً لهذه العاية وإن المكان ليس به عادة غير مقعد المدير وكان هناك رئيس مصلحة التلغرافات فلما انتظم عقدنا تشرح مدير المحاربات برنامج أياما في الحارطوم وبرنامج حملة افتتاح الحراة في يوم الأحد للراحة من عناء السفر وليصنع كل به ما شاء ويوم الاثنين عيد الملك والصحفيون مدعوون فيه لحضور

حملة التسيي ويوم الثلاثاء لا عمل فيه أما الاربعاء في مساءه يسافر الجميع الى مكوار حيث يحصرون الحملة ليعودوا الى الخرطوم صباح الجمعة ويوم الاحد يسافرون قافلين الى حلما والقاهرة

علي أن العرض من الاجتماع عند مدير المحاربات لم يكن مجرد معرفة البرنامج ، بل كان للتفاهم على طريقة ارسال الرقيات من مكوار ومن بركات ، من غير ان يرتك الخط بكثرتها ، ومن غير أن يرتك الصحيون اذا اضطروا الى الذهاب لمكتب التلغراف والى دفع الأحمور وانتهى الحال بالاتفاق على ان تعطى الخطب التي ستلقى في الاحتفال طهر الأربعاء على أن لا تداع إلا بعد القائها طهر الخميس وكان ذلك يسيراً بأعطاء الأشارة الى مصلحة التلغرافات في اقاهرة وفي لدره كى لا تورع الخطب الا بعد صدور أوامر أخرى . واتفق كذلك على أن يرسل كل مدوب من مدوبي الصحافة عدداً معيناً من الكلمات لا يتعداه حتى لا يردحم الخط وتتأخر الرسائل ، وعلى أن يدفع كل صحفي تأميناً بالخرطوم فلا يضطر الى الذهاب بنفسه الى مكتب التلغراف في مكوار وبركات بل ترسل هذه المكاتب مدوب من قبلها يتلقى التلغرافات من الصحفيين

وفي صباح اليوم التالي ذهبت اقبال رئيس مصلحة التلغرافات لأدفع التأمين ولتم التفاهم على ما اتفقنا بحضرة مدير المحاربات عليه وكان معي صحفي ذهب لتمل العاية التي ذهبت اليها ، فأعينا عرفة هذا الرئيس



الانكليزي عاية في البساطة ولم يحد عبده ما لمجلس عليه مما اضطره لاستعارة مقاعد من العرف المحاورة . ولم يطل بيبا الحديث ولم يعد العاية التي قصدنا اليه لقصائنها ، وفي دقائق نادية اليه الموططين المختصين محاوذا لنا بالتداكر الصحية ، وتسلموا مبلغ التأمين الذي أردنا دفعه وتركنا المكتب بعد دقائق معدودة وعلى أثر حروحا أحد أصحاب المقاعد مقاعدهم .

وبرلنا من عددهم مرربا رئيس مكتب يريد الخرطوم، وهو مصري من الاقباط له بالسودان أكثر من عشرين سنة، ومع ما قالنا به من الشر والحقاوة لم يحد عبده هو الآخر مقاعد مجلس اليها ولما لم يكن لنا عبده عمل حاص استأدينا وطل مصرفا لعمله مكنا عليه وسأله عن ساعات العمل فأدا متوسطها في اليوم بين ست وثمان لكها مع هذا الانكباب على العمل تكفل الحار حط مه عظيم

وهذا النشاط تشهد به في غير هدين من مصالح حكومة السودان ولعل النظام العربي الذي تحصع له هذه البلاد والذي يجعل كلمة الحاكم العام العليا في كل شيء له أثره في هذا النشاط الدائم ولئن صح هذا لكان مصداقا لأن المادي المطلق لا وجود لها في الحياة فليس شيء حيرا مطلقا وليس شيء شرا مطلقا ، بل في كل شيء من الخير والشر والنع والصر نصيب ومن استطاع أن يعلب حاب الخير في شيء من الأشياء أوفي نظام من النظم فذلك العامل الحكيم

على ان هذا التساط الذي رأيت لا يتعدى ما يقضي به الروابط  
المادية التي أشار اليها لورد كرومر في كلمته التي صدر بها هذا الفصل.  
فكل ما سوى ادارة شؤون المال والعمل لزيادة انتاج اهلها لا يظهر  
له في حكومة السودان بالحرطوم أثر كبير وقد رأيت في العطرة  
كيف تقف المدارس التابعة للحكومة عند تحريم صغار الموظفين ومن  
يقومون ببعض اعمال الدولة الحكومية كالكتابة والتعارف وكيف  
تقف مدرسة الامر يكان عند تعليم الاناء بما لا يريد عن مقابل  
السنة الثالثة الابتدائية وعناية الحكومة الرئيسية في الحرطوم بشؤون  
التعليم لا تتجاوز مثل هذا الذي رأيت عند العطرة كثيراً في  
الحرطوم حقاً كلية عردون وبها مدرسة للطب انتت حديثاً  
وسيت على طرار كليات اسكلترا لكن التعليم في كلية عردون  
لا يتعدى التعليم التاوي على نظامه القديم وراحه القديمة في مصر ،  
أي انه لا يتعدى أن يكون وسيلة لتحريج موظفين أرقى من الموظفين  
الذين تحرحيم مدارس العطرة وغيرها من السلال الأخرى في  
السودان ومدرسة الطب لا تزال مدرسة حديثة افتتحت مد عام  
واحد وطلتها لا يريد عددهم على اتى عتر طائلاً وما يرال نظام  
تعليمهم غير محدد ، وهو يح أن يتفق مع السياسة العامة التي ترمي  
إلى اقامة العلائق المادية الحسنة بين الحاكمين والمحكومين ليس غير  
وقد يكون لحكومة السودان العذر اذا تسنت مبدء السياسة في

السودان فالسودان بلاد واسعة مترامية الأطراف وأهلها ما يرالون على حانب من السداحة عظيم وميرايتها لا تتجاوز الى اليوم خمسة ملايين رعم ما بدل من العاية لتطيمها وريادة ايراداتها وما ترال طرق المواصلات فيها قليلة رعم سكة الحديد التي اشأها الحبش المصري بين حلما والخرطوم ورعم المستآت التي تمت بعد ذلك فوصلت ما بين الخرطوم والأبيض وما بين العطارة وور سودان وكسلا وما لم توطد الحكومة أركان الأمن في البلاد وتشعر المحكومين بأنها تجمع في معاملتهم بين السلطان عليهم والبرهم فليس يسيراً عليها ان تحقق مصلحة الامبراطورية ومصلحة السودان بالنعية لها

فأما شعور المحكومين سلطان الحكومة عليهم فمطهره القوة المسلحة التي تعلت على التعايتى وفتحت السودان واحصعت عصاته ولئن كانت هذه القوة الأولى مصرية فالانكاير يعتقدون أن وحودهم على رئاستها يجعل أهل البلاد يعتقدون أنهم وحودهم هم أصحاب الكلمة سواء أنقيت هذه القوة في البلاد أم احرحت منها وأما بر الحكومة فمن مطاهره ما قدما من عبايتها بالسكان وصحتهم ونشاطهم وتحميصها الصرائب المباشرة عليهم ، كما ان من مطاهره هذه الألقاب وكسى التشريفة التي وقفت على شيء من أمرها يوم عيد الملك والتي يحرص رعماء السودان ورؤساء قائله عليها حرصاً شديداً



يدل على انها ذات تأثير شديد على الدين يقعون تحت رئاستهم أو  
رعائهم من السودانيين روى لي كبير من الموظفين بحكومة السودان  
ان الحكومة اذا عصت على أحد هؤلاء الرعاء استردت منه كسوته  
ولا تسل عن المساعي التي يدلها هذا الرعيم في سبيل استعادة هذه  
الكسوة، ولا تسل عن العهود التي يقطعها على نفسه متى عادت الكسوة  
اليه ثم ان من هذه الكسي رياء قديماً أحمر اللون عدلت عنه  
الحكومة الى الري الكحلي والكسوة اذا بليت ردها صاحبها  
الى الحكومة فأبدلته منها غيرها وقد لوحظ ان من اصحاب  
الكسي الحمراء من يفصل ارتداء القديم منها على الري الحديد لأن  
الحديد كحلي ولأن الأحمر أكثر بهجة ولعله أشد أثراً على المرووسين  
وليكون الناس أكثر شعوراً بهر الحكومة منهم تنظم الحكومة  
الدعوة في الحياء البلاد للاستفادة بهذا البر ولتذكير الناس بما  
كانوا حاصعين له من قبل من التوان الاصطهاد وما كان يتناهم في  
الماضي من مظالم ومعارم وعثر وما كانت الصحافة قليلة الحدوى في  
بلاد قل فيها من يقرأ ويكتب كانت الدعوى الشيعوية على لسان موظفي  
الحكومة والمتصلين بها من الدين يتكلمون لغة البلاد، سواء منهم من  
كان من أهلها ومن كان أجنبياً عنها، هي العمدة في هذه الدعوة التي  
تساعد الى حد كبير على تأييد النظام والطائفة في روع السودان



على أن بعض الدعاة يعلنون في دعوتهم الى غير حد وادا صح ما سمعته من أن احدهم يدس وحوذ مرص الرهري في السودان الى أيام دخول العرب فيه مدقرون ماضية كان ذلك أدل ما يكون على المبالغة والاعراق فيها . فأن هذا المرص -الذي يسميه كثير من أهل الريف في مصر « بالافرنحي » إشارة الى دخوله مع الافرنج أيام الحملة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر- لم يعرف في مصر ولا في السودان قبل ذلك التاريخ . دع حاشا اعراق الدعاة في تشويه الحكم المصري في السودان فهذا ما سمعته من كثير من كتاب الانكليز وخطائهم في انكلترا وهذا ما يعود اليه في فصل مقل .

على ان عدم حدود الصحافة في بلاد كالسودان لم يمنع حكومة السودان من الفتح من أن تشمل بعائتها حريدة كانت من قبل ذات اتصال بحريدة المقطم في مصر تلك «حصارة السودان» وقد طلت هذه الحريدة متصلة بالمقطم الى أن اتجه بطر الحكومة الانكليزية ليرع السودان من هود مصر من حينئذ استقلت حصارة السودان وصارت متصلة بحكومة السودان وعهد تحريرها الى واحد من أهالي السودان الذين تعلموا في الأهر

وهذه خطوة في تمديد السياسة البريطانية التي تقضى بأن تكون وظائف حكومة السودان للسودانيين قدر المستطاع وخطوة ومتلها أن حرمت الحكومة على غير السودانيين الالتحاق بكلية عردون بعد ان

كان المصريون والسوريون يلتحقون بها والعرض من ذلك أن يرداد عدد المتحربين من هذه الكلية من أهالي البلاد لتسد اليهم الوظائف الصغيرة في حكومة بلادهم لكن هذه ماتزال خطوات صيقة. وما يزال أكثر موطنى حكومة السودان من المصريين ومن السوريين. ورغم ما كان من إحراج عدد كبير من الموظفين المصريين بعد أن نشرت حكومة العمال البريطانية الكتاب الأبيض الذي صدر في ١٧ أكتوبر سنة ١٩٢٢ توقيع رئيسها مستر ماكدونالد على أثر المفاوضات التي حرت فيه وبين رئيس الحكومة المصرية في ذلك الوقت سعد باشا رعلول وبعد الأندار الانكليزي الذي وحت به حكومة المحافظين الانكليزية في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٤ على أثر مقتل حاكم السودان العام السير لي ستاك باشا - رغم ذلك فما زال في خدمة حكومة السودان عدد عظيم من المصريين الذين لم يطهروا ولم يكن لهم دور في الحركات السياسية التي قامت في السودان سنة ١٩٢٤ وبعض هؤلاء المصريين مسلمون وأكثرهم مسيحيون. أما السوريون فما زالوا في خدمة حكومة السودان كما كانوا من قبل وما زالت الثقة بهم أكيدة مطمئة وهم لا ريب أهل لهذه الثقة لأنهم يقومون بخدمة الحكومة القائمة خير قيام ولم لا وليست لهم ولا لبلادهم في السودان مطالب سياسية تحرك منهم عصاً أو عاطفة يحشى أن يكون لها في السودان أثر ، وليست تتحرك أعصابهم ولا

عواطفهم إلا لما يصيب بلادهم . فهم دائمو التحدث عنها والحين لها ، كما أن كثيرين منهم ما يقتأون بمدونها بما يوحون على انفسهم إمدادها به

وهؤلاء الموطعون في حكومة السودان من السوريين والمصريين يعملون بما يعمل به الرؤساء الانكليز من نشاط وهمة وهم يعدون السياسة التي يرسمها هؤلاء الرؤساء بدمه ودقة . وهذه السياسة تتلخص فيما تطلبه في صدر هذا الفصل من كتاب اللورد كرومر تحسين العلاقات لمادية بين الحاكمين والمحكومين وهي من غير براع حير سياسة يمكن اتاعها في بلاد لا تجمع الحاكم والمحكوم فيها رابطة من حسن أولعة أودين

---

## يوم أم درمان

كان ذلك يوم الثلاثاء ١٩ يناير سنة ١٩٢٦ قمت مكرراً  
فصرت بأشعة الشمس تطل من خلال الباقدة المقعلة طول الليل  
وكأنيها يد أم رؤوم تلمس على أنفها بحان وعطف كي توقطه من يومه .  
وسمعت وما أراي ناعماً بدفء العطاء اصوات العصافير في حديقة  
المدق وكلها الهبة بمشرق الشمس وبعود النهار والور وحاء  
الحادم بالتاي والسكوت فطلت اليه أن يحصر طعام الافطار  
بالعزفة حتى لا أصيب الوقت وكي أدرك وصديقي ترام الخرطوم الذي  
يقوم في منتصف الساعة التاسعة قاصداً المقر لتقلنا الباحة بعد ذلك  
عبر السيل الى سواطيء أم درمان

وكما عد المقر حوالي الساعة التاسعة . وانتقلنا من الترام الى  
الباحة وانتقل معنا كثيرون من السائحين ومع بعضهم عربة  
اتوا بها ليطوفوا أم درمان فيها ، كما انتقل مع جماعة من الأهالي الحمر  
والدواب وظل هؤلاء في الطابق الأسفل بينما صعد الذين يدفعون  
أحر الدوحة الأولى الى الطابق الأعلى ونحركات الباحة على هون  
وفي هدأة وسكون بعد ما انقضى ما كان لصغيرها قبل تحركها من  
رفير في الهواء وشهيق



واستدارت اللاحرة فادا أم درمان ما ترال في الحب وإدا  
أكثر المسافرين يوجهون أنصارهم صوب الخرطوم يطمع كل منهم  
في أن يشملها جميعاً نظرة واحدة. وتندى الشارع الممتد على شاطئ  
اليل الأرق قامت عليه الاتسار الصحبة مكللة الهام محصرة راهية،  
كما تدت من وراءه بعض مائي الخرطوم وطرقها كأها صوامع  
سالك تترت في الصحراء على مقربة من واحة دات حصص ونماء.  
وطلت اللاحرة تستدير إراء حريرة توتي رهاء ساعة حتى إداء قاربا  
الشاطئ وحه المسافرون أنصارهم صوب عاصمة الدراويش ألا إن  
للدين يعصون بالخرطوم لعدرا ! فهذه المدينة القديمة لايرين شاطئ  
يلها الأبيض ما يرين شاطئ ييل الخرطوم الأرق من الشحر بل  
يقع الطر عند مرسى اللاحرة على رمال صحراوية امت مصطر كي  
تتخطاها إلى أن تعوص أقدامك فيها فادا حررتها بعد حيد وبلعت  
تراماً هو انرام الخرطوم صو وتوأم صادفت عيك من المساكن  
والمائي ما يرور عه بصرك لحقارته وقدارته لكك تستعر كلما سار  
الترام وتعلل في المدينة لك في مدينة سوداية حقاً، وترى بعد برهة  
أن المائي الواقعة عند المورد عوان سيء لأم درمان، وأن فيها مثل  
ما في الخرطوم من المارل والمتاخر والماطر وإن لم يكن فيها ما في مقر  
حكومة السودان من اصواء الكهراء ومن مظاهر المدينة التي أقامها

الحاكمون في مقر حكمهم للترفيه عن أنفسهم ولتيسير لهم الحياة في  
حو وفي بيئة وفي سطر لم يألوها

برلينا من الترام عند متحر مصري من أهل اسوان عرفاه في  
الخرطوم ولست أعلو ان أنا قلت ان هذا المتحر وبعض المتاحر  
الواقعة الى حابه أحمل وأدعي للاحترام من أكثر متاحر الخرطوم.  
على أن ذلك ليس عجا وصاحبه يتصل بالانكسار مباشرة وعنده في  
مصر تحارة كبرى وقد قابلنا بالترحاب وسأنا ان كما شرب  
« الحسة » ، والحسة قهوة أهل السودان وانتظرت لأرى أي نوع  
من القهوة يصنع هؤلاء الذين ما زالوا يعيشون عيش البداوة  
واستعرضت أثناء انتطاري صفوف القهوة الساحة والباردة مما يصنع  
في مصر وفي اوربا فوجد في مصر بطحن البن وضعه في الماء الى أن  
يعلى ثم يشربه ، أما في اوربا فيدقون البن حتى يتكسر ثم يصون  
الماء العالي في مصفاة وضع فيها البن كي يمر الماء به ويأال حيره وما دام  
أهل اوربا أكثر ما حصاره فبدأ اندرج في صناعة القهوة يبعث  
الى الدهن ان أهل السودان يسهون البن سفا وكنت افكر في  
شيء من هذا حين جاءت « الحسة » فتدري ماهي ، وعاء كروي  
من الفخار له فوهة صيقة طويلة يوضع البن فيه بعد أن يدق حتى يتكسر  
ويعلى بعد ذلك في الماء ثم تعطى فوهة الحسة قطعة بطيعة من ياف  
السحل كي تحجب البن المدقوق كي تحجبه مصفاة الفضة والمعدن حين

يصبي الماء وهذه هي قهوة أهل السودان ! أرايت هي إذن كقهوة  
الأوربيين سواء سواء لا فرق بينهما الا في الالاء التي تصنع فيه .  
وإذن فقد تتفق ارقى صور الحصاره مع أسط صور السداوة ثم لا  
يكون بينهما فرق الا في الصورة والمظهر ويكون هذا المظهر وحده  
هو الذي يحول لأصحابه حق حكم الآخرين والتحدث عليهم .

وقمت وصاحي أرود عاصمة الدراويش لأرى بلداً سودانياً بالفعل .  
ما أكر الفرق بينهما وبين الخرطوم ! إن بها لأرقة صيقة تعمر  
الخرطوم وتوارعها الواسعة من صيقتها ، وإن بها من الصاعات الوطنية  
الحقيرة ما لا يتفق ومظاهر النظام الانكليزي وكل ما استحدثت فيها  
من أسواق كبيرة ومن بعض شوارع وطرق واسعة لم يعبر ساحتها  
كمدينة سودانية انظر الى الرقاق الصيق المسقوف بألواح من  
الختب والذي يعيد الى ذهبت مطر الحيمية والمحامين بالقاهرة هذا  
هو مقام صاع المراكيب السودانية وصاع المراكيب السودانية  
لا يستوردون الخلد مدوعاً ولا يلحأون في دباعته الى أحدث الوسائل  
العالمية ، بل هم يكتفون أكثر الأمر بألقاء في الشمس حتى يحمره  
لطاها ومن الخلد الذي لم يحمر بعد ما هو ملقي أمام دكا كن أهل  
هذه الصاعة الست تستعر الآن يريجه في اهك وبأثر ذلك في  
خوفك وأمعائك ؟ ! وانظر الى ذلك الشارع الكبير عنوان المدينة .  
أليس يحى دكرى شارع الحاسين في أواخر القرن الماضي .



فهؤلاء العطارون قد بررت دكا كيهم في الشارع وحلس كل واحد  
مهم في هية ووقار كأنما هو قاصي التريفة وهذا دكان حوهرى  
ما تكاد ترى فيه حوهرة واحدة وان رأيت بعض آية دقيقة وصاحبه  
فيه حالس وكأنه أحد يهود الصاعة ثم قف الآن قليلا فتمع باطرك  
بصاعة وطنية تحدث السائح من الأفرح وعبر الأفرح إليها هذه  
صاعة العاج فهذا س ويل قد حوف ورسمت فيه فيلة تصغر واحدا  
بعد الآخر كلما قربت من ناحية الس الدقيقة . وهذه رحارف طريقة  
من العاج مموهة بالذهب أو بالعصاة لكن هذه الصاعة الوطنية  
الطريقة الثمينة ما ترال متأخرة عن مثلها في مصر تأخرأ كثيرا وما  
ترال توصل في دكا كين لا سبيل لمقارنتها بمتل متأخر الخرطوم دعك  
الى جانب هذا من كثير من مظاهر النؤس والفاقة مما حشا على وصف  
بعض منه عند أسواق الخرطوم وعند محارن حبوب سكة الحديد  
مع هذا كله وأم درمان مدينة لها حياة المدينة وفي هذه الأربعة  
والطرق والتوارع معاند تحدث عن أحبال وأحبال . ولهذا الماني  
القديمة العير المنتظمة تاريخ ، عدم انتظامها أول شاهد عليه كلا !  
ليست أم درمان عربة أو مرععة لما لك حططها كما شاء له هواه ،  
ولكنها قدس لقصور كدست فوق قور وهل في غير القصور حياة  
وحصارة ؟ بل إنك لترى نفسك وأنت أمام فصاء عظيم فيها لا يفصل  
به وبين الطريق الا حاجر محصن من بنا ، قد شعرت نسيء من



الحلال يملأ بسك ومن الهية تفيض بها حوائجك ذلك حين تقف  
أمام جامع المهدي حيث يوجد أثر قهره . فهذا الجامع ليس كغيره  
من المساحد ليس كمسجد الخرطوم ومسجد أم درمان وأمثالهما مما  
ترى في بلاد المسلمين طرا بل هو فضاء مسطح ما تكاد تحيط العين  
به في نظرة لعظيم سعته ، وليس بينه وبين الطريق إلا أسوار بلع من  
قلة ارتفاعها أمها لا تحجب أرض الفضاء الذي تحيط به عن عين  
الواقف على مقربة منها لكه جامع المهدي ومحسك أن يذكر  
هذا الاسم حتى يمتلأ هذا الفضاء أمامك بالصورة والمعاني وحتى ترى  
عين بصيرتك حيلاً كاملاً من أهل هذه الاصقاع وقد حشد في  
هذا المكان وحر ساعة الصلاة ساحداً مؤمناً بأن إمامه ومملكه  
رسول الله أو خليفة رسوله أو هو الذي تحسد لهدى الناس وحلاصهم  
أحل وفي هذا الفضاء جمع المهدي أهل السودان جميعاً حيلاً بل  
أحياناً وفي أم درمان كانت مئات الألوف مما راد على المليون وعلى  
المليونين أحياناً ، وكلهم يؤمن بالمهدي ويرى فيه روح القدس وما يرال  
هذا الفضاء فضاء كما كان ولئن دسسته أقدام لا تؤمن قلوب أربابها  
بقداسة المهدي مثل ذلك الإيمان القديم والشمس التي طلعت على  
المهدي وعباده ما ترال تطلع فتعت من أشعتها ما يحيي أمام الحيال  
كل هذا المطر القوي الحي مطر المؤمنين أشد الإيمان المتعصبين  
أشد التعصب يحيطون بعبودهم يحلوه ويقدسونه وما يرال

السودانيون وغير السودانيين اذ يملكون هذا المكان ويدكرون هذا التاريخ تمتلئ هوسهم اكثراً وإحلالاً فاداً ذكروا كيف احلى المهدي حدود مصر عن السودان وكيف امتلأ رأسه بأحلام العرو والفتح باسم الجهاد وكيف عاحلته المون بعد ذلك، ثم كيف دس قهره بعد اعاده فتح السودان وكيف درى حثامه ومثل محمته، اذن لرأوا هذا الفصاء من الأرض مملوءاً بالأرواح ولتمثلوا فيه كل معاني ذلك العصر القريب ما والبعيد عما والذي يجمع على أم درمان معي اصاعت الخرطوم ما فيها من مثله بعد عمارتها على الصورة الحديثة التي رآها بها

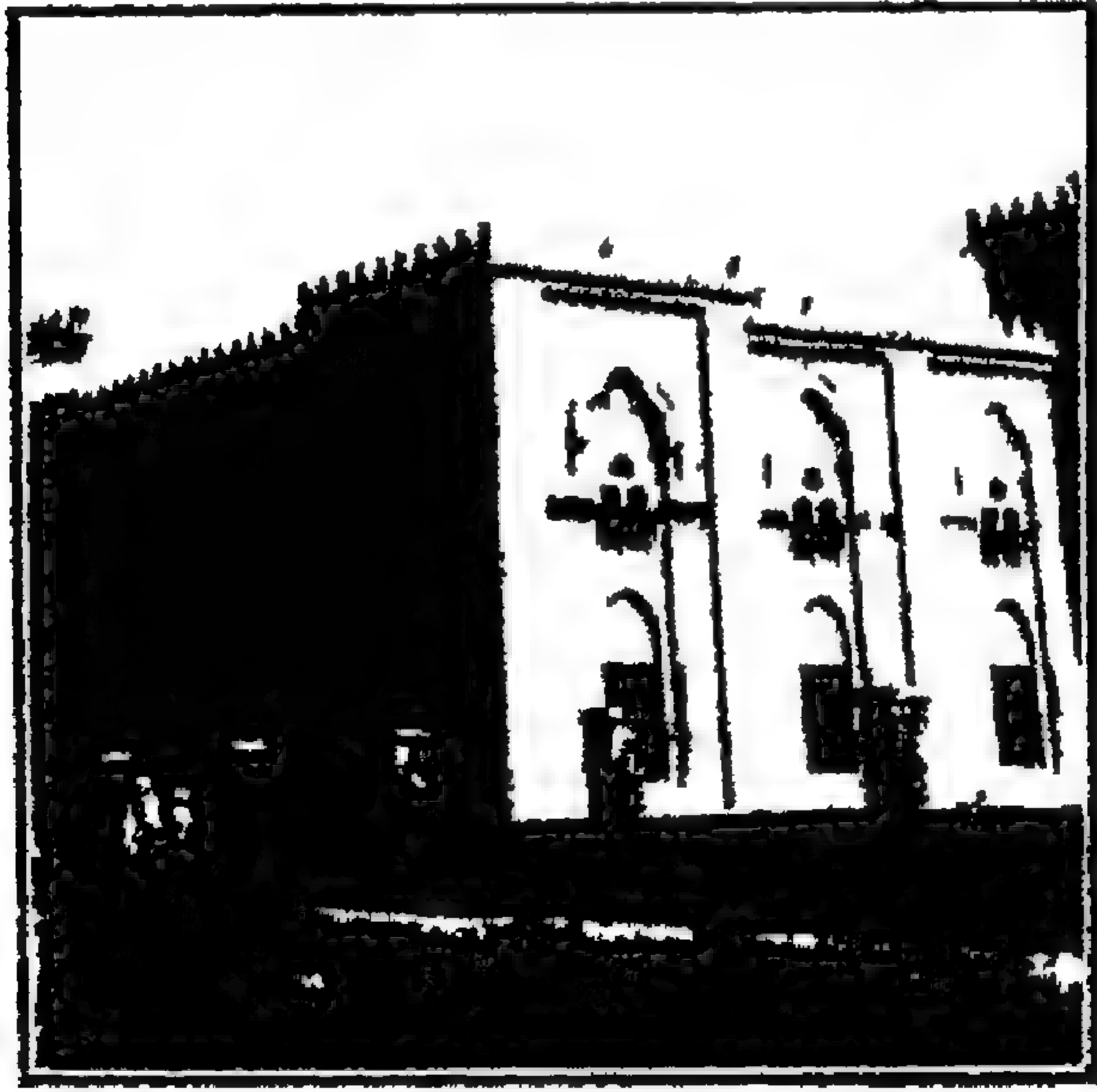
على ان رحلاً من الدين عمروا هذا الفصاء أيام كان يدوي باسم المهدي وكان له فيه يومئذ شأن يذكر ما يرال حياً يرق ذلك هو عثمان دقه فقد كان هذا الرجل قائداً يبشر دعوة المهدي في شرق السودان بينما كان المهدي ما يرال في الايصر وما ترال دراويسته بعيدة عن الخرطوم وعن أم درمان فلما استتب له الأمر بعد ما اضطروا المصريون بمشورة الاسكندر الى ان تحلي عن السودان كان عثمان دقه في طلائع قواته وقواده وذا اعيد فتح السودان بقيادة السردار ككتشيد بعد ثلاثة عشر عاماً من وفاة المهدي قص على عثمان دقه أن كان أمره قد استعمل وشوكته قد قويت وظل هذا الرجل في السحن وما يرال فيه وكاتب حكومة السودان

قد أدت له في اداء فريضة الحج مد عامين فسافر مع شاب من  
أقرانه يريد بيت الله الحرام راحياً أن يقضي بمكة ما بقي من أيامه .  
فلما نشبت الحرب بين سلطان محمد وملك الحجار عاد ادراجه الى  
السودان وردته الحكومة فيه الى معتقله وهو قد بلغ اليوم من  
الكره عتياً وابلك لتشفق على رجل مثله تحدثت به الشيخوخة  
الى أحلام الطفولة من حديد حين تسمع ما كان من قصته مع  
السردار ستاك ناشا حين رآه عام ١٩٢٤ ، فلما سأله عن شأنه  
وما يمكن أن يتكلم به وما يمكن أن يستهي كان جواب العجوز  
المتهدم الذي اهتر السودان من أعماله وأعمال رجاله سين تناغاً  
لست أشكو إلا من شيء واحد ذلك أنهم كانوا يحيثوني من بلح  
التمر كل يوم بأربعين ومائة بلحة أما الآن فلم يعودوا يحيثوني إلا  
تسعين هذا كان كل همه وتلك كانت شكواه وفي عد التمر الذي  
يؤتى له به كل يوم كان يقضي وقته وسأل السردار في هذا الأمر  
الخطير فعلم أنهم كانوا يحيثون له تمر صغير ثم رأوا هذا التمر الكبير  
حيراً له قال السردار أعيدوا اليه بلحاته الصغار كما كانت أربعين  
ومائة ولا تكلفوا عقله وأعصابه كل هذا الاجهاد الذي شكاه اليوم  
لسلته

هذه النقية من عثمان دقه ، هذا الطلل الذي يدب التمرات  
التسعين بعد ما كان صاحبه في السباب لا يعرف غير المطش والثورة

هو الآن حافت كذلك العشاء الصامت اليوم بعد أن كان اسم الله  
واسم المهدي يدويان فيه كل يوم دوي الرعد وبعد أن كان له ما  
للرعد من ندر السماء

فإذا أنت حاورت هذا العشاء الممتليء بصور الماضي وسرت في  
طريقك متحياً إلى وسط أم درمان رأيت عن يمينك مسجد أم درمان  
الذي شيد كما شيد مسجد الخرطوم على طراز حديث ولما يشهد من  
عمر التاريخ ما يحدث به وهو اس عصرك ومن عمارة أقرانك



مسجد أم درمان

\*\*\*

وأم درمان بلدة سودانية صحيحة نك ترى فيها بعض ما ترى



في الخرطوم من متاجر للسوريين وللمصريين ولجماعة من الاوربيين .  
لكن هذه المتاجر ليست قوام حياة أم درمان ، بينما هي قوام حياة  
الخرطوم ثم أنت ترى أبدأ الى جانبها مظاهر نشاط السودانيين  
أنفسهم بل أنت ترى على هذه المتاجر مساحة من معنى السودان  
لا تراها على متاجر عاصمة السودان . فادا أوعلت قليلاً في قلب  
البلد رأيت الحياة السوداية بكل معانيها ورأيت شيئاً عجمياً .  
فالسودانيون في هذه الحياة السوداية ليسوا كأمثالهم في حو الخرطوم .  
فقراء الخرطوم من السودانيين تدو عليهم وحتة الفاقة وألمها  
وئوسها . أما فقراء ام درمان فلا يأتون انتسامة للحياة تسهر عن  
اساهم البصاء الناصعة ولعل السري ذلك ان هؤلاء يلشون مع  
حو بلادهم وليس بينهم وبين ما حولهم من الناس والكائنات مثل  
ما بين اولئك وما يعم به الحكم من أسباب الرعد والرفاهية .  
أو لعله التعور بالحرية أن ليس بينهم وبين الحكم من الروابط  
القرية ما يجعلهم دائمي الاحساس بمراقبتهم اياهم مراقبة صيقة على  
كل حال فان السودانيين والسودايات هما اكثر مرحاً وأشد  
بالحياة اعتباطاً مرربا سودايات تباع (الرهط) فوقف صاحبي  
يساوهم والرهط لباس الفتيات يأترون به ما دمن أنكاراً .  
وهو حرام من حلد يلع عرصه قيراطين أو ثلاثة قراريط ، تتدلى  
مه حيوط رفيعة من الحلد ايضاً ، وهي كتيرة كتيفة ، فإدا سدت

الفتاة حرام الرهط على حصرها مترتها هذه الحيوط حتى ركتها .  
وليس يحصرني للرهط منه فيما تقع عليه عين اهل الحصاره إلا لباس  
بعض الراقصات في الاوبرا وغيرها من المسارح الكبرى غير  
أن فيه وبين لباس الراقصة ما بين ( الحسة ) وإباء القهوة  
الفرسية من فرق فادا تروحت السكر السوداية حلت الرهط  
واتررت بالقماش مكانه

وقف صاحي يساوم نائعات الرهط ويسألن ما بال هذا الرهط  
أحمر مصوع وذلك الآخر على لونه الطبيعي ؟ فانتست المقبرة  
السوداية انتسامة قاعة وحاهدت لتفيمنا واحتهدنا لنفهم أن هذا  
المصوع أحط في صف حله من الآخر وهو لذلك أقل منه تمًا .  
ولتريدنا اقتناعًا تناولت من تحت مقعدها حلدين أحدهما أرق من  
الآخر حالاً وهو الذي يصنع لتواري الصاعه سواته ثم أمسكت  
بمياها بصلاً لسكين قديم ولعت بعض الخلد على اهام قدمها وتشدته  
اليها بيسرى يديها وأرادت أن تريبها كيف تصنع حيوط الرهط  
المتدلية من حرامه كل ذلك من غير أن تفارق فاما انتسامته  
الناطقة بالطأينة لتطف العيش بل لنؤس الحياة

قال صاحب من السوريين المقيمين في أم درمان كان معاً  
ليت الحط يتيح لكم أن تشهدوا حفل رواحها كنتم فيه ترون  
صورة طريفة من صور الحياة السوداية وكنتم تدهشون مما فيه من

شبه بالحملات الاوربية مع اسراف في التقدم والتراجع على الاوربيين.  
في هذا الحفل يجتمع نساء الطبقة التي منها العروس فيرقصن ويعين.  
ثم يتقدم الخطيب الى عروسه يراقصها وهي اذ ذاك عارية لا يسترها  
إلا هذا الرهط الذي ترون فاداً تم دور الرقص أمسك بيده سحاً  
من حيوط الرهط فحدها حدة واحدة فان اقتلعها فهذا الرجل الذي  
تحر به عروسه أما ان عجز عن اقتلاعها فله ولها العار والحل  
وكثيراً ما يترتب على العجز من حابه فسح الرواح  
قال صاحبي الذي جاء واياي من الخرطوم

— وما برع حيوط الرهط الى حاب تراوح تسان حمر الهود ؟  
فلمست أدكر أين قرأت عنهم ان التسان الذين يريدون الرواح  
يحصرون الى حلقة تقف حولها نساء القبيلة ثم يتقدم كل شاب الى  
من يبرع ما حول أحد صلوعه من اللحم وتتر حول الصلوع حلقة من  
حديد يتشد اليها حل متين يربط بعد ذلك الى شجرة او بحوها  
وبعد ذلك يتراجع الفتى للوراء بكل قوته حتى يكسر صلعه وتخرج  
من صدره حلقة الحديد وأي التسان كان اكثر احتمالاً للألم حتى  
تتمام هذه العملية القاسية فله أن يختار من نساء القبيلة من شاء أما  
ها فما أحسب حذب حيوط الرهط السبع وانتراعها إلا ايداناً بأن  
أيام الرهط انتهت وأن الفتاة أن تكون امرأة  
ثم تابع السوري المقيم بأمر درمان حديثه

— لعلك لم تعد الحق في شيء فقد سمعت ان الفتيات كثيراً  
ما يحررن الحيوط السبع قبل رقصة العرس حتى لا تستعصي على  
الخطيب فلا يكون اتراعه إياها إلا وسيلة اعلان المحرط عرسه في  
سلك النساء وحروحها من سلك السات .

\*\*\*

وتركنا السوق وصاغات الرهط وناثعته وعددا أذراحا لتناول  
طعام العداء عند تاجر سوري طريف دعانا الى بيته وبنت هد  
التاجر مثل لغيره من بيوت السودان صنع من اللبن أو من  
« الخالوس » وجمعت نوافده على الحبتين الحرية والقليلة لتعير  
الهواء الصحي في السودان إذ يكون شمالياً حياهاً وحبوياً أحياناً  
أخرى وبه فضاء عرس صاحبه فيه بعض الاشجار والزهور لتكون  
للعين بهجة وحين انقبط حلاً يتي لاسان به لافح المحير وكان  
الى جانب هذه « الحبية » انضوية فضاء حرمته حصص تربية  
الديكة الرومية وحد به حوي خمسين وألستين من حين درر  
نرى البيت ومستملاته

ويعيش هذا التاجر في سعة من النعمة ويهمل من صوف المتع  
المحتلة بما يرفه عنه الوحدة ويهون عليه العيش في بلاد نائية يتع  
التروة كي يعود بها الى أهله ومسقط رأسه فيكون فيه موضع الاعرر



والأكرام فعده « فونو عراف » لطيف جمع له من مختلف  
« الاسطوانات » أشكالاً وألواناً، وفي ركابه بحار سوري يقيم نأم  
درمان هو الآخر ويتفنن اللعب على الكمحة اتقاناً حسناً وكان معاً  
بين الدين دعوا إلى العداة سوري آخر حميل الصوت وانتطمت  
الحلقة وبلغت من الهجة أن سى الاسان أين هو وان حيل إليه  
أنا في إحدى بلاد سويسرا تتمتع من نديع جمال الطبيعة بحير ما يستمتع  
به الحسن الطمى إلى معالي الجمال فلما بدأت مولات النهار تولي  
ذكرنا أنا مدعوون إلى طعام العشاء عند أحد معارفنا بالخرطوم  
فتكرنا صاحب الدعوة وسراً حتى محطة الترام الذي أقلنا إلى الباحة  
فإلى المقر فإلى دار صاحبنا

وترك هذا اليوم الذي قصيته نأم درمان في نسي أحسن الأثر.  
فقد رأيت مدينة سودانية حقاً ورأيت حياة سودانية يشعر أصحابها  
أهم في بلادهم وان العريب عنهم نازل عندهم وأنه في حمايتهم وهم  
ليسوا في حمايته شأن السودانيين المقيمين بالخرطوم وهذه الحياة  
السودانية في أم درمان هي التي قصت على ما كان من محاولات  
اللقضاء عليها كمدينة ولجعل الخرطوم كل شيء بل ان من الناس  
من يعتقد ان الحسر الذي ينتأ الآن بين الخرطوم وأم درمان  
سيريد عمارة هذه المدينة وسيعيد إليها كثيراً من سلطانها أيام كانت  
عاصمة الدراووش وما أطن واحداً من السودانيين الا يعتط

لهذا ويسره بل احسب ان الدين شعروا حين مقامهم في السودان  
باعتفاف قلوبهم نحوه ليتعرون هذا الشعور وليحفظون من أم  
درمان لا من الخراطوم ذكر السودان الصحيح .



## مفرد افراح فزانه سار

الاربعاء ٢ يناير سنة ١٩٢٦ الساعة الثامنة والدقيقة اربعين  
مساء القيام بالقطار المحصوص من الخرطوم الى مكوار لافتتاح  
حراى سار رسميا

الخميس ٢١ يناير سنة ١٩٢٦ منتصف الساعة التاسعة صباحا .  
الوصول الى مكوار والى حراى سار

الساعة الحادية عشرة صباحا حملة الافتتاح

الساعة الرابعة بعد الظهر مشاهدة وابورات الخليج بركات  
الجمعة ٢٢ يناير سنة ١٩٢٦ الساعة السابعة صباحا الوصول  
الى الخرطوم عائدين بعد الحملة

هذه هي مواعيد السفر للحملة الرسمية التى سافروا جميعا من  
مصر وسافر بعضا من لندره الى الخرطوم لحضورها ولقد ورعت  
عليا مد وصولنا الى الخرطوم كراسة فيها هذه المواعيد وغيرها مما  
تقتضيه تفاصيل الحملة كما احتوت على سائر مواعيد حركاتنا بالخرطوم  
واد كما صيوف معالي حاكم السودان العام فقد عيت حكومة  
السودان اثناء الرحلة كلها براحتنا لكها كانت اشد عناية اثناء  
السفر من الخرطوم الى سار والعود من سار الى الخرطوم .

وأرسلت اليا في منتصف الساعة الثامنة من مساء الاربعاء ٢ يناير  
عربات كبيرة تنقل أمتعتنا كما أرسلت اوتوميلات في الساعة الثامنة  
والربع كي تستقلها الى المحطة وما كدنا نصلها في هذه الساعة التي  
أرحى فيها الليل سدوله على الوحود حتى العيا جمعاً كبيراً من الرجال  
والنساء لا يتيسر تميره في هذا الوقت فلما آدن للقطار أن يتحرك  
في الساعة الثامنة والدقيقة الاربعين ارتفعت أصوات هذا الجمع  
الحافل برعاريد النساء ونشيء يشبه الهتاف من الرجال واستمرت  
هذه الرعاريد ربما طويلاً كان القطار يسير في اثناءها الهوياء  
مستديراً الى الشرق كي يحادي الليل الأرق ويتبع شاطئه حتى  
يصل الى سار

هذه الجموع الحافلة وهاتيك النساء المرعدة لا تعرف جهرتها  
الكبرى شيئاً من أمر حراا سار وربما اعتقد كثيرون ممن عرفوا  
عه شيئاً انه شر لهم لأنه يحجر الماء فيما وراء ذلك البلد النائي ححرأ  
بحول دون فيضان الليل الأرق على حياص أراضيمهم كما كان  
يهيئ من قل ويدع لهم الفرصة التي يرددون فيها الدرة لكن هؤلاء  
الرجال حشدوا لأن حكومة السودان أرادت أن يحشدوا وهاتيك  
النساء رعدن لأن حكومة السودان أرادت أن يرعدن وهم جميعاً  
واحدة عليهم طاعة أولي الأمر ولهم في أهل مصر اسوة حسنة إذ



يمشدون لعناية ولعير عاية في مواطن كثيرة حسب ما تملي به أهواء  
الحكام وشهوات السياسة .

واطلق القطار يسري في دحى الليل ويحترق الطلبات ويهب  
الأرض ، وبتنا جماعة الصحبيين في شغل تلاوة الخطب التي ورعت  
عليها والتي أعدت ليلقيها لورد جورج لويد مدوب انكلترا السامي  
وسر حواري أرشراحا كم السودان العام واسماعيل سري ناتا وريز  
الاتعمال بمصر في حملة العد . واصططرت أنا لنقل خطاب حاكم  
السودان الى العربية اثناء سفر القطار لأنه لم يكن قد ترحم فلما  
أنتمته جعل مكاتب التيمس يسألني رأيي فيما حوته هذه الخطب  
وهو معجب بها ولها محمد

وقمت الى مرقي قيل منتصف الليل فلما أيقظنا الخادم لتناول  
تناي الصباح كان النور قد انتشر في الأرحاء وتندت من الحاسين  
سهول عامرة طلت تحاديا حتى وصلنا محطة سار قل الساعة السابعة .  
ثم تحرك القطار منها بطيئا الى مكوار على مقربة من الخران والى  
جانب المكان الذي تقام فيه الحملة الرسمية .

ماذا أرى؟! ما هذه الألوف المؤلفة من خلق الله أهل السودان؟  
وما هذه الطول والرمور وما هذه الرعاريد تشق عمان الخو وما هذا  
العيد الذي لس فيه اولئك السود الأبيض الحديد؟ وما هذه  
الأعلام المصرية والبريطانية يلعب بها نسيم الصبح العليل؟ ما أطن

أكرم مدني أية دولة من دول الحلفاء كانت ماثمة بالناس يوم  
وصعت الحرب الكبرى أورارها موح هذه القعة المحيطة بترعة  
الحريرة وحراسها ؟.. أتحق ان اولئك كلهم جاؤا باعث من شوة  
الحدل والطرب يسعدون برؤية الماء يدرل في ترعة الحريرة ؟ أم  
اهم حشروا اليه كما حشر المرعردات والهاثون في الخرطوم ؟ وكما  
يحشر الناس في مصر رمراً للقياء كبير أو لتحية أمير

قلت لأحد كبار الحكام في حكومة السودان انكم لأشد  
من حكومة مصر مهارة في حشد الناس وحشرهم وابعر تميلاً لما  
تريدون أن يكون احساسهم وشعورهم

قال وعلى تعره انشامة جمعت الى التهم الانتصار لكما  
لا نحشرهم الا للماسة عطيمة كهذه الماسة أما في مصر فما أكثر  
ما يحشرون .

وقف القطار إدد عند مكان الحملة فكان هذا المكان الى يساره .  
وكان حراان ترعة الحريرة أمامه ، وقد امتدت عليه وعلى الحراان كله  
قصب السكة الحديد التي ينتظر أن تمتد بعد ذلك الى كسلا وكان  
مقررأ أن يقوم القطار بما فيتخطى الحراان كله وعرضه ثلاثة كيلو مترات .  
لكه كان يقوم بعد انتهاء الحملة لذلك فصلت أن أسير ولو الى  
متصف الحراان راحلاً كي أحيط بشيء من أمره حراً وأول  
ما توسطت حراان ترعة الحريرة رأيت هذه الجموع التي ترى في

الصورة على شاطئ الترعة الأيمن والأيسر وقد اعتلى عدد كبير منها  
ذلك الأكمة الطاهرة . فما كنت ترى إلا ملاس يبصاء ووحوها



( صورة المجمع مأجودة من فوق حران ترعة الجزيرة )

سوداية واقفة تحت الشمس في صمت وسكون كأنما استقت أرض  
الأكمة عنها بعد أن كانت حلى بها فعتت حلقاً حديداً



وتحطيت ترعة الحريرة فوق حسر الحران وأمعت في سيري  
على الحسر في امتداده عند الشاطيء الثاني لليل الاررق ويبلغ  
عرض حران ترعة الحريرة مائة متر وثمانية أمتار، يسير الحسر بعدها  
فوق أرض صلبة مدى أربع مائة وتسعة وثلاثين متراً ثم يمتد بعد ذلك  
فوق حران احتياطي عرضه مائة وخمسون متراً، يحيط بعدها حران  
اليل الاررق بهسه وعرضه ستمائة متر وستة أمتار، يلتصق به حران  
احتياطي ثان كالحران الاول في عرضه، ويسير الحسر بعد ذلك فوق  
الأرض الصلبة مائة وسبعة وثلاثين متراً أخرى وبذلك تصبح  
هذه الأبعاد جميعاً ثلاثة كيلو مترات وخمسة وعشرون متراً

الى عيمك حين تحطيك الحسر من فوق ترعة الحريرة الى تجاه  
شاطيء اليل الاررق الشرقي ترى حران سار حمر الماء فيه ذلك  
الحسر الذي تسير عليه فجعل منه بحيرة واسعة ما يكاد يحيط بكل  
حوائها بطر الرائي وكان الماء يومئذ أرقق ورقة العقيق ورقة السماء  
وكان الحوصحوا صافياً فلما اتعدت عن صحة ألوف من حتر وا  
الى شاطيء الترعة وبلغت من الحسر فوق محرى اليل الاررق وهت  
على سمات الصباح الرقيق أرسلت ناظري استطلع شيئاً من حمر هذه  
البحيرة المتسعة الى عيمي فلما عحرت عن الاستطلاع رددت الطرف  
يسرة فادا ترعة الحريرة تنتظر افتتاح الحران ليرتفع الماء فيها، وادا اليل  
الاررق فيما وراء الحران محصور في ستمائة متر فيما تنهادى مياه الحران



في ثلاثة آلاف وخمسة وعشرين متراً وإذا الفرق بين ارتفاع مياه  
الخران والمحاص مياه النيل الاررق يأخذ بالطر فعلاً ويدعو الى  
شيء غير قليل من التفكير في هذا العمل الهندسي العظيم وآثاره في  
السودان وما قد يكون له من رد فعل على المياه اللارمة لمصر  
في منتصف الخران عرفة عليها الوحتان من محاسن نقش على واحدتهما



تاريخ بناء الخران وعلى الأحرى أسماء حكام السودان أثناء بناءه  
والمهندسين الذين تعاقدوا هذا البناء وفوق هذه العرفة رفع العلم المصري

مقابل العروة صفت مقاعد كثيرة يستريح عندها المدوب السامي  
الذي جاء مع صحب له يشهد الحراا ويسأل « المهندس المقيم » عما  
يريد أن يسأل عنه من المعلومات الخاصة بهذا الساء المحجيم . وقد لقيني



( مكان الاحتفال )

المدوب والحاكم العام وأصحابهما حين عودتي راحعاً الى مكان  
الاحتفال وكان حتماً أن أسرع بالعودة وانا راحل وهم مستقلون  
السيارات وعدت فقابلت كثيرين من المصورين والصحفيين مسرعين  
بالعودة كذلك فلما بلغت الى حيث كان القطار واقفاً انحدرت يمة

حيث أقيمت مظلة للمدعويين تعرف من حولها الأعلام المصرية،  
وفي ظلها قامت صفوف مدرجة من الماصد الخشبية الطويلة ليجلس  
المدعوون عليها

أمام هذه المظلة وضعت منصة للحطاة ووضع فوق المصدة  
وق لتصحيح الصوت حتى تسمعه هذه الألوف المؤلفة جميعا كما  
قامت فوق المصدة يدي شكل « آمحوتب » متصله كهربائيا  
هتحات الخران حتى اذا أدارها المدوب السامي اهرح باب الخران  
وحرى الماء منه في ترعة الحرية .

وفي الساعة العاشرة عاد المدوب السامي والحاكم العام وقرينتهما  
وحلسوا الى المنصة وحلس معهم معالي اسماعيل سري ناشا وريز  
الاتعال بالوزارة المصرية في ذلك الحين وحلس من ورائهم الشيخ  
محمد الطيب هاشم قاضي النيل الاررق الذي كلف بالقاء ترجمة الخطب  
من الانكليزية الى العربية

ثم قام السير حوري آرثر حاكم السودان العام وألقى حطة  
هذه ترجمتها

« يا فخامة اللورد اي بالاصالة عن نفسي وباليانة عن صباط  
وموطي حكومة السودان وهذا الجمع المحتشد وفي الواقع باليانة عن  
سكان هذه البلاد ، برحب بهامتكم ترجيا قلبيا كلما علم حق العلم  
ما بدتم فخامتكم أثناء تقلدكم منصب حاكم بوماي من العناية الفائقة

والهمة العظيمة في أمور الري وغيرها من المشروعات الآيلة لاسعاد الشعب وترقيته المادية . ولم يمحض بعد ستان على وضعكم الحجر الأساسي لذلك العمل العظيم على مهر السد الذي أطلق عليه اسم فخامتكم فدعى قناطر لويدي انا تقدر عظم ملاءمة هذه الفرصة بمحاسة ريارتكم الأولى للسودان كمديوب سام للاحتفال باقامة حراان سار ، ذلك العمل العظيم الشأن خير هذه البلاد هذا وانا يا فخامة اللورد لتعامل حيراً محس المستقل لوحودكم يسا في هذا اليوم ولا ريب عدي ان السودان في أيامكم وهصل عايتكم يلع شأواً بعيداً في سبيل التقدم والفلاح وكذلك أود يا فخامة اللورد أن أعرب لكم اليوم عن أمل عظيم هو أنكم كمتل حلالة الملك في مصر تتمكنون بالاتفاق التام مع مصر من ترويج وتوسيع نطاق الاعمال التي من شأنها حط وصيانة مياه النيل لدرجة يستطاع معها بدون أن تعارض مصالح اقطرين زيادة الثمرات ، ليس في مصر فقط ، بل في السودان أيضاً

وان العمل العظيم الذي شاهده كاملاً أمامي في هذه اللحظة مانع هذه النهاية الا هصل جهاد أناس كثيرين فقد ظل مشروع ري سهول الخيرية موضوع بحث المستشارين البريطانيين الذين تعاقبوا في وزارة الأشغال المصرية من عهد السير وليم حارستين . ولا محات الأولى التي بدأها المنستر ديسوي أكملها السير مردوخ



مكدونلڊ بمعاونة المرحوم اللورد كاتشير والسير ريمبالد ونحت والمرحوم  
السير لي ستاك واي لا أتك في أن جميع الحاصرين يأسعون أشد  
الأسف لعدم تمكن السير مردوخ مكدونلڊ والسير ريمبالد ونحت  
ونحت من الحصور معا في هذا الاحتمال وقد وصلتني اليوم الرسالة  
الآتية من السير من السير ريمبالد ونحت ( عسى أن يكون افتتاح  
الحران ومشروع الحرية ونحة عصر فلاح حديد للسودان وتسعنه )  
ولا بد لي في هذا المقام من القول بأنا نحن الذين تربطنا بالسودان  
روابط خاصة تقدر اعظم تقدير اهتمام السير ريمبالد ونحت لخير  
شعوب هذه البلاد الذين حكمهم مدة سبع عشرة سنة بالحكمة  
واللطف وقد تكرمتم وراثة الاتعال المصرية فوصعت بعناية السحاء  
تحت تصرف حكومة السودان كل ما كان لديها من الموارد للقيام  
تخطيط وانقاد هذا المشروع العظيم

واي لأنهر فرصة وعود صاحبي المعالي السير اسماعيل ناسا  
سري وعبد الحميد ناسا سليمان هما اليوم لأعز لهما بالبيان عن  
السودان عما نحن مديون به لجميع الوراء الذين تعاقبوا في وراثة  
الاتعال العمومية وللمهندسين التقديرين الذين جاءوا من مصر وكان  
لمجهوداتهم فصل في المعاونة على اتمام هذا المشروع وسوف لأأحد  
شحاتكم في مثل هذا الطرف السعيد بسرد الصعوبات التي صادفت  
العمل في بدئه وما رادت الحرب وتأنجها في تلك الصعوبات وكذلك

لا أطمع في أن أصحى هذا الخطاب القصير ما يجب من الاعتراف  
هصل كل أولئك الذين عملوا لانتماء هذا المشروع الذي يحتفل اليوم  
هـ هذا واني أتقدم بالشكر للسير ادوارد بارد والسير ادجار بونهام  
كارتير والسير جيمس كيري لما قاموا به وهم في حكومة السودان من  
اشكار هذا المشروع وتعيده .

وبعد ان أثى الحاكم العام على خدمات كل الذين اشتركوا في  
هذا العمل العظيم حتم خطابه بالكلمات الآتية  
«ولي الشرف أن أدعوا وحاتمكم الى تكريس هذا العمل الهديسي  
العظيم لخير السودان وتسعونه»

وقام من بعده لورد لويد فألقى حطة هذه ترجمتها

يا صاحب المعالي ويا حصرات صباط وموطبي حكومة السودان  
وعلماء ومتابع وأعيان وأهالي السودان حقاً اني لكبير الخط أن تكون  
أول زيارة لي لهذه البلاد كمفوض سام كانت لأحل الاحتفال بالبحار  
هذا العمل العظيم الذي تم لي الشرف بافتتاحه هذا اليوم وقد قابلت  
اكتركم لأول مرة في الاستقبال الذي أقيم في الخرطوم احتفالاً بيوم  
الملك وأثر بي ما رأيته من روح المودة الحالصة التي تسود ذلك  
الاجتماع المثل لمصالح متعددة وهامة واني أرحب بهذا الاحتفال  
الذي تقيمه الآن حيث قد حتمت تلك المودة بعمل عظيم ، العرص  
مه حلب المافع الدائمة لكم يا أهالي السودان وللبلدان الأخرى التي

تستورد المواد لصاعتها من محصولات أراضكم وان السواد الاعظم  
مكم اليوم ليستطيع اكثر مي تقدير تلك الحكمة والصيرة والحراة  
التي جعلت حراا سار في حير الاستطاعة ان السودان اليوم  
يحكي ثمار عقرية اللورد كرومر المقرونة بطول الاناء فقد كانت سياسته  
كما تدكرون ترمي الى ترقية البلاد ترقية تامة دون أن تتجاوز  
حدود طاقتها وقد اقتنى السير ريمالد ومحت والمرحوم السير لي ستاك  
هذه الخطة وواصل العمل باحلاص وبحاج ناهرين الاول لمدة سبع  
عترسة والثاني لمدة السبع عشرة سنة الأخيرة من حياته ويحب أن  
لا ننسى اليوم ما نحن مديون به لهؤلاء الثلاثة وعلي أيضا أن أؤيد  
السير حيوري أرثر فيما فاه به من ثائه على البراعة والمثارة والهمة  
التي أبداها أولئك المهندسون الشهيرون الذين مدد ان وضع السير  
وليم حارستن المشروع الأصلي سعوا الواحد تلو الآخر لاجل تحقيقه .  
والسودان في شخص السير حيوري أرثر حاكم عام أتق كل البقة  
انه سيحافظ علي تقاليد الماضي وقد جاء للسودان في وقت مناسب  
وفي دور حيوي في تاريخ البلاد فان حراا سار كما تعلمون  
ليس سوى جزء من مشروع عام لأجل ترقية وتحسين موارد النيل .  
وقد أتت الماحت الدقيقة التي أحراها الخبراء في الماضي ان مياه  
النيل اذا أحسن صيانتها وتوزيعها لدعدل والانصاف يجب أن تكفي  
وتريد عن احتياحات مصر والسودان الحالية والمستطرة في المستقبل



ومن دواعي سرورنا الخاص أن يكون حصرة صاحب المعالي السير اسماعيل ناشا سري ، احد ابناء مصر والمعروف بالسوع والشهرة ، حاصراً معنا اليوم ، وذلك بطراً لانتزاعه شخصياً في اعداد هذا المشروع ، وكذلك تعامل حيراً وحود صاحب المعالي عبد الحميد ناشا سليمان ، فاني واثق أن مقدرته وسعة بصره يعثان على اراءة ما بقي عالماً من سوء الادراك للمسائل العملية الخاصة بالمشروع

أما والوقائع الجوهرية هي كما تعلمون فاذا ساد المناوصات روح الحكمة السياسية فلا يجب أن تقوم صعوبة في سبيل الوصول الى تسوية تضمن صماً وافياً حاجة مصر ، وفي نفس الوقت تمكن السودان من السير في طريق العمران تقدم تامة حسماً تسمح له موارد السودان في احوال كهذه أن يطر الى المستقل بعين الثقة والطمأنينة وعسى أن يبقى العمل الذي افتحه اليوم شاهداً دائماً على الفوائد الناجمة عن قيام الحكومة بعمل كبداء بعناية الحكمة وانتصر . ويجب أن يكون من نتائج هذا المشروع ليس فقط رديد روحية المرارعين الوطنيين بل يجب في نفس الوقت أن يعود بمائدة عحة مقابلة لرأس المال الكبير الذي اتفق على انتائه وحثماً قول أنه رُغم من أن رراعة القطن هي العرص لاول من مشروع الحرية هناك شرط على حاب عظيم من الحكمة يضمن وفرة المواد المعدنية محلياً



وعدم تعرضها للنقص وأود في الختام أن اتير الى موضوع آخر عام  
وعلى جانب من الاهمية وهو أن الروابط التي تربط الحكومة وأهالي  
السودان لهي روابط صداقة شخصية ومن المبادئ الاولى في مشروع  
الحريرة كما في غيره من المشاريع التي يمكن أن تقام في هذه البلاد  
أن تلك الرابطة المرعوبة يجب أن يحتفظ بها بعناية الاعتناء والحكومة  
تعتقد أن من الامور الجوهرية ترقية الشعب على موحب طبيعته وأن  
التحسين المتعاطم في الأمور المادية لا يجب أن ينتج صياغاً أو انحطاطاً  
في الافكار والتقاليد التي هي اساس احلاق الشعوب ولي ملء الثقة  
أن يقوم قادة الافكار في السودان سواء كانوا رؤساء دينيين أو رعماء  
قائل أودوي معارف ممتارة بالواحب عليهم للمحافظة على الحالة  
السعيدة الحاضرة ويسري أن احاطكم بلهجة المتفائل بحسن المستقبل  
أن الرحم بالعب محموف دائماً بالمخاطر انما يمكنكم أن تتأكدوا من  
شيء واحد هو اني سأبدل اقصى الجهد وروح التساهل الودي لارالة  
كل العوائق التي قد تقف في طريق المشروعات العظيمة لارتقاء  
وعمران السودان في المستقبل وأن ما احترته في هذه المدة الوحيرة  
اثناء ريارتي الأولى للسودان يبعث في نفسي الاعتقاد بأن في استطاعتي  
الاعتماد على ولاء ومساعدة كل شخص في السودان سعياً وراء تلك  
العناية العظمى التي لابد أن تثير اهتمام وعطف العالم المتمدن بأسره .

ثم وقف حصرة صاحب المعالي اسماعيل سري ناتا والقي  
حطة هذا نصها

يا فحامة المدوب السامي ويا صاحب المعالي الحاكم العام  
وباسيداتي وباسادتي

كان من نواعث سروري العظيم أن ادعى لحضور هذا الاحتفال  
الراهر بافتتاح حران سار المعد لآحياء موات حرة عظيم من الاراضي  
السودانية بالري الصاعى الذي ما دخل أرضاً الا وراى في اتاحها كما  
هو معلوم ومن نواعث الفخر لمصر أن تكون هي واصعة مشروع  
ري الحرية بواسطة كبار مهندسيها وفي مقدمتهم المرحومين السير  
ويليام حارستى والسير آرثر روب ومن تبعهما كالمستر ديبوي والمستر  
توتهم والسير مردوخ مكداول الذي تم على يديه تخصيص المشروع  
مهاثياً واعداًه للتفيد ولا حاجة لأن اذكر أن كل هؤلاء من اعظم  
المهندسين التابعين لوزارة الاشغال العمومية هذا واني أبدي هاءريد  
الشكر للسير حوڤري ارشر على ما فاه به في هذا الخصوص وقد أشرف  
مهندسون تاهون لوزارة الاشغال العمومية المصرية على العمل في  
مدة تفيدته

ويمكنى أن أريد مع الفخر اشتراك تحصى الضعيف في  
تخصيص المشروع هذا واني أذكرها مع مريد السرور لاهالي السودان  
الحاصرين معاً عطف الامة المصرية عليهم بهذه المناسبة السعيدة

وأحبرهم بأنها يسرها أن ترى السودان في محبوبة من الرعد والسعة  
وأن يرداد أهله رفاهية وتهدما في العرفان ولا ريب عدي أن ما  
يحري من الماء في النيل السعيد يكفي بل يريد عن احتياحات مصر  
والسودان لريهما معاً اذا أحكم تديره بالأعمال الصاعية التي أولها  
هذا الحران واني أسأل المولى القدير المتعال أن يوفقنا جميعاً للوصول  
لأداء واجباتنا



ولقد كانت حطة سري ناشأ غير المستطرة ناعثة لسرور المصريين  
الذين استاءوا قبل ذلك لعدم تمثيل مصر في هذه الحملة التاريخية وتبدو  
في الخطب كلها روح تفاهم ممكن تحقيقه اذاً اخلصت جميع الصمائر لهذه  
الغاية وصدق العمل القول ولعل إشارة سري ناشأ الى مجهود مصر  
العظيم في انشاء حران سار يجعل هذا الاخلاص صريحاً

وبعد ذلك ادار المدوب اليد التي صيغت على مثال  
« اميسحت الثالث » فخرى الماء للقناة من الحران وانما صيغت  
اليد على مثال « اميسحت الثالث » الذي حكم مصر مسد العين  
وثلاثمائة سنة تقريباً لما عرف عن هذا الملك القديم في التاريخ من  
انه أول من حاول بصفه حدية صط مياه النيل لحسن ري الاراضي  
كما تذهب الاساطير الى انه هو الذي أنشأ بحيرة مورييس

وفيما الماء يدفع من إحدى نوابات القناطر في ترعة الحرية  
وقف مطران السودان المحترم حوين ووقف الى جانبه مفتي السودان  
الشيخ اسماعيل الارهري فوق العين التي يتدفق منها الماء وتليا عبارات  
التبريك لهذا الماء الحصص المنساب الى اراض لم تكن تعرف  
الحصص ولا الزراعة من قبل ووقف الحضور جميعاً أثناء تلاوة صلاة  
التدشين التي فاه بها المحترم حوين وحطة الماركة التي القاها المفتي  
الارهري وصلاة المطران حوين الثانية ومنهم من ينهل الى الله  
مخلصاً أن يبارك هذا العمل العلي المحيد ومنهم من يطرعين الحذر  
الى ما سيكون من نتائجه

ولست أنكر ما كان لهذه الحملة الدينية التي لم أحصر من قبل  
مثلاً من أثر في نفسي على أي كست أحسها تكون أعظم في العوس  
أثراً لو أن الرحلين اللذين قاما بها لم يكونا بعيدين عن الحضور حتى  
لم يسمع أحد صوتهما الذي عرق في صوصاء الماء المتحدرة ، والذي ربما  
أدى عرقه في هذه الصوصاء الى زيادة هذا الماء بركة

وهذه صلاة التدشين الأولى التي تلاها المطران حوين حسب  
ترجمتها الرسمية

اللهم القادر على كل شيء ، الأري الأدي ، مدع العالم كله  
وحاقاً جميعاً ، من جعلت نظاماً يسير عليه العلم أجمع ، وبلاد السودان  
أيضاً



شكرك اللهم من أحل عبيدك ، تشارلس حورح عوردون ولي  
اولهر فترموريس ستاك ومن أحل جميع الدين عملوا في خدمة هذه  
البلاد وصحوا بحياتهم في سبيل تعيد حططك

انا لشكرك للحكمة والساهة اللدين وهتتها الى اولئك الدين  
اتكروا فكرة تسخير مياه هذا الهر لخدمة الاسان وانا بدكر امامك  
سوع حاص ، عبيدك وليم حارستن وهربرت هوراشو كنشبر ، اللهم  
انا لشكرك أيضاً من أحل جميع ، الدين اشتعلوا لافاد هذه الاعمال ،  
من أحل الديي وضع رسومه ومن أحل مهندسه ، ومن أحل  
المقاولين ، والصناع ، اصحاب الحرف من جميع الملل والسحل ، ومن  
أحل العمال الدين حروا الأرض

ومن أحل السائين الدين سوا الاحجار والاحمال من أحل جميع  
الدين وهوا قواهم الدية وحدتهم وعقولهم في سبيل هذا العمل  
وساعدوا بابحاره ان كان ذلك بمعرفة منهم أو غير معرفة أو كان  
ذلك باستعمال دكاهم المهرط أو كان ذلك بقليل من الدكاه

انا لشكرك اللهم ومحمد العاية الصمداية التي وهتها سوع حاص  
في أشد أوقات الخطر اثناء أدوار الساء ، ومحمدك فوق كل شيء من  
أحل الامطار التي ترسلها على الخصال فتسبب فيضان النيل وتهدد  
المياه التي تروى الارض بها

لك اللهم العظمة والقوة والمجد والطهر والحلالة

كلما في السماء ، وما في الارض هو لك ، الملك ملكك يا إلهنا  
بيدك القوة والخروت ، وبيدك تعظيم وتشديد الجميع . وتهب  
القوة لهم جميعاً ، تصرع اليك محصوع وحشوع أن تقل شكراً هذا  
باسم وبواسطة ربنا يسوع الذي علما أن يصلي هكذا

أنا الذي في السموات ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك ، لتكن  
مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض اعطنا حبراً كهة يوماً  
واعمر لنا دوماً كما نحن ابصاً نعرف للمدين اليا ولا تدحلاً في تحررة  
واقعدنا من الشرير لأن لك الملك والقوة والمجد الى الأبد آمين

وهذه هي الصلاة الثانية التي القاها المطران حوين كذلك  
أيها الاله القادر على كل شيء ، الأري الذي لا يتعب ، الحكيم  
وحده ، وأب البشر اجمع انا تصرع اليك أن تبارك هذا الحران ،  
ومشروع الزري ، ليس فقط لأن ثروة الناس ومحاحهم سيريدان  
واسطتهما . بل لأنه اذا استعمل الناس هذه الهات التي هي ملك  
كما يحب يرون حكمة وعلماً . وديماً ، وصلاً حقيقياً

انظر اللهم الى هذه البلاد ، نرجمة والطيف وامسح بأن تسود  
لحرية والعدل والصلاح حيث كانت الشدة والاستبداد والظلم تظاً  
بأقدامها على شعبك ، قد مات في كمالك المقدس أن سيأتي اليوم  
الذي به يطعون سيوفهم سككاً ورماحهم ماحل

نسألك اللهم أن تعلم طرق السلام الى ولثك الذين كانوا

مصطرين ان يعيشوا من الحرب في الرمان العابر وامسحهم الاتحاد  
والوفاق ، امسح بأن يتموا اعمال خلاصك العجيب بواسطة تأثير  
عمايتك الدائمة التي تعمل بيسا بدون أن تشعر

دع العالم أجمع يتعرو ويرى أن الامور التي بدوها حائبا قد  
عادت فارتفعت ، وان تلك الامور التي قدم عهدا تتحدد الآن ،  
وبالاحمال ان جميع الامور تعود الآن الى الكمال بواسطة يا مسع  
جمع الامور ، لك البركة والشكر آمين  
البركة

ليبارككم الله ويحميكم ، ليصلى بوجهه عليكم ، ويمسحكم بعمته  
لتسيركم أوار محياه ، ولهم السلام من الآن والى الابد آمين  
أما حطة فضيلة مفتي الديار السوداية في حملة فتح حرا  
سار فهذا نصها  
أيها السادة

انا نقف هذا الموقف لرفع اكف الصراعة بالحمد والشكر لله  
الذي حلت قدرته وتعاليت عطيمته وارتفع شأنه وعر سلطانه على ما  
أولانا من العم الحلياة التي منها اتمام هذا الساء الشامح ومشروع رى  
الحريرة العظيم فان الشكر على العم واحب وبه ترداد قل الله في  
كتابه العزيز ( انش تكررتم لأريدكم )

الحمد لله محمده واستعين به وشكره فانه مستنى الكائنات  
بارى السموات مقدر الاقوات وصلي وسلم على رسوله الذي آتى  
بالمهدي والبيات لاصلاح حال الناس في الحياة الدنيا وفي الآخرة  
فقد ورد ( اعمل لدياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك  
تموت غداً ) وعلى احواله من الدين والمرسلين ومن ههنا ههنا  
القويم واهتدى هديهم الى الصراط المستقيم

أما بعد فان الله تعالى خلق هذا الانسان محتاجاً الى الطعام  
والشراب واللباس فهياً له من الامور الكونية ما يكفل له بقائه في  
هذه الحياة على اصلح الوحوه متى استعمل فيها فكره ومواهبه التي  
فطره عليها خلق السحاب والامطار ممددة للعيون والايهار التي بها  
حفظ حياته فقال في كتابه العزيز ( وجعلنا من الماء كل شيء حي )  
وخلق له الارض مستعدة لانيات جميع الساعات التي يحتاج اليها  
لنفسه ولأنعامه ( ألم تر أن الله يرزق سحابة ثم يؤلف بينه ثم يجعله  
ركاماً فترى الودق يخرج من خلالها ويرزق من السماء من حال فيها  
من برد فيصيب به من يشاء ) وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا  
عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل روح هبج ) ( الذي جعل  
لكم الارض مهاداً وسلك لكم فيها سبلاً وانزل من السماء ماء  
وأخرجنا به ارواحاً من تحت شتى كلوا وارعوا أنعامكم ان في ذلك  
لآيات لأولي البصيرة ) ( الله الذي خلق السموات والارض وبرزل



من السماء ماء فأحرج به من الثمرات ررّقاً لكم وسحر لكم الالهة  
وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ) ( علم  
الإنسان ما لم يعلم ) وأتاه الحكمة والعلم النافع ) ومن يؤت الحكمة فقد  
أوتي خيراً كثيراً ) فهداه الى أجمع الطرق للاستفادة من هذه  
الأمهات

وستصير هذه البلاد بواسطة هذا العمل العظيم من أكبر البلاد  
انتاجاً وثروة وسيصير الشعب السوداني في رعد من العيش ووفرة  
ورفاة

ولله دي الطول والاكرام الذي سده الخير وهو على كل شيء  
قدير الشاء والشكر الخالص على هذه النعم التي لا تحصى  
وسأله حل شأنه أن يبارك في هذا العمل ويديم النعم به الخير  
البلاد والعباد آمين

اللهم اجعل هذا القطر آمناً مطمئناً في سحاء ورحاء وعدل  
واشملة بعائتك ورعايتك وامطر عليه شآبيب خيرك ومصلك  
وكرمك واحسانك انك سميع قريب محيب الدعاء والسلام

\*\*\*

بعد هذا التبريك انتهت حملة افتتاح حرايا سار وأن لكل  
هذه الجموع أن تنعرق

## العودة الى الخرطوم

### عد محاخ قطر السودان في بركات

انتهت حملة افتتاح حراں سار التي دعيا لشهودها وأن لـ  
أن يعود بالقطار تناول فيه طعام العداء ثم نزل منه عد بركات  
شهد أحد واورات الخليج بها ويستمع الى الخطاب الثاني الذي يلقيه  
فحامة لورد لويد مدوب انكلترا السامي

واد كانت هذه الحملات كغيرها من الحملات الرسمية أقرب  
الى أن تكون مظاهرات منها إلى أى شيء آخر وكان خطاب لورد  
لويد يجب أن يتناول الحديث عن رراعة أراضي الحرية والقطر  
السامي بها والفتح بها ولم يكن لورد لويد قد حصر الى السودان من  
قبل نداءً، فقد وحب أن يستقل فحامة وقرينته سيارات يصحبهم  
فيها رجال حكومة السودان ويطوفون وإياهم بعض مرار القطر  
لكي يكون حديث المذب السامي عن علم أو عما يتسه العلم في بصر  
المستمعين لذلك استقل هو ومن كان في صحته سياراتهم على أن  
يمروا بالمرار واستقلوا بحد القطر والى الملتقى بركات

ها نحن الآن تشهد عيدا صيوف الحاكم العام بحملة فتح

الحراة محتجين في عربات القطار لقد حاووا من مصر وانكلترا  
مرأ ولم ير بعضهم مصاً في اجتماع واحد ولقد دعي كثير من أعيان  
السودان لشهود الحملة من رأيا في يوم عيد الملك ومن لم يري  
ذلك اليوم وقد قما من الخرطوم في المساء بعد ما تناولنا طعام العشاء  
صادقها، وتعلنا عند سير القطار بالهاتين والمرعدات وذهب اكرنا  
بعد ذلك الى محدة، ثم تناول الاكثرون طعام الافطار في محادهم  
كذلك لهذا لم يتس لأحد أن يرى جميع رملائه في الصيافة الا  
حين حملة مكوار لكن الذين احتموا لشهود الحملة من موطمين  
وعبر موطمين جعل التفرقة بين الصيوف وغيرهم عسيراً فلما تحرك  
القطار وباعد يساوس الالوف التي حشدت لهتف للمحتلين لم  
يق الا نحن الصيوف وتعر كل واحد ما بما يبه وبين صاحبه من  
صلة الصيافة، مكنت نرى كثيراً من الانقسامات تنال ومن  
التحيات تهادي

ثم كانت فرصة أخرى لريادة التعارف تلك فرصة تناول طعام  
العداء في عربة الأكل فقد هرع الناس الى هالك بعد سير القطار  
القطار بدقائق، واستبقوا يتحير كل منهم مكاناً صالحاً ولم تكن حكومة  
السودان لتحديد الامكنة في تلك العربة كما عنت لتحديد محادع  
الوم فكان السباق صاحب الاختيار وكان جماعة الاوربيين  
كبير وعبر إكلير أسق ما نحن الشرقيين الذين يرون في الاسراع

الى الطعام شيئاً من التناهي مع الكرامة لما قد يكون فيه من دلالة على الشرف لذلك العيا نصف العربة الاول امتلاً وبقى نصفها الثاني حالاً أو يكاد فتحيرنا في هذا القسم الثاني أما كسا وجعلنا ينتظر من مجلس وإيانا فيه بنا كان الخدم يقدمون الطعام لأهل القسم الأول أين حيرانا ورملاؤنا في الطعام ؟ أولئك أعيان السودان وهم أتمد تناطوا الى الطعام وتظاهراً بعدم الاكثرات به ليس السب الذي جعلنا تأخر عن رملنا الاوريس لكن هاهم بدأوا يعدون واحد بعد واحد وهذا حاب العربة يكاد يمتلاً لكن أين السير سيد علي الميرعى ؟ انشوا في طلبه احفظوا له مكانه وذهب كبير من موطنى حكومة السودان يبحث عنه ثم جاء وإياه على مهل فأجلسه على المائدة المقابلة لمائدتنا

وأشار حليسي الى أحد أعيان السودان وسألي ان كنت تعرفه، ثم أخبرني به الشيخ علي التوم ندي نعم عليه بلقب « سير » يوم عيد الملك وهو رحل طويلاً لثمة بحيف احسن تدويعه مصهر القوة والسدة قال حليسي

— « قد يدهشك ان نعم حكومة صاحب الخلالة اليريدية على مثل هذا السدح بلقب العظيم ندي أعمت عيه به ولدي لم نعم به في مصر الا على رؤساء ودررات سككك ترول دهشك د' عمت ان في إمرة هذا السادح الى رحل يتحركون باتارته



ويديون لطاعته والابعام عليه يعيد ولاء للحكومة وللتاح البر يطاني  
ويقيده بهذا الولاء فعلاً وادن هذا اللقب الذي لا يكلف حكومة  
الامبراطورية شيئاً قد كفل لها ولاء الى رحل كلهم عتاة شداد  
لا يعصون هذا الرحل ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون

وكأنا شعر جماعة من أعيان السودان الذين جلسوا الى جانبنا  
انا نتحدث عنهم فطروا الى ناحيتنا بطرات حذر وتأهب ثم حاطوا  
أحدهم بالهبة عسر على أن أهمها فرد عليه حليسي بعبارة لطيفة  
وآليت أن لا أتحدث عن هؤلاء الناس اثناء الطعام شيء حتى لا أثير  
ما يدفعهم الى التأهب من حديد بل لقد حاولت أن لا أطر اليهم  
كيف يتناولون الطعام مخافة أن يحسوا أنها بطرة نقد والظاهر  
أهم في شدة ولائهم لحكومة بلادهم وللحكومة الانكليزية التي نعم  
عليهم وتبرمهم بحيل اليهم أي أريد كمصري أن أثير عندهم ثائرة أو  
أثير شهات الحكومة حولهم أو لعلمهم وقد رأوا الى جانبهم وكيل  
ادارة المحاربات - وهي الادارة المختصة بالامن والمهيمية عن أسرارها -  
حسوا أن يؤخذ ما قد يكون من مروية في القول أولين في حديث  
متبادل على أنه ميل منهم لحكومة مصر والميل لحكومة مصر كان  
يومئذ لا يرال معتبراً ميلاً للثورة والثأر رغم ان كانت الحكومة  
القائمة يومئذ في مصر حكومة ريو راتنا المستعدة للاعتراف بالسودان  
بل للاعتراف بمصر مستعمرة انكليزية

برغم هذا الحذر والتأهب الذي دفعت به الى هوس أعيان السودان أحداث السياسة كست تلمح في وحوهم من علائم الشهامة والكرم والمروءة ما يذكرنا بأحدادنا المصريين الذين لم يكونوا قد تأثروا بعد بالمدينة العربية ولم تكن الطم الحاصرة قد دفعت الى هومهم ما ترى اليوم عند كثيرين من حرص على المادة وانعاس في أسباب تحصيلها بل كست ترى اكثر من هذا كست تحس هؤلاء الاعيان يشعرون شتيء من الصبق لهذه التكاليف الرسمية هم يعتطون بما تنطق به من صلة بينهم وبين الحاكم الكها في هس الوقت لا تنفق وطاعهم الصريحة التي لا تعرف القيود ، وعل الكثيرين منهم في ذلك مثلهم مثل شيخ عرب من أكارم المصريين توفي من أكثر من عشرين سنة كان يذهب الى التشريفة لمقاه الحديو مع سائر الاعيان في كل عيد من الاعياد وكان يتصابق غاية الصبق من الحبة والقطر فكان يذهب في ملاسه العادية والتي تم عن ساطته وكرمه وحه الاساية والتي تكون من رعوط وحرام ، الى حاوت على مقربة من عاين حيث يجمعها ويرتدي الملاس الرسمية مدى الساعة التي يدحل فيها قصر عاين ويمثل فيها في حصرة الامير فادامت هذه المهمة التي كان يعتط بها أسرع الى حاوته فألقى ملاسه الرسمية وليس رعوطة وحرامه وعد كما كان

تتيح العرب الكريم السحي اليد الذي يريد أن لا يتعر فقير الى.  
حانه بالمقر ما دام يرى هذا المحسن اليه في لباس بسيط كلباسه  
واطلق القطار الى بركات فباعها حوالي الرابعة بعد الظهر ثم  
سار بعد ذلك على مهل الى واور الخليج ما هذه الجموع الحاشدة  
التي تريد على جموع مكوار !! احسب ان حكومة السودان قد  
حدثت من في السودان جميعاً لهذا اليوم وهؤلاء لاشك يريدون  
على خمسة عشر الف رجل وهؤلاء لساوا البياض فلعله لهم أولعل  
الحكومة تتركه مبرة منها إن كانت هي التي خلعتهم عليهم

برلنا من القطار في ساحة فسيحة يتسع جانبها العيد عما لهذه  
الألوف الحاشدة وفصل يسا ويدها فضاء متسع وصعت في ركن  
من أركانه اكياس القطر التي أتى بها للمحلى، وقام واور الخليج وه  
ثماون دولاناً في وسط الساحة، وهذا الواور واحد من أربعة يشتغل  
في كل منها مأتين وخمسون عاملاً وسرباً تعمرباً شمس يباير الدافئة  
الديعة المعشة حتى دخلوا ماء الواور المقام من الصباح اليس عحاً  
أن تمتد يد 'الحصارة لتقيم في هذه الواحي النادية هذه الآلات  
الصحة العظيمة اتى بها من 'نكلترا على متون السحار قطعاً وهذه هي  
تدور الآن مكيات ضخمة قوية تحلج مئات التاثير وتقدم لمئات  
السودايين عملاً كانوا في عى عنه قباعتهم يعيش الداوة الهى  
'نكر 'نكلترا يحب أن تتعدى بالنظر ليدال عمالها واشراؤها اكبر



خط يريدون بواله من المتاع بالحياة فيحب لذلك أن يخرج أهل السودان وغير أهل السودان على ما ألوا مد مئات السنين وأن ينتحوا القطر وغير القطر كارهين لهذا المحمود أول قيامهم به فادا العود، والعود ما يدره عليهم من ربح وما يوفره لهم في الحياة من نعيم استرادوا منه ما أطاقوا الاستراة ثم تراه بعد ذلك ولهم في الحياة مثل ما لعمال الانكاير وأشراهم من مطامع يومئذ لا يكون مهر من احتكاك قناعم وذلك شأن النظام الفردي في الاقتصاد، ذلك النظام البديع القائم على أن تعي كل ذاتية، سواء كانت فرداً أو هيئة أو أمة، بمصلحتها، وأن تدفع غيرها في السعي لتحصيل هذه المصلحة في خير ظروف ممكنة فهو ينتهي دائماً الى السير بالاساية في سبيل التقدم وهو من غير شك الحركة الدافعة التي تصل، عن غير شعور من القائمين بها الى هذه العاية الاساية السامية عاية قناعم الجميع لخير الجميع ولخير كل فرد أو هيئة أو أمة يتكون منها هذا الجميع

درباً في أرحاء وأوراحيخ ثم حرحا من باب غير الذي دخلنا منه فادا أمام هذا الباب التي مصطبة كبيرة قُيِّمت عليها مظلة تحتها مائدة عليها معطر الصوت ومن حولها مقعد أعدت يجلس عليها المدوب السامي البريطاني وصحة وليقوم بالقاء خطاب يومه فيه أعمال الحصار التي قامت بها بريطانيا في السودان، على هذه الألوف من



السودانيين الذين حشدوا له، والذين لا يعرف أحدهم من الانكليزية  
حرفاً ولا يستطيع واحد في كل مائتين منهم أب يدرك - ان هو  
استطاع ان يسمع - ما في ترجمة هذا الخطاب الى العربية

وأعدت للصحافة ماصد وصعت عليها أقلام الرصاص  
و ( بلوكوت ) من ورق صقيل، كما مهدت للصحفيين من قس كل  
وسائل العمل للاسراع في إرسال رسائلهم البرقية الى أنحاء العالم المحتلّة  
يديعون فيها أحمار هذا الاحتمال البريطاني، في مناطق حط الاستواء،  
بعمل من أعمال الحصار العظيمة قامت به بريطانيا خدمة للحصارة  
في العالم، وان كانت خدمة تعيد أهل البلاد وتميد بريطانيا نفسها

وبعد الساعة الرابعة نقيب أقل لورد لويد ومن معه عائدين من  
زيارة مزارع القطن بالحريرة فأحاطوا بالمصدة تحت المطلة وألقى  
لورد لويد خطاباً هذه ترجمته

كان لي هذا الصباح كما تعلمون عظيم الاعتباط بافتتاح حران  
سار وتسجيل خطوة جديدة خطيرة لتزقي السودان الاقتصادي -  
ومد الاحتمال مررباً تقسم من الاراضي التي أحصها الحراب  
ولاحظاها ومن دواعي سروري أن تتاح لي الآن فرصة مقابلة من  
تقع عليهم النعة الخطيرة ، نعة استغلال ما أشيء الحراب له

لا يسع الراثر الذي يرى ما تم اليوم إلا أن يقدر ما أعق في هذا  
المشروع من جهد وروية واقدام فمد سنة ١٨٩٩ عرف السر ولیم

حارستين الذي عمل كثيراً لأهالي مصر والسودان مكسوبات سهل  
الحريرة ومن ذلك الحين طلت المسألة موضع البحث الدقيق .  
واستطيع شخصياً أن أقدر هذا العمل قدره بعد ما كان من حظي  
في أثناء عملي في الهد أب أفتح وأشهد أكثر من واحد من  
مشروعات الري الكبرى التي قصد بها هالك كما قصد بها ها الى  
تحسين حط الارعين وزيادة ثروة البلاد

تعرفون تاريخ المشروع ووقوفه في أثناء الحرب والصعوبات  
الهندسية العظيمة التي وحب التعلب عليها قل اتمامه كما براه اليوم .  
والمسألة الآن هي كيفية الاستمادة الصحيحة من الموارد التي أسعها  
على أهالي السودان عظيم ما أنفق من جهد ومال والحواف لا ريب  
عندي أن السحاح رهن باستمرار وعمو التعاون الذي قام المشروع على  
أساسه فقد اكتب الجمهور البريطاني بما لا يقل عن احد عشر  
حليوياً وربع مليون من الخييمات ، وبرت الشركة من جانبها هذه  
الثقة بها بمباشرة الاعمال الزراعية وحفر الترغ الصعري بعد بطر  
ومقدرة يقصر دوماً كل ثناء ، والقت درساً مدهشاً بتدريب عدد  
عظيم من الرراع عند الطلمبات وأهم الاتباء اب علاقاتها بالزراع  
عموماً كانت علاقات عطف ومودة ولا سبيل للسحاح الصحيح ما لم  
يقم على قاعدة هذا العطف

وبعد أن أثني على المستر اكستين قال

لقد تعيرت حالة السودان كلها في السبع والعشرين سنة  
الاحيرة فكانت البلاد قل اعادة فتحها ترداد كل سنة المحطاطا  
مدلا من أن تتقدم، وكانت حروب القبائل وما تحرم من الواء والقحط  
وسائر الشرور التي تلامر عدم الطمأنينة على النفس والمال تهلك  
الحرث والنسل، لذلك انقلت مساحات واسعة كانت قل عامرة  
الى اراض عامرة واشتد الظلم والقسوة ومن بيكم لا ريب من  
يدكر تلك الايام ومن عاش ليرى الشوك والسعدان يقلبان مروحا  
حصنة، والصعظ والقسوة يحل محلها العدل والسلام وتشهد  
الاحصاءات الرسمية زيادة عدد السكان مدثدا الى ثلاثة أضعافه،  
وأصحت الثروة لا تقص مصحح صاحبها مخافة أن يترعها منه مستند.  
والعبي والعقير يستطيعان السير آمين حيث يشاءان، وللقاؤون والنظام  
الحكم في كل مكان وفي السنة الاولى لاتمام الحراة درع ثمانون  
الف فدان قطا، ومساحة عظيمة درة ينتظر أن تعمل ثمانين الف  
أردب هذا العام، وذلك كميل بعدم حياة عرض مشروع الحرية  
الاول، نزرع القطر لبيعه، على حاجات الشعب لمؤوته كماله تظمش  
من يدكرون قحط البلاد سنة ١٨٨٨ وما حاق بها من متاعب  
خطيرة سنة ١٩١٣ ونقطة هامة تستحق التويه هي كماله حقوق  
الاهالي نقاون سنة ١٩٢١ فهناك شركة بين الرراع والحكومة،



والشركة اشتراك وثيق في المصالح يجعل كل طرف يسعى لانتاج أحسن محصول وأصححه .

وختم حسانه الخطاب تهنئة موطني المديریات وشكر الحاكم العام والتبويه مائدة المشروع لاهالي السودان ونحارة جميع الامم وكان يلوح على لورد لويد أثناء القائة هذا الخطاب أنه متعب محدود فلم يكن في مثل ما كان ساعة القاء خطاب الصباح من نشاط وهمة وله العذر بعد هذا المحمود المصى الذى قام به هو وقريبنته والذى لا يعتر شيئاً الى حابه ما قاما به من مصالحة أكثر من ثمانائة مدعو في حفلة « يوم الملك » عملاً لمصلحة الامراطورية العظيمة

وابصرفا عاندين الى القطار، وحفف عن هذه الالوف التى حستت نطاق البطام الحديدي الذى أوقفها في أماكها صغوفاً كما توقف الحد فاستعاد من ذلك بعض أفرادها . كانوا يتحدثون أيام الطفولة ان سليمان عليه السلام حسن الحن وألهمم بناء تدمر بالصباح والعمد ، وانه ظل يرقهم نفسه فكان محرد حلوسه عندهم كافياً لدأهم على العمل والحد فيه ومات سليمان في حلسته وأسل الموت عيبه ومع ذلك ظل الحن في دأهم حيلة أن يكون اطاق الى أحمائه لسة أحدثه فأدا تدوا عن أمره ارل هم آلام العقاب فلما مال حمان سليمان وهوى الى الارض وأيقن الحن موته اطلقوا فرحين



أشد فرح بعود الحرية اليهم وجعلوا يعيشون حيث شاؤا وما شاؤا .  
كان ذلك شأن هؤلاء الذين حفف بطاق الطعام عنهم انطلقوا  
يعدون ملء سيقانهم ليلاً واهدا الغصاء الذي كان يفصل بينا وبينهم  
حتى صاروا عقة في سبيل وصولنا الى القطار فلما وصلنا اليه بعد  
جهد العياهم أحاطوا به من كل جانب حتى تعدر الصعود اليه ،  
واضطربوا للالتحاء إلى القائمين بأمر الطعام في هذا المكان الذي تولاه  
هرج أي هرج وعمر حمة الطعام عن معاوتنا فتقنلاً لأنفسنا الطريق  
بين هذه الجموع المائحة التي ظل لديها من الاحترام لنا ما نوحه عليها  
الشرقية المتسامحة من اكرام الصيف وحماية العريب

فيم هذا الهرج والمرج ؟! ما هذا العجيج الذي تثيره هذه  
الحلائق المدفوعة صوب القطار في حماسة وحيشان ؟! . صه ! ان  
لها من وراء اندفاعها لعرضاً سامياً عظيماً انها تلتبس بركات صاحب  
البركات السيد على الميرعى

نعم ! فقد أقبل السيد الى عرته بالقطار فطار في اثره مئات من  
السودايين لا يقترب اليه منهم أحد ولكمهم يتركون بمواطىء قدمه  
ويطلبون اليه في خشوع وانتهاال كلمة الرضا والعمران . فلما صعدنا  
العرنة رأيتهم احاطوا بها وجعلوا يملسون بأيديهم عليها يتملّون  
من بركاتها ما يتملى به اولئك الذين يرورون الاولياء الصالحين في  
مقارهم ولعلك إن تحدثت الى احدهم فيما يفعل قال لك إن عرنة

القطار التي يحملها ولي صالح كالسيد المرعى أكثر حياة وبركة من صريح به رفات ولي كان من الصالحين ولعله يقول لك ذلك في إيمان ناسيا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وأنهم بعد موتهم احياء عند ربهم يرزقون .

أشرت في فصل « عيد الملك » الى إيمان اعيان السودان بالسيد على هذا الايمان المرتسم على وجوههم البادي في بطراتهم المتحلي في كل حركاتهم حين اقبالهم مسرعين في خشوع واحلال يقلون يده ويضطرون من طرف كبير بظرة كلها الأيمان والاحلال ورحاء الرضى وحسن الدعاء فأما إيمان عامة أهل السودان بالسيد فيعوق ذلك اصعافاً مصاعفة ويتحلى في صورة من التعدلات تعد كثيراً عن العادة رأيت عبي جماعة منهم تقل سلم عربة السكة الحديد لأن قدم السيد وطئتها . وكنت نسمع هذا الجمع الحاشد حول العربة متهللاً اليه أن يكون واسطة له عند الله في المعصرة ولو أن السيد أمرهم في سبيل ذلك ما أمرهم لما عصوا له أمراً ولا حالوا له كلمة ولو أنهم طهروا من فصل رداء السيد محيط واحد لاقتلوا عليه يريد كل أن يكون له أو ان يلمسه إن لم يستطيع امتلاكه .

انظر ! هذا حسان سليمان فك عقاله وهذه الالوف الحاشدة ترحف نحو القطار رحفاً وهذه كلها تصطب على مقربة منه صفاً صفاً . وهؤلاء افراد اشد من غيرهم حماسة في إيمانهم محاهدون ليشقوا لأنفسهم

الى عربة السيد طريقا ولا مقيّد لنا من هجومهم علينا الا إيمانهم بالسيد  
وفرط حرصهم على رصائه . ولا مفر لآدائنا من سماع عجيب دعواتهم  
الى أن يطلق القطار فيحطمهم وراءه .

انطلق القطار ، فارتفعت الاصوات بالتهليل والتكبير . انقضت  
أهم جميعاً وقفوا عند تهليلهم وتكبيرهم . كلال انطلق جماعة منهم  
يساقون القطار محادين عربة السيد وسيقاتهم الدقيقة واعصاهم المتينة  
تحمل منهم من هو اعدى من السليك

انقطعت الصيحة وأحد بالعادين الجهد وأنديت الى صاحي  
الموظف الكبير بحكومة السودان عجي لهذا الايمان قال لا تعجب .  
فقد دهبنا من نحو خمس عشرة سنة لافتتاح خط كسلا ومعا السيد .  
وعلم أهل ذلك الاقليم بالامر فأحاطوا بالقطار أول دخوله إقليمتهم  
لا يحشون أن توردهم عرباته الخلف أثناء سيره ، بل تعلقوا به ماحين  
مهالين يلتمسون من السيد دعاءه وبركاته مما اضطرب سائق القطار  
للسير الهويّا مخافة أن يذهب هذه الارواح الصارحة ، ودخلنا لذلك  
متأخرين عدة ساعات عن الموعد المصروب لدخول القطار  
واقامة الاحتمال

قال آخر ولو علمت يا سيدي أنهم ما يرالون اذا دخلوا  
الى داره بالخرطوم دخلوا الى الهو الذي هو فيه رجماً على  
أيديهم وسيقاتهم وعيونهم تاشة في الارض لا ترتفع له منهم نظرة



لقد رت مكانة السيد العظم وسلطانة الديني ثم لو علمت مع ذلك أنه لا يسحر هذا السلطان الديني لدعوة سياسية ولا يطمع في شئ الا أن يسود السلام بلاده لأكثر من قدره فوق ما أكثر ولعلمت أنه أوتي من الله حكمة وفصلاً عظيماً

\* \* \*

وأمن القطار في انطلاقه وعدنا بعد تناول طعام العشاء الى محادعا وانا لعد عدتنا للوم إد بلعا واد مدي فصعد الى القطار جماعة من التشارب المصريين الذين ما يرالون مقيمون بالسودان وقصدوا الى محدعي ، وبعد تبادل التحية سألوني أن أرسل معهم الى رصيف المحطة لكون بعيدين عن الانطار والأسماع وهذا بعض مظاهر الحذر الذي أشرت اليه من قل ثم قتل السير لي ستاك في القاهرة ورتدت اكلترا على قتله إحراح الجيش المصري من السودان قامت حكومة السودان باحاطة المصريين المقيمين في ربوعه برقابة شديدة مخافة أن يثيروا في السودان روح التمرد والعصيان على ان هؤلاء الشان الذين أحاطوا بي في واد مدي كعيرهم من المصريين الكثيرين الذين قابلتهم كانوا أشد ميلاً لاعتبار حركة سنة ١٩٢٤ حركة طائشة لاسباب عدة ولعل أهم هذه الاسباب في نظرهم ما أتاه كثيرون من الصباط المصريين من تصرفات أدت الى عدم رضى



السودانيين ويسرت شر الدعوة ضد الحكم المصري في السودان .  
ولست أدري مبلغ ما رووا من الصحة . الا أنهم كانوا يتهمون هؤلاء  
الصساط بأهم لم يـكـوـنوا يعرفون الا شهواتهم وأهم كانوا يقصون  
النهار وطرفاً من الليل في استيفائها ، سواء منها الطبيعي والشاد وسواء  
منها المطعوم والمشروب وقد يكون لبعض هذه التهم قوام والحكومة  
المصرية لم تكن بأن يكون نائباً عنها في السودان رحل له مقام الوريث  
وسلطانه على المصريين الذين في السودان على الأقل

كذلك كان من تسكوى هؤلاء الشان المصريين الذين تحدثوا  
إلي في واد مدي أن بعض السودانين الموحودين مصر لا يلقون  
من عطف المصريين عليهم ما يلهمح الستهم تناء يتردد في مختلف  
حواسب السودان ويدل دلالة حقيقية على عواطف الأخوة الصادقة  
بين أحرار هذا الشعب المتصل بأوثق الروابط وأمتها والمقيم على  
صفاى النيل الذي يسع عليه الحياة ويعمها

وتركت هؤلاء الشان الدين ودعوى محماوة شكرتهم واشكرهم  
اليوم عليها وعدت الى محدي في القطار ثم عاد القطار الى اطلاقه  
فأويا الى مصاحبا وبقيا فيها ياما حتى استيقظا في الصباح على  
مقرنة من الخرطوم فأحدا افطارا وتنبأنا للعودة الى فادقا بأوي  
اليلتين الباقتين على معادرتنا ربوع السودان

## مزارع سار

### ومشروع ري الخريزة

« حراں سار » اصبح الآن الاسم الرسمي لهذا الحراں القائم على النيل الاررق تحجر مياهه لري اراضي الخريزة الواقعة بين السيلين الابيض والأررق لكن هذا الاسم لم يجمع عليه بصمة رسمية حاسمة إلا في حملة افتتاحه أما الى يومئذ فكان كثيرون يسمونه حراں مكوار باسم البلد الذي بني عنده، كما سمي حراں اصواں باسم اصواں ويحكون عن تغيير الاسم من مكوار الى سار حكاية طريفة اقصها لها من غير أن اكمل صحتها ذلك ان مكوار عائلة كبيرة في هذه المنطقة من مناطق السودان استوطنت الجهة واطلقت اسمها على البلد الذي استقرت به ثم كان ان عدا الدهر على العائلة فتدهور حالها وذهب احد أبنائها يلتمس معونة الحكومة على عذر القدر ولما سئل عما قدم هو وأهله للحكومة من خدمة تدرر هذه المعونة قال « يكفي اطلاق اسم عائلتنا على هذا العمل الهندسي العظيم الذي يجلد ذكر هذه الحكومة وذكر بريطانيا » فكان الخواص وفص المعونة وتغيرت نسبة الحراں من القرية الواقع عندها الى مديرية سار القائم حلالها

وحران سار واحد من أعمال الري الكبرى التي يراد نافعتها  
صط مياه النيل فما يزال القسم الأكبر منها يصعب في البحر  
الأبيض المتوسط مع إمكان الانتفاع به لري ملايين الأفدة القرية  
من النيل والصالحة للزراعة لولا عدم وصول المياه لها وستناول  
حديث هذه المشروعات في الفصل الآتي من فصول هذا الكتاب.  
ولم يشيد حران سار إلا بعد أن قامت الحكومتان المصرية  
والسودانية بعمل مباحث مستعينة عنه وعن سائر مشروعات الري  
الأخرى وبعد ما أحرقت تحارب كثيرة لمعرفة ملع صلاح ارض  
الجزيرة لزراعة القطن دي التيلة الطويلة من نوع قطن السكلاريدس  
المصري فلما نجحت هذه التحارب اقدمت حكومة السودان على  
انشاء الحران الذي حصرا حملة افتتاحه

وكان السروليم حارستن مستشار وزارة الاشغال المصرية اول  
من لفت النظر لامكان ري سهل الجزيرة ربا صاعيا في سنة ١٨٩٩،  
وايده في تقرير قدمه سنة ١٩٠٤ للورد كرومر قنصل بريطانيا الحران  
في مصر والى ذلك الوقت كانت فكرة زراعة القطن في مساحات  
واسعة بأراضي الجزيرة لا تريد على حبال لديد يطر اليه الانكليز معين  
الرجاء ذلك أن زراعة القطن لم تكن عريضة عن تاريخ السودان فقد  
روى المسيو نوسيه الذي رار سار مع المشر رافريوس دي برفان  
سنة ١٦٩٩ أنه وجد بها مائة الف من السكان رائحة تحارثهم في

تصدير القطن الى حد ان اتفق السلطان الاررق — وذلك هو  
اللقب الذي كان يطلق على أمير هذه المنطقة الواقعة على النيل  
الاررق — مع ملك الحبشة على إبقاء صايط باليابة عنه في تملحها عند  
حدود الحبشة لتحصيل العوائد على القطن الصادر واقتسامها شطرين  
يأخذ كل امير منهما شطراً كذلك روى بركار الذي رار تشدي  
في سنة ١٨١٤ أن أهم صادرات سار كان الدمور المصنوع من القطن،  
كما روى ان مصانع القطن في سار ومحرمي هي التي كانت تمون  
القسم الأكبر من افريقيا الشمالية بالملاس على ان هذه الصناعة  
انحطت في السودان وتدهورت لقيام الصناعة الكبرى في اوروا  
ومراحتها الصناعة اليدوية في الاسواق مريحة لم تقو هذه الصناعة  
اليدوية على البقاء امامها طويلاً لذلك انقلب السودان الى رراعة  
الحبوب واطلق على سهل الخريرة انه محرم حبوب السودان كافة  
فلما استعادت الحبوب المصرية السودان بعد ثورة المهدي كانت رراعة  
القطن وصاعته قد تدهورت فيه واصبحت ضئيلة أشد الصالة

ولما قدم السرجارستن تقريره عن إمكان صط مياه النيل  
الاررق لري الخريرة بدأت حكومة السودان في ديسمبر سنة ١٩٠٤  
بمساحة اراضي هذا السهل المترامي الاطراف وتقرير حقوق ملاك  
هذه الاراضي وقد استمرت المصلحة التي استئت لهذه المساحة  
قائمة بعملها حتى أتمت القسم الاعظم منه في سنة ١٩١٢ كذلك



مدت الحكومة خطاً حديدياً ما بين الخرطوم وسار بدأت العمل فيه في سنة ١٩٠٩ ووصلت به الى ساري سنة ١٩١٢ ثم احترقت به أرض الحرية من حوضها حتى وصل الى كوستي على شاطئ النيل والابيض اتجه الى بلدة الالبص وفي الاثناء بدأت الحكومة تجربة زراعة القطن فأقامت في سنة ١٩١١ محطة ظلمات عند بلدة الطيبة على الشاطئ العربي للنيل الاررق وحشرت الترع التي تأخذ مياهها من محطة الظلمات هذه لتعدي ثلاثة آلاف فدان ريدت بعد ذلك الى خمسة آلاف وعهدت حكومة السودان في القيام بهذه التحارب الى نقابة زراعة السودان لما كان لهذه النقابة من سابقة القيام بتحارب زراعة القطن بريداب في شمال الخرطوم وبدأ بحاج تجربة الطيبة بحاجاً ناهراً في سنة ١٩١٣ . فدعا هذا السحاح الى ضرورة التفكير في أصلح طرق الاستغلال وكاب لورد كتشير يومئذ قسصل بريطانيا الخيال في مصر فتوسط في الامر وأتم الاتفاق على أن تكون حكومة السودان مسؤولة عن الترع الكبرى في كل ناحية يزرع القطن فيها وان تكون نقابة زراعة السودان مسؤولة عن الترع الصغرى وعن ادارة المشروع كله وامداد المزارعين بالأموال اللازمة لهم وان يقوم المزارعون بالعمل في الاراضي وان يوزع محصول القطن الناتج من الزراعة بنسبة خمس وثلاثين في المائة منه للحكومة وخمس وعشرين في المائة للشركة والاربعون في المائة

الباقية تكون للمزارع كما تكون له سائر الحاصلات التي تنتجها الارض في هذه السنة عيها ، سنة ١٩١٣ ، وعلى أثر زيارة لورد كنتشر للسودان مع الصينيين في الري من رجال الحكومة المصرية ، وبعد ان رفضت الحكومة المصرية صمان القرص الذي اريد اصداره بمبلغ ثلاثة ملايين من الجنيهات لاقامة حراة سار ومباح مشروع ري الحرية ، في هذه السنة أقر البرلمان البريطاني الحكومة الانكليزية على صمان هذا القرص وعلى ذلك بدئت الاعمال التمهيدية لساء الحراة في سنة ١٩١٤ لكنها اوقفت عندما شئت بيران الحرب الكبرى .

وقد رفضت الحكومة المصرية إء داك صمان هذا القرص لأنها رأت الأمل ضعيفاً في استرداد ما دفعته للسودان سداداً لعمر ميرابته بما بلغ احد عشر مليوناً من الجنيهات ، ولأن السياسة الانكليزية كان طاهراً ميلها الى انتشار اكلترا بالسودان بعد ان تكون مصر قدمت له من الاموال ما مكه من الاستقلال مالياً عنها وورما كان للحكومة وللجمعية التشريعية عن ذلك من العذر أن الاموال التي دفعها مصر للسودان في السنوات المتعاقبة كانت ملايين عدة وصمان مصر لقرص الحرية قد ينتهي بأن تدفعه مصر فتصاف هذه الملايين الى تلك لتعود فائدتها آحر الأمر على اكلترا وحدها غير أن طائفة من المصريين كان لهم رأي غير هذا

الرأي . وكانوا يعتقدون ان كل عمل هندسي او مالي يربط مصر بالسودان يقوي حجة مصر في السودان ويكون نقطة ارتكاز لاولوية مصر في أن تمسك بيدها تصريف مياه النيل ويذهبون الى أكثر من هذا، إذ يقولون ان حكومة السودان كانت على استعداد لأن يشترك المصريون ملاكاً ومرارعين في استغلال سهل الحرية ولكنهم أطهروا اعراضاً تاماً عن هذا الاشتراك كما اطهرت الحكومة المصرية الرعة كل الرعة عن أن يكون لها في استغلال السودان يد أو رأي

وربما كان هذا الذي يقال صحيحاً وربما كان مركز مصر في السودان غير ما هو اليوم لو أن الحكومة المصرية صمتت قرص الحرية الاول الذي ريد بعد انتهاء الحرب من ثلاثة ملايين الى ستة لارتفاع أسعار الحامات والاحور اللارمة لانتقام بلاء الحران . وربما كان من الخير حقاً لو أن المصريين ذهبوا لاستغلال هذا السهل المترامي الاطراف وحققوا بذلك تحقيقاً فعلياً حقهم بأن السودان هو المهر الطبيعي لهم فلا سبيل لعصه عنهم لكن هذا الذي تدو صحته اليوم لم يكن واضحاً مثل هذا الوضوح قبل الحرب حين كانت اكلترا صاحبة السلطان العملي المطلق في مصر ، وحين كان المصريون في تسدة حذرهم من سلطاتها في السودان يخافون أن يتقدموا بحوه خطوة لذلك كان لحكومته يومئذ ، أو بالاحرى



كان للجمعية التشريعية التي رفضت صمان الحكومة المصرية قرض الحرية ، العذر كل العذر عن هذا القرار

تحت مصر إذن عن الاشتراك في استغلال سهل الحرية فأقدمت انكلترا بتشجيع لورد كنشير على الانفراد بهذا الاستغلال . وأقر البرلمان البريطاني صمان الحكومة الانكليزية قرض الحرية فدىء بالاعمال التمهيدية لانشاء حراا سار ، ثم استعرت مار الحرب فأوقعت هذه الاعمال لكن إيقافها لم يمنع من الاستمرار في قيام نقانة زراعة السودان باحراء تحارب حديدة حصوصاً بعدما تقرر أن تكون مساحة الاراضي التي يرويها حراا سار ثلاثمائة الف فدان يزرع ثلثها قطعاً في كل عام فأشأت النقانة المذكورة في أوائل سنة ١٩١٤ محطة طلبات حديدة في بركات لري ستة آلاف فدان . ثم أُنشأت بعد ذلك محطة أخرى لري ١٩٥ فدان في ناحية الحوش بدأت استغلالها منذ سنة ١٩٢١ ، ومحطة رابعة في وادي الواري ثلاثين الف فدان بدأت استغلالها منذ سنة ١٩٢٢ وكان هذا الاستغلال على قاعدة زراعة الثلث قطعاً والثلث درة ولوبية وترك الثلث الباقي غير زرع أي على قاعدة الدورة الثلاثية

ولم تكن عاية حكومة السودان ولا نقانة زراعة السودان من انشاء محطات الطلبات هذه مجرد القيام بتحارب لزراعة القطن فقد



كانت تجربة الطيبة كافية مدسة ١٩١٣ لكن زراعة القطن كانت قد اندثرت من السودان قبل ثورة المهدي برمن غير قليل . والمصريون المدربون على زراعة القطن رفضوا الاشتراك في الاستغلال وقد عطلت الحرب استمرار القيام بأعمال اشياء الحراة . فرأت الحكومة ورأت القانة الاستعادة من هذا الطرف لتدريب أكبر عدد ممكن من المعتشين الانكليز ومن أهالي السودان ومن الوافدين عليه من البحريا وغير البحريا على القيام بهذه الزراعة ومراقبتها حتى إذا تم بناء الحراة وكانت الترع والقنوات في الثلاثمائة ألف فدان التي أعدت في المشروع قد تم اشاؤها أمكن ررع ثلثها أو ما يقرب من الثلث قطعاً دفعة واحدة بمعرفة هؤلاء الانكليز المعتشين والاهالي المزارعين الذين تدربوا على رراعتهم . وقد أثبت الرمن بعد بظر الحكومة والقانة في هذا الشأن اد أمكت زراعة ثمانين ألف فدان قطعاً على أثر تمام بناء الحراة مباشرة في شتاء سنة

١٩٢٥ - ١٩٢٦

\*\*\*

أما هذه الثلاثمائة ألف فدان التي تقرر مد البداية ان يتكون منها مشروع ري الحرية فتمتد على الشاطئ العربي لليل الاررق متدأة عند قرية الحاح عند الله على بعد سبعة وخمسين كيلو متر الى شمال

مكوار حيث يقوم الحراة . (وقد سى الناس فى السودان اسم قرية  
الحاح عى الله وأصحت هه القطة معروفة عى المهندسين باسم  
الكىلو سعة وحسين ) ثم تستمر فى امتدادها شىالاً على محادة  
النهر وسكة الحىى مى خمسة وثمانى كىلومتراً وىختلف عرصها  
من الشرق الى العرب بين أربعة عشر وخمسة وعشرين كىلومتراً .  
وبسیرً وأمامك هه الابعاء أن تصور هه القطة من السهل  
المطمئ لا تقوم علیه روة من الرى ولا عقة من العقات محادة  
البىل الاررق المخصب ، وأن تصور الى جانب ذلك أنها لىست الا  
حراً من عشرة أحرأ من تلك الأراضى التى ىمكن رىها بالمشروعات  
والتى تلغ ثلاثة ملاين فدان من خمسة ملاين هى مجموع مساحة  
سهل الحريرة . وان تصور أحرأ ان هه الثلاثائة الف فدان  
قررت سنة ١٩١٣ وهاهى حكومة السودان وثقانة رراعة السودان  
تراها الآن عىر كافیة بالحاجة الرراعية مع أنها لم بىءأ بررعها الا عام  
١٩٢٥ - ١٩٢٦ أى مىء عام واحد فقط

وهه الثلاثائة الف فدان ، كعبرها من أراضى سهل الحريرة،  
لم تكن ملكاً لحكومة السودان وهى لىست الآن ملكاً لها بل هى  
فى ملك أهالى السودان اللى كانوا بررعوها على المطر حوئاً  
جعلت الحريرة - كما اسلها - محرن حوب السودان وقد رأت  
الحكومة ان نظام مشروع الحريرة لا ىنتج ثمراته إىاً فبقت هه

الأراضي تحت يد ملاكها ورأت من ناحية أخرى أنه لا بد لساح  
المشروع من أن تكون للاهالي مصلحة مادية فيه فاستأجرت  
أراضي المشروع لمدة أربعين سنة بإيجار سوي عشرة قروش للعدان  
كما اشترت الأراضي اللازمة للترع الرئيسية وغير الترع الرئيسية من  
المنافع العامة تمنحها واحد للعدان ولما كانت مساحة هذه الأراضي  
قد حددت تحديداً دقيقاً بمعرفة الهيئة التي يوها من قبل بذكرها  
والتي اتمت عملها في سنة ١٩١٢ وسجلت أملاك الاهالي بأسمائهم  
فقد كانت المعاملة بينهم وبين الحكومة لا تثير براعاً من هذه الجهة  
على ان هؤلاء الاهالي الذين استأجرت الحكومة أراضيهم يجب  
ان يكون لهم الى جانب هذا الإيجار الذي يبدو تافهاً ضئيلاً متى  
استعلت الأرض برعاية القطر مصلحة أخرى تجعلهم لا يتدمرون  
ولا يشعرون بأن حيفاً وقع عليهم وقد حلت الحكومة والقناة  
هذه المسألة بصورة تراها وتحكم على عدالتها بعد ان نصف لك كيف  
نظم ري الحرية .

أصبحت الثلاثمائة ألف فدان اذن في حيازة الحكومة التي  
استأجرتها وهذه الثلاثمائة ألف فدان تمحادي ترعة الحرية حيفاً  
وتحيط بها حيفاً . وقد قسمت الحكومة والقناة هذه المساحة الى  
تسعة عشر قطعة كل منها تبلغ نحو خمسة عشر ألف فدان ثم قسمت  
كل قطعة مساحات مربعة . وتم الترع الرئيسية الآحدة من ترعة



الحريرة وبين كل واحدة وما بعدها نحو ١٥ متر ومن هذه الترع تروى الأرض عن طريق فتحات منتظمة أدق نظام

وقد رأت الحكومة أن قدرة المزارع في الاستغلال الصالح لا يمكن أن تعدو العمل في ثلاثين فدانا يزرع منها عشرة أفدنة قطعاً وعشرة درة ولوية ويترك العشرة الباقية بغير زراعة لذلك جعلت هذه الثلاثين فدانا وحدة ما يصع الرجل عليه يده في أراضي الحريرة. وملاك الأرض الأصليون يوصلون على من سواهم في الاستغلال. فكل مالك يصع يده على ثلاثين فدانا من أرضه ولكي لا يشعر كبار الملاك بأنهم عسوا في تأخيرهم أراضيهم للحكومة جعلت القاعدة أن يكون للمالك حق اقتراح الأشخاص الذين يستغلون سائر ما استأجرته الحكومة من ملكه وهو غالب الأحيان يقترح من يتصلون به بصفة القرى وما دامت تقارير المفتشين عن هؤلاء المزارعين صالحة فلا محل لإحلالهم عن الأرض التي يستغلونها

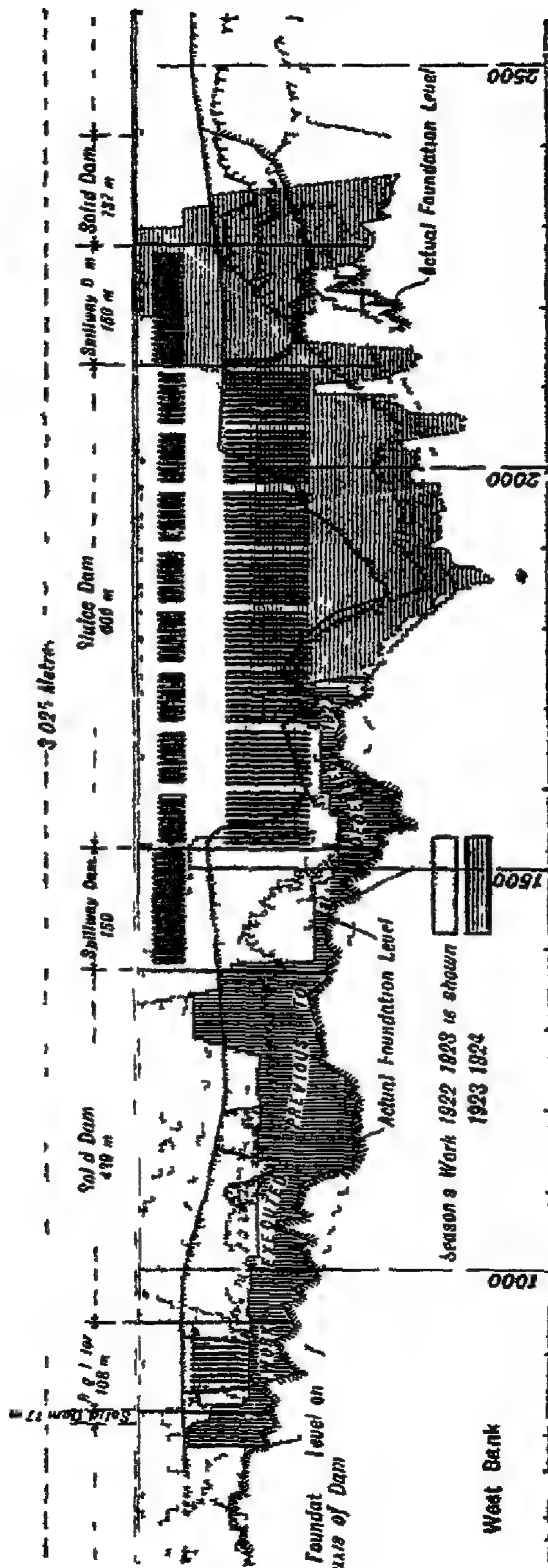
أشربا إلى أن محطات الطلمبات هي التي قامت بالتحارب الأولى كما قامت بتدريب المزارعين على طرق الاستغلال وأدواته، والتي استمرت كذلك إلى أن تم بناء الحرا في سنة ١٩٢٥ بعد أن بدأت الأعمال الأولى التمهيدية فيه في سنة ١٩١٣ وأشربا كذلك إلى أن هذه الأعمال أوقفت على أثر إعلان الحرب العامة في سنة ١٩١٤.



فلما انتهت الحرب عاد المسيو السديري الذي وكلت الحكومة اليه المشروع يباشر أعمال الانشاء لكن ارتفاع الاسعار على أثر الحرب جعل المبالغ التي قدرت لاتمام البناء غير كافية . على أنه استمر في العمل لحساب الحكومة وناشره قسماً غير قليل وفي هذه الآثناء رأت حكومة السودان ان حطة الانشاء على هذه الصورة ، صورة الحساب الجاري ، تهبطها بالمعقات فلما قررت الحكومة البريطانية رفع قرص السودان الى ستة ملايين طرح إكمال بناء حران سار في المناقصة ورسا على محلات بيرسون وأولاده بلدوره فبدأوا العمل فيه من ابريل سنة ١٩٢١ ، وهم الذين قاموا باتمامه

وسبقنا الى وصف الحران حين ترفوقه ودكرنا ان طوله ومعه الحوائط الصماء يبلغ ٣٢٥ متراً مد عليها شريط سكة الحديد استعداداً لانشاء خط مكوار - كسلا وشئت الآن مذكورة وفيه عن حران سار وصعها الهي بك الذي كان مدير أعمال تفتيش ري مصر بالخرطوم وتكرم باطلاعها عليها كما تكرم بايقافها على ما طلبنا من المعلومات الخاصة بهذا المشروع ومشروع حل الأولياء وان كان قد اعتذر عن الافصاء لنا بما رأى أن وطبيعته لا تسمح له بالافصاء به


 Hatched pattern  
 4-106 40



(صورة الخزان أثناء تشييده)

فتحات السد — معمولة بالتساع يسمح بمرور اكبر تصرف  
للبل الاررق وريادة وهو ١٥ متر مكعب في الثانية والفتحات  
كالآتي —

أولاً — الفتحات السفلى وعددها ٨ وعرض كل واحدة ٢ متر  
وارتفاع ٤ و ٨ ومسوب القتب ٢ و ٤ و ٤ ويعمل عليها المواردة  
سوانات حديد تفتح بواسطة وش محاري

ثانياً — الفتحات العليا وتسمى فتحات التحصيف وهي ٧٢ فوق  
الفتحات السفلى عرض كل واحدة ٣ متر وارتفاعها ٢ متر وهذه  
الفتحات يعمل عليها المواردة بواسطة أحشاش عمافقي وترفع مهب ناليد  
تالشا — يوحد بالحمة الشرقية من الفتحات المبينة عاليه ٢ فتحة  
عليا ومثلها في الحمة الغربية — وعرض كل فتحة ٥ متر وارتفاعها ٢ متر —  
وعتب عموم الفتحات العليا على مسوب ٢ و ١٧ و تفتح وتقفل  
بواسطة أحشاش عمافقي

سعة الحراان وملوه وتهريمه

أولاً — أعلا مسوب تصل اليه المياه أمام الحراان هو ٧ و ٢٠ و  
ويحرن على هذا المسوب ٦٣٦ مليون متر مكعب

ثانياً — في أول يوليو من كل سنة يكون مسوب أمام الحراان  
على ٥ و ١٤ و يرتفع تدريجياً في مدة خمسة عشر يوماً الى ١٧ و ٢

لإعطاء مياه لري القطن الخريزة ونحط المياه على هذا المنسوب الى أول نوفمبر .

ثالثاً — من أول نوفمبر الى ديسمبر يرتفع منسوب المياه تدريجياً الى ٧ و ٤٢ ويبقى على هذا المنسوب الى ١٨ يناير .

رابعاً — من ١٨ يناير تأخذ الخريزة كافة احتياجاتها من الماء المحروون أمام والتصرف الذي يكون في الليل الارورق في الروصيرص أي تصرف النهر الطبيعي يمر حلف الخران كما هو لاحتياحات القطر المصري لعاية أول يوليو حيث يتكرر الترتيب المين عاليه

ملحوظة — قد اتع نظام خاص في الححر على الخران هذا العام لعدم أحد مياه كثيرة في يوليو يمكن أن يحصل منها صرر للقطر المصري وفي أول ديسمبر من هذا العام تم حط أمام الخران على الدرجة المطلوبة وهي ٧ و ٤٢

### ترعة الخريزة

أولاً — فم الترعة عبارة عن ١٤ فتحة عرض الواحدة ٣ متر وارتفاع ٥ متر والعتب على منسوب ١ و ٤١١ - من هذه الفتحات سعة مقعولة بالحرسانة المسلحة، وتعمل المواردة بواسطة نوات حديد ترفع بوش يدار بواسطة رحلين

ثانياً — الترعة عرض قاعها ٢٦ متر وارتفاع المياه بها ٤٥ و ٣ متر



وأنحدار ٧ سني في الكيلو وذلك كاف لري المساحة الحالية وهي  
٣٠ فدان ومسطاح التربة يسمح بتوسيعها عند زيادة الرمام  
ثالثاً — أول قاطر حجر على التربة عند كيلو ٥٧ ويتفرع أمامها  
خمس ترع ومصرف على السيل لتجهيز المياه بالتربة وعندها يبدأ  
الري بالحريرة وكل الري بالراحة  
رابعاً — ثاني قاطر حجر عند كيلو ٧٧ وأمامها ثلاث ترع  
ومصرف على السيل للتجهيز ثم قاطر حجر أخرى عند كيلو ٩٩ ثم  
عند كيلو ١٤٤

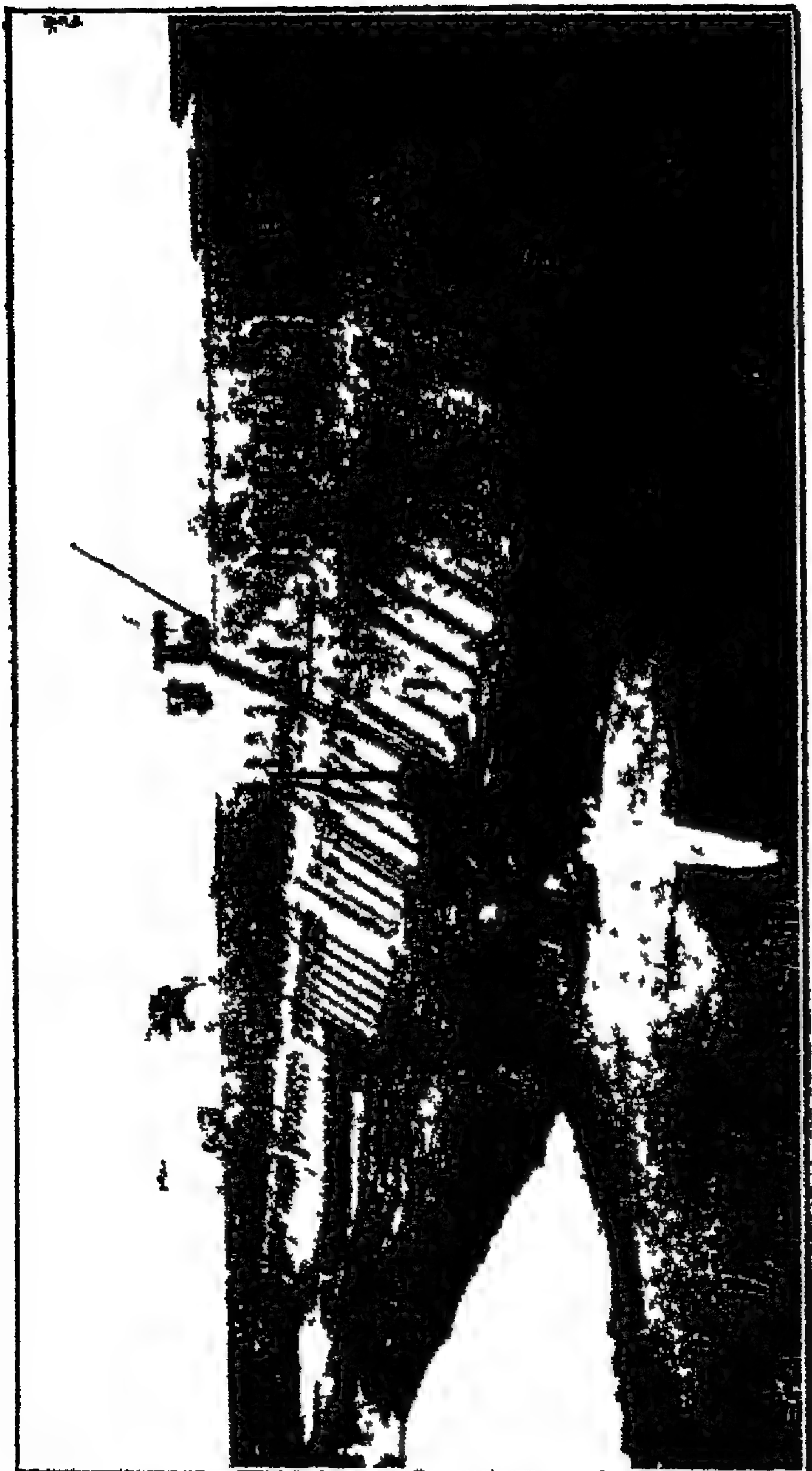
### الأرض المقرر دراعتها بالحريرة

هذا العام تم ري ثمانين ألف فدان قطن و ٤٩ فدان درة  
وعشرة آلاف لوبيا والريادة حالتها حسنة  
والمقرر هو أن يزرع مائة ألف قطن ومثلها درة ونقول ويترك  
مائة ألف فدان نور  
السعة فتحات المقفولة هم التربة والمسطاح المتروك التربة  
يسمحان بزيادة الرمام إلى مليون فدان

\*\*\*

وقد طرأ على بعض ما في هذه المذكرة تعديلات فيما يتعلق  
بالتواريخ التي تبدأ فيها حاجة مصر لتصرف النهر الطبيعي عرض إليها

( صورة الحراك من أمام حال الاسماء من شيدده )



حين الكلام عن مشروعات صط النيل كافة . كما ان سعة الحرا  
بعد ملئه للمرة الاولى تنبأ بها ٨ مليون متر مكعب والمناصب  
المذكورة فيها مذكورة بالمقارنة الى ارتفاع مياه البحر الابيض المتوسط .  
أما ماورد عن مسطاح الترعة وكونه يسمح بتوسيعها عند زيادة الرمام  
فذلك لأن الحرا يتسع لحرا مياه تكفي رراعة نصيب مليون فدان  
اي صعب المساحة الحالية الا قليلا والسعة الفتحات المقفلة بالحراصة  
من فتحات ترعة الحريرة يكفي لامداد هذا المقدار بالمياه اللازمة له  
ويحس أن نده القارىء كي يسهل عليه إدراك حكمة تواريج  
الماء والتعريع الواردة في هذه المذكرة الى أن رراعة القطن بالسودا  
تبدأ في أواخر شهر يوليو وأوائل شهر أغسطس ورفع مستوى الماء في  
الحرا من ٤١٤ر٥ وهو الرقم الموارى لمسوب الفيضان الطبيعي للنهر  
الى ٤١٧ر٢ في النصف الثاني من شهر يوليو إنما يقصد به الى تعدية  
أرض الحريرة بماء الراحة اللازمة لرى الأرض وررعها قطعاً ويبقى  
هذا المسوب تائماً الى شهر نوفمبر حين تحلو مياه النهر من الطبي  
ويمكن التحريين وفي شهر نوفمبر يرفع مسوب التحريين في سار الى  
مستوى ٤٢ر٧ ويبقى الى أن تبدأ حاجات مصر للماء لراعة القطن  
ولتعدية النهر وإذ كانت أولوية مصر أمراً مقررأ معترفأ به من  
الجمع فقد وحب البدء في تعريع الحرا بحيث تأخذ أراضي الحريرة

كل حاجاتها منه ويبقى تصرف النهر الطبيعي وفقاً على مصر .  
والواقع ان حاجة أراضي الحريرة للماء تقل بعد شهر يناير الذي تبدأ  
فيه الحياة الاولى من حبات القطن وتنتهي في شهر مارس فلا تبقى  
ثمة حاجة لعير مياه الشرب وهذه يكفيها ما مقداره تصرف عشرة  
أمتار في الثانية

فإذا كان شهر يوليو واتسدت الحاجة الى المياه في الحريرة  
لرعاية القطن واتسدا الفيضان يجعل رفع الماء في الحراة غير صار  
محاحات مصر بديء في عملية رفع المياه في الحراة من حديد

\*\*\*

لكن مسطح أرض الحريرة يبلغ ، كما سبق القول ، خمسة ملايين  
من الأفدة أو يزيد والية متجهة الى استعمال ثلاثة ملايين منها .  
فكيف السبيل الى هذا الاستغلال وحراة سار لا يكفي ما يحجره  
من المياه الا لري نصف مليون واحد؟ أم ان مشروع الحريرة ما يزال  
واقعا في ذهن أصحابه عدري هذا النصف المليون الواحد من الأفدة ؟  
لا هذا ولا ذاك والفكرة الانكليزية متجهة كل الاتجاه الى  
الى ري ثلاثة ملايين من أفدة الحريرة واستغلالها لرعاية القطن  
الطويل التيلة والوسيلة الى ذلك في بطرهم ليست تعلية حراة سار  
ولكن إقامة حجر على بحيرة تسانا في حال الحشنة لحجر ما ينزل في



هذه البحيرة من الأمطار مما يحدرا أثناء الفيضان مع مياهها في الليل  
الاررق ويذهب صياغاً في البحر الأبيض المتوسط . وإذا كان حران  
سار الذي يتسع لبحر ٨ مليوناً من الأمتار المكعبة يكفي لري  
نصف مليون من الأفدة فمن الممكن بحر ثلاثة مليارات ونصف  
مليار على بحيرة تسانا وهذه العاية تحري معاوصات مستمرة بين  
حكومة بريطانيا وحكومة الحبشة

والظاهر ان هذه الفكرة ، فكرة البحر عند تسانا ، لم تكن  
متمكنة من نهوس الدين بدأوا مشروع ري الحرية في سنة  
١٩٤٠ وفي سنة ١٩١٢ . فقد روى لي أحد كبار الصين من  
رجال الري ان حكومة الحبشة عرضت قبل الحرب أن يدفع لها ربع  
مليون من الجبهات اذا أرادت مصر أو السودان إقامة بحر على  
تسانا ، فرفضت الحكومتان المصرية والبريطانية هذا العرض أما  
اليوم فحكومة الحبشة تطلب هذا المبلغ حرية سوية مقابل انتفاع  
من يريد الانتفاع بأراضي هذه البحيرة

وقد ينسأل بعضهم كيف تحجر المياه التي تسقط في فصل  
الامطار في بحيرة تسانا مع أن هذه البحيرة هي التي تعدي الليل  
الاررق أثناء الفيضان . وماء الليل الاررق في هذه الفترة مشع  
بالطبي فيجب أن تكون مياه تسانا مشعة بالطبي كذلك فإذا  
حجرت رسب الطبي في قاعها فارتفع هذا القاع وبلغ من ارتفاعه

على تطاول السنين أن تطفى كلها وهذا تساؤل من لا يعرف مصدر  
الطمي وطبيعة أراضي البحيرة المذكورة فهي صحيرية واقعة في مرتفع  
حلي ومياه الأمطار التي تدل إليها تدل أكثر صعاء من مياه  
اليل في أي وقت من أوقات السنة. فأما الطمي فيتكون من احتلاط  
مياه الأمطار بسفوح حمال الحشنة ومن انحدار الماء المشع تراب  
هذه السفوح الى محرى اليل الاررق بعد حروحه من بحيرة تسانا  
لذلك كان ححر هذه المياه في هذه البحيرة مد رول الأمطار فيها  
صالحاً من الجهة العية عاية الصلاح وكانت حراً طبعياً نديماً لري  
سهل الخريرة ولترك ما يفيض من الماء يسحدر الى مصر

على أن الحكومة البريطانية تتأطأ في معاوماتها مع الحشنة  
بهذا الشأن بعد ما بدا لمشروع الخريرة وحه من الصعوبة لا يتعلق  
بالري ولكن يتعلق بالآفات التي أصابت رراعة القطر فيها فقد  
كانت نتيجة رراعة القطر في أول أمره تفوق كل تصور ، إذ أتيح  
العدان من السكلاريدس أكثر من خمسة قاطير وبصف قطار لكن  
أمرافاً غير معروفة في مصر وما تزال أسامها الحقيقية عامصة سرعان  
ما أصابت السات فأصبحت من متوسط محصول العدان إصعافاً جعل  
حكومة السودان والحكومة البريطانية تفكران في الامر تفكيراً حديماً.  
وبطرة في هذا الاحصاء الرسمي عن حاصل العدان في الاماكن المختلفة  
والسين المختلفة تقع القارىء أن الأمر يستحق التفكير بالفعل . —

السنة	الطبية	بركات	الحوتش	وادي الو
١٩١١ — ١٢	٥٣٢ و٥	—	—	—
١٩١٢ — ١٣	٥٦٢ و٥	—	—	—
١٩١٣ — ١٤	٣٨٠ و٣	—	—	—
١٩١٤ — ١٥	٣١٠ و٣	٥٣٩ و٥	—	—
١٩١٥ — ١٦	٣١٠ و٣	٣٤٨ و٣	—	—
١٩١٦ — ١٧	٣٤٧ و٣	٣٢٠ و٣	—	—
١٩١٧ — ١٨	٤١٠ و٤	٢٦٦ و٢	—	—
١٩١٨ — ١٩	٤١٣ و٤	٣٥٠ و٣	—	—
١٩١٩ — ٢٠	٥٦٠ و٥	٤٩٨ و٤	—	—
١٩٢٠ — ٢١	٣٢٠ و٣	٣٥٠ و٣	—	—
١٩٢١ — ٢٢	٣٤٦ و٣	٣٨٤ و٣	٤٣٢ و٤	—
١٩٢٣ — ٢٤	٤٩٠ و٤	٤٠٠ و٤	٣٤٠ و٣	—
١٩٢٣ — ٢٤	٢٥٤ و٢	٢٨٧ و٢	٢٨٨ و٢	٢٨٨ و٢
١٩٢٤ — ٢٥	٢٣٣٨ و٢	٢٢٨٨ و٢	٢٣٩٠ و٢	٢٠٤٦ و٢

هذا الاحصاء صريح في الدلالة على خطر الحالة وتطلبها العناية والبحث . لذلك قامت الجمعية الامبراطورية لرعاية القطن بالاشتراك مع نقابة زراعة السودان ومع حكومة السودان بوضع برنامج شامل

للمباحث التي يجب أن تعمل لعحص أسباب هذه الامراض ووسائل  
علاجها وتكونت بلدرة هيئة استشارية مثلت فيها هذه الجهات  
الثلاث، وطبقها فحص التقارير الزراعية الخاصة بمشروع الحرية  
واسداء الصيحة فيما يجب القيام به من المباحث في العام الذي يلي  
هذه التقارير

أما مررعة مباحث الحرية الكائنة على مقربة من واد مدني  
والممتدة على مساحة قدرها ثلاثمائة وخمسون فدانا فقد أمدت بما  
يجب لمبحث المسائل التي تمس رراعة الحرية فأقيمت المعامل  
ليعمل فيها علماء للطر فيما يقتضيه البحث الكيماي والسائي ولا حراء  
التحارب الخاصة بانتقاء بدرجة القطن التي يمكن أن تصلح في أراضي  
الحريرة من غير أن تصاب بما أصيبت الهرة القديمة به من الآفات .  
واكثر طن الصبين في الوقت الحاضر أن هذه الآفات التي  
تفشت في رراعة القطن سببها رطوبة الأرض بعد ريها ريا صاعيا ،  
وأن هذه الرطوبة لم يقف أثرها عند توليد حراثيم لا تصيب الا طاهر  
شجرة القطن بل تولدت عنها حراثيم امتدت الى بدور القطن نفسه .  
على أن هذا ما يرال في حيرالطن الى أن تحلو المباحث العلمية الحقيقة  
غير أن تناطؤ الحكومة البريطانية في المفاوضات الخاصة بمشروع  
تسانا لم ينتها عن مطالبة الحكومة المصرية بزيادة الثلاثمائة الف فدان



التي ترزع الآن في الحرية الى اربعائة وخمسين ألفاً وقد بحث  
هذا الطلب بعد صدور الابدان البريطاني لمصر على أثر مقتل  
سيرلي ستاك ناسا في القاهرة مما سببه في الفصل القادم ونحسب  
الحكومة المصرية لا ترى من إحانة هذا الطلب مانعاً

حرايا سار ومشروع الحرية هما إذن حلقتان من سلسلة  
حلقات مشروعات الري الكبرى فما هي هذه المشروعات؟ وإلى أي  
حد وصلت؟ وما وجه الحق ثم ما وجه الخطأ فيها؟ ذلك ما نعرض  
له بالبحث الآن

---

## يوم في حل الأولياء مشروعات الري الكرى

كانت زيارة حل الأولياء ومشاهدة ما تم هناك من الأعمال  
لاستاء قطرة الحجر التي أريد تشييدها لعائدة الري في مصر خاصة ،  
من أول ما عيت به مد برلت الخرطوم ذلك بأن الحكومة المصرية  
كانت قررت هذا المشروع ، وأن الأعمال كانت سائرة فيه على مهل  
حقاً ، ولكنها كانت مستمرة في انتظار طرحه للمناقصة العامة وتولى  
أحد البيوتات الهندسية الكرى إقامته . ولم يقد أحد باعتراض  
حدي على هذه الأعمال واستمرارها مد انتهت اللجة الدولية التي  
محت الخلاف الذي كان حاصلأ بشأن مقاييس مشروعات صط  
اليل بين السير ولیم وللكس والمستركدي من ناحية والسير مردح  
ماكدونالد من الناحية الأخرى فمن يوم حكمت هذه اللجة بصفة  
نظرية السير ماكدونالد وأنطلت ماتمسك به حصماه في شأن المقاييس  
التي أقام هو عليها حسابه وفي شأن توزيع المياه من طريق قناطر  
الحجر بين مصر والسودان توزيعاً لا يصر أولوية مصر التاريخية - من  
ذلك اليوم استمرت الأعمال في مكوار الى ان تمت إقامة حراا سار ،  
وأرادت الحكومة المصرية الاستمرار في تشييد حراا حل

الاولياء لولا أن الاموال التي قدرت من قبل الحرب لاقامة هذا الحران وقدرها مليون من الحبيبات لم تصح كافية بسبب العلاء الذي عقب الحرب ، وان الحكومات المصرية التي كانت تتوالى في ذلك الحين كانت في وضع سياسي غير مستظم لم يمكنها من تقرير الاعتمادات اللازمة لانشاء حران حل الاولياء فلما توالى الحكومات بعد إعلان مصر استقلالها لم تستطع إحداها الفصل في الموضوع الى ان تولى معالي اسماعيل ناسا سري وزارة الأشغال مدأواخر سنة ١٩٢٤ الى شهر مايو سنة ١٩٢٦ وإذ كان معاليه ممن عملوا في تقرير مشروعات الري ومن بينها حل الاولياء فقد قررت الحكومة التي كان فيها الاعتمادات اللازمة للسير في العمل

والى ذلك الحين لم تكن فكرة إهمال حران حل الاولياء وتعليه حران اسوان الحالى تعليه ثابته قد وجدت أنصاراً في الحكم ولا كانت قد وجدت أنصاراً أقوياء خارج الحكم لذلك كان طبيعياً أن أعني بزيارة حل الاولياء وأرى سير الاعمال فيه وكان طلي أن أتمكن من الذهاب اليه صبيحة يوم الثلاثاء ١٩ يناير إذ كان برنامج حملة افتتاح حران سار حالياً يومئذ لكن اشتغال مواطينا القائمين بأمر حل الاولياء باستقبال سري ناسا وريير الاشغال لم يحمل احانة طلي هذا ميسورة فتصيت الثلاثاء بأمر درمان وانتطرت الى يوم السبت الذي يلي وصولنا الى الخرطوم بعد حملة سار ، وفي هذا اليوم

أعددت عدتي للذهاب مع معنشي ري حل أولياء محمد بك صبري شبيب الذي تفصل بدعوتي كي أضحيه في سيارته .

تقع قرية حل الاولياء على بعد خمسة وأربعين كيلو متراً الى جنوب الخرطوم على السيل الابيض . وقد احتيرت بعد ان أثبت حس قاع الهر ان القاع صحري عندها فلا يحتاج الى هفات حسيمة يحب انها للوصول الى طقة صحرية بعيدة عن القاع بعداً كبيراً . وكانت قد دارت محاطر السير ولیم ولكنكس حوالي سنة ١٩٩٠ فكرة انشاء قطرة الحجر على الهر بين الخرطوم وأم درمان لتعي في الوقت نفسه عن إقامة حشريين عاصمتي السودان (١) . لكن هذه الفكرة أهملت لما كان يترتب على الحجر من اتساع مسطح المياه اساعاً يصير البلدين جميعاً صرراً حسيماً

كست أود لو استطعت بدل الذهاب في السيارة ان أركب السمية التي يسافر فيها المهندسون من الخرطوم الى حل الاولياء . لكن قيامها في منتصف الساعة السادسة صباحاً وحشيتي عدم التكبير في البقطة عدلاي عن هذا الميل فلما استيقظت في الصباح الهيت الوقت محكراً مما جعلني أود لو وحدث الوسيلة لاحطار مواطينا المسافرين على طهر الهر . وراد هذا الميل عدي ما كان من صحو السماء ودوء الخو وتعريد العصافير فوق أشجار الصدق . لكي بعد

---

(١) كذلك سمعت من معالي سري ناشا



قليل من التفكير وأنا ما أزال في سريري ممتعا بما حولي من دواعي  
الكسل عدت فوصلت أن أتناول إفطاري على مهل في انتظار محي  
السيارة الساعة الساعة والصف وقيل هذا الموعد كنت قد أتممت  
عدتي وعادرت العرفة الى شرفة المصدق حيث انتظرت الى حين  
حلوله . ولم يحضر صبري بك فبرات الى الشارع المعجم المحادي لليل  
الاررق أسير فيه دهانا وحيثة ووصلت من مسيرتي الى حديقة  
الحيوانات ودخلت اليها وطمت أرحاءها وتمتعت في هذا الوقت الطريف  
الريق هواؤه الهادئة شمسها بماطر العرال والعام وما ترال هي الأخرى  
ماعمة بقطعة النهار واطواء بساط الليل واد كانت الحديقة لا تلعب  
ركنا من أركان حديقة القاهرة فقد حرحت منها بعد ربع ساعة  
ويمت المصدق من حديد وإد وصلت الى نابه كان صبري بك قد  
دخل يسأل عي فتادلنا التحية وركبا السيارة التي احترقت ساشوارع  
الخرطوم وتخطت الى فضاء كأنه الصحراء

نعم كأنه الصحراء! فهو ليس صحراء كالتى قطعها القطار بين حلما  
واي حمد والتي لا تعرف من صور الحياة غير « التكلات » المقطعة  
عد المحطات من مرة الى مرة ، لكه مع ذلك رمال وسيحة  
ممتدة يقدم عليها الحين بعد الحين « ديم » به بعض تكلات تشهد  
أن الحياة به غير مقطعة كل الاقطاع وتعطيها تحيرات يدعومها  
« العشار » أتمه شيء في اقعائها على الارض وفي قنم لون ورقها وفي

صمتها الموحش لا يحبه طير ولا حشرة تلك الشحيرات التي تقوم الى حاب كثير من مقابر الارياف وفوق هذه الرمال وبين تلك الشحيرات طلت السيارات في انطلاقها بسرعة وظللت لا ترى إيساً مدى ساعة ونصف الساعة وحتى هذه «التكالات» القائمة في بعض «الديم» والمدينة من الطين لم يقم حولها رحل ولا امرأة . ثم بلغنا قرية حل الاولياء وهي أقرب للكفور والعرب منها لقرى الريف بل أقرب للكفور والعرب الصغيرة منها الى العرب الكبيرة ومن قبل أن نمر هذه القرية تدي أماما حل قبل الارتفاع هو الذي سميت باسمه القرية وهو حل قاحل من حجر حيري كسته الشمس المحرقة لوناً كالحما

وتقدما نحو مستعمرة الخران التي أفانها الحكومة المصرية للمهندسين والعمال الذين سيقومون بالتشيد ومراقبته وفي هذه المستعمرة مارل عدة ومها مستشفى وقد زرعت فيها بعض الاشجار وسربا بين هذه الماني التي أقيمت من حجر الحل الى ان وصلنا مقر تفتيش حل الاولياء ولعلك إن أردت أن تستوضح منه صورة موفق الى ذلك اذا كنت قد رأيت بعض دواوين الهندسة في مراكر مصر أو بعضاً من ماني المحاكم الخريفة في هذه المراكر دخلنا التفتيش وجاء الموطهون فاداني في وسط مصري حاص وادا أحد هؤلاء الموطهين كاتب كثيراً ما ظهر اسمه على صفحات

الحرائد المصرية على مقالات في التفكير والاحتجاج ، ثم رأى حل  
الاولياء ووزارة الأتعال اكثر فائدة وحدوى من صناعة القلم وحمل  
صبري بك يطر في أوراق التفتيش رمزاً ولما أردت أن أقف على  
بعض معلومات خاصة بالحراة ذهب الى عرفة محاوره ثم عاد يحبرني  
أن المهندس المقيم مستر تير (The Resident Engineer Mr Tabor)  
يمصل أن مرور المائي التي تحاور الحراة وأن شهد مكان الحراة وأن  
نرى الاستعداد للتشيد وما حوى هذا الاستعداد من تحارب هندسية  
كي أتمكن بعد ذلك من أن أطرح عليه ما أريد سؤاله عنه

وسرنا صوب الهر الى حيث تقرر بناء قطرة الحجر مارين في  
طريقا سلكك حديد صيقة (ترولى) لنقل الاحجار والعمال ، ثم اعطنا  
فتسلقا الى حيث كان يقام بناء حديد للتفتيش يشرف على الهر  
ويمكن للمقيم به أن يرى العمل اثناء سيره وأن يراقبه مراقبة دقيقة ،  
ولذلك سمي هذا البناء مدخل الحراة ومن عند هذا البناء تسلقا من  
حديد قمة وضع فوقها حجر هو حجر المحور كما يسمونه ومنه يرى  
الاسان على شاطئ الهر حجرين على خط مستقيم معه هما موضع  
بداية البناء عند كل شاطئ وعلى حجر المحور هذا اعتاد الراترون  
أن يكتبوا اسماءهم وعليه كتبت اسمي أنا أيضاً مثلما يكتبون

والمحدرنا من عند حجر المحور الى بناء التفتيش الحديد فالى  
شاطئ الهر ونحن نتحدث عن هذا الحراة وبنائه ، فلما كنا عند



( مستعمرة حمل الاولياء )

الشاطيء لفت نظري حوص كبير في الارض بي من أحجار الحمل  
فسألت عما هو فاذا السير موريس فتر موريس المهندس الانكليزي  
العظيم في شؤون العمارة كان قد استدعى الى هذه المنطقة ليدي رأيه  
من الوجهة الفنية فيما اذا كانت احجار حمل الاولياء صالحة لاقامة



قطار الحجر منها أو ان ضروريا جلب احجار الحرايت من ناحية  
مكوار أو ناحية أخرى أقرب منها . وقد بي هذا الخوص من حجر  
حل الاولياء وملىء بالماء لمعرفة تأثير الماء فيه ولتقدير قوة مقاومة  
القطار التي تنبئ منه ومع أن هذا الحجر ثنت قوته فقد ابدى الخبير  
الهي رأيه بأنه يحصل أن يبي القطار من حرايت وحد على مسافة  
أربعين كيلومترا من حل الاولياء ويقتضى نقله بعقات غير قابلة لكن  
البعقات يجب أن لا يقام لها حساب كبير عند اقامة أعمال هندسية  
لها صعة الدوام كقطار الحجر المعدة لخرن مليارات الامتار المكعبة  
من المياه ذات الضغط الشديد

واستدرا عد هذا الخوص الى ناحية صهرجج ماء مرتفع واقع  
عد شاطئ النهارعد لتعدية بعض اعمال الساء والهندسة القائمة هناك  
والى جانب هذا الصهرجج امتد في وسط الهر حسر صيق لا يتسع  
لاكثر من شخص واحد يسير عليه ويصل بين الشاطئ وورشة  
عوامة سمعا منها اصوات المطارق التي كانت تعمل لاتمام معدات  
الناخرة كسلا الواقعة الى جانبها فوفعت بعد خطوات من الحسر  
هيبة واحلت الصر فيما حولي أين أنا الآن ؟ هذا هو الليل امامي  
اراه كما أراه في دمياط وفي المصورة وفي القاهرة وفي اسبوط وفي  
اسوان وهذه شمس الشتاء الدافئة فوقى تعث من حلال السماء  
الصافية الديدعة الصماء اشعتها المحسة التي تتعاون مع الماء لعت الحياة

في انحاء الوجود وهذه هي الباحرة كسلا يقوم بالعمل لاعدادها  
جماعة من احوالي المصريين . وهذه الاراضي المتسعة حولي اشبه في  
طبيعتها السهلة رعم قيام حل الاولياء فيها بطبيعة الوادي من مصر  
الى حلما والى الخرطوم تقوم فوق اراضيها المسطحة حال لا تريد  
على حل الاولياء ارتفاعا وهام السودانيون الذين حلعت بالخرطوم  
يتكلمون باللغة التي اتكلم بها ويديسون مثلي بالاسلام ويتصلون كما  
ابصل بماص محمد يعرف المراجعة ويعرف الرومان ويعرف العرب .  
الست ادن في بيثي الطبيعية ؟ اليس هذا الصمت المحيط بي يوحى الي  
من العواطف والمعاني عما يوحى به صمت ارياف مصر أوليس ذلك  
حجة على أن البيل المحسن أب لكل من اقام على صفاة الفيضة  
بالخصب والخير والبركة ، فكل من اقاموا على هذه الصفاة إخوان  
يحب أن يعموا احرارا بحيرات أبيهم العظيم

وسرنا فوق الحسر الى الورشة العوامة وارقبنا فوق سطح  
الباحرة كسلا وكسلا احدى واحر ورارة الاشغال التي تقل المهندسين  
ومعشئ الري المصريين ما بين الخرطوم والملاكال وأعالي البيل  
الابيض وكانت في هذا الخوص تحدد عرفها وسطوحها وتعد لراحة  
المسافرين عليها راحة كاملة والشئ الذي تمار به هذه السواحر الصغيرة  
التي تسير في اعالي البيل عرفة كبيرة من السالك يقيم بها المسافرون  
لتقيهم فعل ناموس الملا ريا مهم . والمسافرون يلحأون في الشتاء الى

هذه العرفة بهارهم ويأوون الى العرف العادية ساعات الليل أما في الصيف فالعرف العادية لا تحتل ليلاً ولا بهاراً عند ذلك تصبح عرفة السلك هذه هي المأوى وهي الملحاً اليوم كله

وعندما من حيث أتينا وعادنا وراءنا كسلا والورشة العوامة وصهرج الماء والحوص الذي نرى من الحجر وارتقيا الشاطئ حتى وصلنا الى ورشة كبيرة سورت محوطة من الصباح وقام بالعمل على وابوراتها جماعة من المصريين . وهذه الورشة مستعدة لكل ما يحتاج الأمر اليه في أعمال التشييد والبناء

ورجعنا الى تفتيش الري وقابلت مستر تير المهديس المقيم الذي أبدى لي ، بعد تبادل التحية ، تمام استعداداه لاحاتي عن كل ما أريد أن أسأل عنه من شؤون الحراة الفية قال « أما الاعتبارات السياسية فليست من شأنى ولذلك لا جواب لها عدي »

وقل أن بدأ الحديث أطلعي على خريطة الحراة الذي يمتد - بعد تمام بنائه - من حل الأولياء الى الدويم ولما كانت هذه المنطقة تبدو للطر رملية وكان تسرب المياه أثناء الرمال مما يسهل تصوره كان أول ما سألت المهديس المقيم عنه اذا لم يكن الحراة في هذه المنطقة من وادي النيل مصيباً لسكيات كبيرة من المياه خصوصاً وأن ارتفاعها في الشهر مدة التحرين يجعل صعطها على الرمال أكبر . ومن شأن ذلك أن يريد كمية المتسرب خلال الرمال »



## مكان حواه

«لقد ورد مثل هذا الحاطر نفس الذين فحسوا هذه الارض قبل  
الت بناء الحران عليها ، فقاموا باحراء تحارب اقمعتهم بأن الارض  
صماء لا تنسرب المياه خلالها اكثر مما تنسرب خلال أية منطقة حلية  
وما نزال نحن موالين احراء مثل هذه التحارب . وكل ما نقوم به منها  
يزيدنا اقتناعاً بصلاح المنطقة للحر من هذه التحارب انا حصراً  
آثاراً كثيرة على شاطئ الهير ما بين حل الأولياء والدويم وتركما  
هذه الآثار ارمانا طويلة وقد لوحظ أن هذه الآثار لا تتأثر بالعيسان  
ولا بالتحاريق . فارتفاع الماء فيها وعيصانه منها لا علاقة له الة  
بارتفاع النيل وانحماصه وهذا دليل على أن تسرب الماء في هذه  
الارض ليس يسيراً كما قد يبدو لل نظرة الأولى ورادنا اقتناعاً بصلاية  
الارض وعدم قابليتها للتسرب أن المياه في هذه الآثار لم تكن ترتفع  
وتنحصر وتعيص بنسبة واحدة ولا في أوقات واحدة فمن هذه الآثار  
ما كان يرتفع ماؤه اكثر من غيره ومنها ما كان يعيصر فيه الماء بينا  
ما يرال غيره يرتفع الماء فيه وفصلا عن ذلك كله فان ارتفاع المياه  
في هذه الآثار لم يصل يوماً من الأيام الى محادة ماء الهير ولم يرد  
يوماً على ان كان ماء شع كما يرى في أية منطقة عبر منطقة حل  
الأولياء ، وكما يرى في بعض المناطق الحلية الصحرية  
«هذه واحدة من التحارب وتحرية أخرى انا وصعا اسطوانة



نحاسية ارتفاعها خمسة أمتار عمودية على هذه الرمال وملأها بالماء .  
وتركها أياماً طويلة فلم ينقص الماء فيها أي نقص مما يدل على أن  
الرمال لم تشرب منه شيئاً .

« وأكثر من خمسين تحفة من هذا النوع أحريهاها وكلها دلت  
على أن أرض هذه المنطقة صماء وأن التحرين بها لا يحشى معه من  
تسرب الماء خلال الأرض ولا من تشرب الأرض للماء . فإذا لوحظ  
إلى حاب ذلك كله أن مقدرة الأرض على التشرب تنتهي كما تنتهي  
مقدرة الماء على اداة أي مادة قابلة للدوبان — كالسكر وكالمالح —  
تلقى فيه، وأن فيضان النيل في هذه المناطق يرجع إلى آلاف السنين  
لم يبق أماما موضع للرربة في أن نظرية التسرب نظرية لا أساس لها  
لم أحد ما اعترض به على هذه الأقوال ولاحظ ذلك مسترير .  
فانتقل من مسألة التسرب إلى الحديث عن حمل الأولياء ووظيفته  
الحقيقية فقال

« تعلم أن مصر بحاجة إلى أربعة عشر ملياراً من الامتار المسكنة  
من الماء لا مكان ري كلما ما يمكن ريه من أراضيها القابلة للزراعة  
وحران اسوان الحالي لا يحجر أكثر من مليارين ونصف مليار .  
وحران حمل الأولياء لن يقوم بحجر كمية أكثر مما يحجر حران  
اصوان ولا سبيل إلى الحصول على التسعة المليارات الباقية لسداد  
حاجات مصر المائية في مستقبل غير بعيد إلا التحرين على البحيرات

الاستوائية التي يسع منها النيل الأبيض وهذه هي مشروعات الري الكبرى التي يفكر فيها مد رمان طويل - من أيام كان السير ويليام هارستن مستشاراً لوزارة الاشتغال المصرية والمياه المحروية في المناطق الاستوائية لا يصل الى مصر قبل ثلاثة أشهر أو ثلاثة أشهر ونصف فلا مفر والحالة هذه من وحوود حوص مسطم تحجر عنه كميات من المياه كافية للحاحات العاحلة ويمكن ان تصل الى مصر في اسوعين أو ثلاثة أسابيع ذلك بأنه اذا طلّت اصوان الماء اللارم لمصر من بحيرة البرت التي سيكون عليها الحجر العام من الواجب أن يطلب هذا الماء للحاحات التي تنتظر في مصر بعد ثلاثة أشهر أو أربعة وقد يكون من الصعب التدوئما سيكون من هذه الحاحات في اثناء ثلاثة أشهر أو أربعة قد يرل من الامطار في مناطق الحشة أو في مناطق اخرى ما يعي مصر عن هذه المياه وفي هذه الحالة - حالة ما اذا لم يكن هناك حوص مسطم وكانت المياه تسيل من البرت لاصوان مباشرة - يضطر رجال الري الى ترك هذه المياه تمر للحجر الأبيض المتوسط وتصيع فيه والعاية من اقامة قاطر الحجر اما هي القادي من ترك الماء يصيع واستنقائه للانتفاع به عند الحاجة فأما مع وحوود حراان حل الاولياء ، وملئه كلما سحت مصر المياه التي به ، والحجر بعد أن يمتليء علي بحيرة البرت فثم ما يكمل عدم طلب مصر الا ما تتوقعه من حاجاتها الى الماء بعد الاسوعين أو الثلاثة

الاسابيع الكافية لمسيرة الماء من حل الاولياء الى اصوان وتعرف حاجات البلاد المائية بعد خمسة عشر يوماً أيسر كثيراً من تعرفها بعد ثلاثة أشهر أو أربعة فرص صياح الماء في البحر الابيض المتوسط تكون في هذه الحالة أقل بكثير وهذه هي الطبيعة الحقيقية الدائمة لحران حل الاولياء هو حوص مطم أكثر منه حراًناً لكنه سيكون حراًناً الى أن يتم تعديل مجرى النيل في منطقة السدود وإقامة الحجر على بحيرة اليرت .

وطال الحديث بنا في هذه الشؤون ثم شكرت المستر تير وحرحت وأصحابا المهندسين المصريين الى حيث تناولنا طعام العشاء في دار أحدهم بحل الاولياء وتركنا هذه المستعمرة المصرية التي لا تظهر أمام العين أكثر من مستعمرة صغيرة تكفي خمسون ألفاً أو مائة ألف من الحيهات لانشائها والتي يقال مع ذلك انها استغرقت ثمانمائة ألف من الحيهات ، تركناها عائدين الى الخرطوم حيث وصلناها ساعة أدبت الشمس بالمعيب

\*\*\*

آويت الى العندق ورأسي مشغول بمشروعات الري الكبرى، هذه المشروعات التي لم تشغل نال المصريين مثلاً تعلقته مدسة ١٩٢٠ حين كانت حركة مصر الاستقلالية على أشدها وحين داخل الناس الروع على مصيرهم اذا طلت معاتيج النيل في يد عبر يد

مصر فلقد علت الصبيحة يومئذ بأن مصر كانت مد الأثرل متممة وحدها نياه الليل وبطيه المحصب ، فمن العن ومن الاعتداء على الحقوق ححر هذا الماء أو بعصه عنها لرراعة القطن أو غير القطن في السودان ، ومن العن وضع تصرف الليل الذي كان دائماً بيد المصريين في أيدي أخرى تستطيع ان تتحد من ذلك وسيلة لتهديد مصر في حياتها وعيشها لسلب ولغير سلب لكن هذه الصبيحة كانت متأخرة من ناحية ، وكانت متهمة بالعرض الداني من ناحية أخرى ، وكانت سياسة سيئة كذلك

” ومع أن المصريين جميعاً اشتركوا فيها اندفاعاً وراء المهندسين الذين قاموا بها وفي مقدمتهم السير ويلم ولسكس والمستركندي الانكليزيين فاني اشعر اليوم شعوراً عميقاً بأنها لم تكن صبيحة موفقة بحال من الأحوال كانت متأخرة لأن مشروعات الري التي قامت الصبيحة صدها لم تكن بدت الحرب بل الحرب كانت عطلتها ولم يبدأ محشها وتصميمها قبل الحرب مباشرة بل محشت ووضع تصميمها وقررت المبالغ اللارمة لانشائها قبل الحرب بسنوات مع ذلك لم يعترض عليها أحد ولم ينكر أحد ما أفادت مصر من انشاء حرا القناطر الخيرية ومن انشاء حرا أصوان وتعليته كما لم ينكر أحد حاجة مصر للماء اذا أريد التوسع في ري المساحات القابلة للزراعة فيها .



فالمبدأ من حيث هو تقرر قبل الحرب سحو خمس عشرة سنة .  
وطريقة السيد وصفت في سنة ١٩٠٩ وبدأت أعمالها التمهيدية في  
سنة ١٩١٣ وكان هؤلاء المهندسون الذين أقاموا الصحة في مصر  
يشعلون وطائف هندسية كبيرة ومع ذلك ظلوا جميعاً لا يرفع أحد  
مهم صوتاً وكانت هذه الصيحة متهمة بالعرض الداتي لأب  
سيرولسكس ومستر كسدي لم يعترضا كما تقدم الا حين نشاط  
الحركة الاستقلالية المصرية ، وعندما استقل السير مردح مكدونالد  
بالإسراف في إنكلترا على مشروع الحريرة من غير أن يشتركا وإياه  
فيه مع ما كان لهما من المقام في الاعمال الهندسية بمصر والسودان .  
وكانت الصحة سياسة سيئة لأنها اتحدت حجة عبد السودايين بأن  
المصريين يريدون الاستئثار بمحيرات النيل وخدمهم مع ما يعلمون من  
أنهم يمتدرون السودان ومصر قطراً واحداً ويفصلون أن تهدر مياه  
النيل في البحر الأبيض المتوسط على أن ينتفع بها غيرهم، ولو كان هذا  
الانتفاع غير صار بالمصريين أنفسهم، ادا قام المصريون وقام السودايون  
بناء القناطر اللازمة التي تحجر الماء للانتفاع به بدل تركه يسيل الى  
البحر الأبيض المتوسط

أشعر اليوم شعوراً عميقاً بأن هذه الصيحة لم تكن موفقة صحيح  
أن أولوية مصر في الانتفاع بمياه النيل أولوية تاريخية ثابتة لا سبيل  
الى إنكارها . لكنهما لا تؤدي الى أكثر من حق مصر في استيفاء

حاجاتها من ماء النيل قبل غيرها وما دامت المياه التي تفيض من النيلين الاررق والأبيض يمكن ححرها والانبعاث منها لتوسع مصر الزراعي ولزراعة السودان والبلاد الواقعة على شواطئ النيل فمن الحرية في حق مصر وفي حق هذه البلاد المجاورة لها والمتصلة بها ، وفي حق العلم وفي حق الاساية ، أن لا تصط هذه المياه أدق الصط وأن لا تستفيد منها مصر والسودان وغير السودان العائدة التي تحمل أراضيها تنتج أعور نتيجة ممكنة والتي تعيد الصناعة وغير الصناعة من القوى الكمية في انحدار مياه النيل مما نستطيع الوسائل العلمية استخلاصه منها .

ومياه النيل اذا صطت ليست كافية لري القابل للزراعة من أرض مصر والسودان وغير السودان فحسب ، بل لتحمل من كثير من الأراضي الأخرى الصحراوية واحات وحات وما دام العلم قد سحر للناس قوى الطبيعة فمن الجهل ومن السخافة أن لا يستغلوا كل ما يستطيعون استغلاله من هذه القوى

ولست أريد في سبيل التدليل على هذا ان أصل والقارىء في بقاء الارقام والمكعبات فليست مهدياً وأكثر القراء ليسوا مهندسين ويكفي أن أذكر ان حاجات مصر الحالية للماء المحرون تعادل مليارين ونصف مليار من الامطار المكعبة وحاجة السودان الحالية تعادل ٨ مليون متر مكعب من الماء المحرون كذلك أما مياه

الميسان فلا حساب لها لأنها تريد أصعافاً مصاعمة عن حاجات مصر  
والسودان أثناء الميسان . فإذا كان ممكناً أن يحجر فضلاً عن ذلك  
ثلاثة مليارات ونصف في بحيرة تسانا وملياران ونصف عند جبل  
الأولياء ( أو عند اسوان إذا أمكنت تغذية الحراة وملوّه ) وأربع  
وعشرون ملياراً في بحيرة البرت أمكن القارىء أن يتصور ما يمكن  
ريادته من المساحات المبررة في مصر والسودان وعند ذلك يتسر  
معاً بعدم توفيق تلك الصيغة التي اندفع الناس لها وراء انتقادات  
السير ولكس ومستر كسدي والتي كانت ترمى الى عرض آخر

صحيح ان تفاصيل الانتفاع بهذه المياه وكفاءة ما لمصر في ذلك  
من أولوية يحتاج الى دقة فية كبيرة وان من حق المصريين  
المعترف لهم هذه الأولوية أن يراقبوا تصرف مياه النيل مد صدورها  
من مصادمهم وقد كان ذلك متعاً الى آخر الحرب إذ كانت وزارة  
الاشغال المصرية قائمة بهذه المراقبة فعلاً لكن الأحداث السياسية  
التي حدثت بين مصر وإنكلترا بعد الحرب سبب مطالبة المصريين  
بمحقهم الطبيعي في الاستقلال وحرصهم على وحدة مصر والسودان  
في هذا المطلب أدت مع الأسف الى مارعة إنكلترا مصر هذه  
المراقبة المبررة حتماً على أولويتها في الانتفاع بمياه النيل وبلغ البراع  
أشدّه على أثر مقتل السير لي ستاك ناسا حاكم السودان العام بالقاهرة.  
فقد ذهت إنكلترا في انذارها الذي وجهته للحكومة المصرية بتاريخ



٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٤ على أثر هذا الحادث الى انكار أولوية مصر التاريخية والى أن أيدت حكومة السودان في إباحة زراعة ما تريد دراعته في سهل الخريرة من غير حاجة الى أن يتم بين هذه الحكومة وحكومة مصر اتفاق سابق على هذه الريادة ، ومن غير تقدير لما يترتب على هذه الريادة من الصرر بأولوية مصر التاريخية في الانتفاع بماء النهر فلما هدأت الاحوال نوعاً وآن للتفكير السليم أن يحل محل العجلة التي اندفعت اليها انكلترا في تقرير سياستها بمصر على أثر الحادث عدلت عن هذه الفقرة من إدارها ، وقررت أولوية مصر في الارتفاق على مياه النيل في وثيقة رسمية ، واتفقت على ان تحدد الحصة المساحة التي يمكن ريادتها على الثلاثمائة الف فدان المربعة قطعاً وأن تحت كذلك مبلغ حاجات مصر لمياه النيل الاررق ومتى يجب أن يكون تصرف هذا النهر كله وفقاً على مصر فلا يكون للخريرة الا ما ححر من الماء في حراان سار

وقد قامت هذه اللجنة بالمباحث التي كلفت القيام بها ومع ان تقريرها لم يعلن حتى ساعة كتابة هذه السطور (ديسمبر سنة ١٩٢٦) فالمفهوم ان الاتفاق تم على أن تراد مساحة مشروع الخريرة الى أربعائة وخمسين الف فدان بدل ثلاثمائة الف والحجة في ذلك أن حراان سار يكفي متى ملئ لرى نصف مليون من الافدة وان ملأه لا يصير محاحات مصر للماء ، فلا صرر إذن من زيادة المساحة مائة



وحسين الف فدان أخرى والمفهوم كذلك أن قد تقرر أن بدأ  
حاحات مصر لتصرف البيل الاررق كله يقع في أول يناير في السنين  
العادية وفي ١٨ ديسمبر في السنين الواطئة الفيضان وعلى ذلك  
يجب البدء بتفريع حراان سار في هذه التواريخ بدلا من ١٨ يناير  
وهو التاريخ الذي أشار اليه الهي لك في المذكرة التي أثنتا صورتها  
في الفصل السابق

وقد اعترف لمصر في هذا التقرير بمخفها في مراقبة تصرف الهر  
كما اعترف لها بمراقبة تصرف حراان سار لكن تفاصيل الوسائل التي  
تم بها هذه المراقبة لم تعرف بعد وهي لا تعي فيما أعتقد غير المهندسين  
والمفهوم ان هذا التقرير وضع المادىء المشار اليها بصفة مؤقتة  
يعاد النظر فيها عند تمام إنشاء حراان حل الاولياء وسط المياه التي  
تستطيع مصر أن تستفيد منها ذلك بأن إنشاء حراان حل الاولياء  
كان امرا مقررأ يوم وضع هذا التقرير ولم يكن يدور في حساب أحد  
أن توقف الاعمال فيه لاعادة الطر في صلاحه أم في افصلية تعلية  
بنا حراان اسوان على إنشائه لكن الحكومة التي عقت حكومة  
زيور ناتا ( وهي حكومة عدلي ناتا ووزير الاشغال فيها عثمان بك  
محرم ) قررت وقف العمل في حل الاولياء وانتداب لجنة دولية للبت  
أي الاثنين أفصل إنشاء الحراان المذكورأم تعلية حراان اسوان وإلى  
ساعة كتابة هذه السطور أيضا لم تحصر اللجنة الدواية التي قررت

الحكومة اذ دامها مد ستة شهور ، بل لم تدع هذه الالحة للحدود ، بل لم تجمع المعلومات والبيانات التي تمكن الالحة من الفصل فيما يراد منها أن تفصل فيه

ولست فيا في شؤون الهندسة والري لاقطع في الامر برأي . وهذا الموضوع لا يدخل في نطاق كتاب وضع عن عشرة أيام قصيتها في السودان لكن ما أحدث به نسي في مقدمة الكتاب من أن أوجه خطأ كبيراً من همي ومن عياني الى هذه المسألة الخطيرة التي لم تنح في مصر كما لم تنح في السودان من شوائب الشبهات السياسية، والتي ما تزال سبباً للشردعوة تثير بين المصريين والسودانيين العداوة والعصاء - بحسبي أحشى أن يكون الخلاف في مسألة اسوان وحل الاولياء مشوناً لهذه الشبهات السياسية ببا كان واحداً أن يطل في دائرة البحث الهى الصرف وأن يترتب عليه ما تترتب على الصيغة العامة التي قامت في سنة ١٩٢٢ برعاية السير وايم وللكس والمستر كسدي والتي اتهمت بما اتهمت به وأحشى أن يكون خلاف اليوم غير موفق كما كانت تلك الصيغة غير موفقة

والرأي عدي أن مشروعات الري التي تقام على مهر محسن كبير كاليل ليست معاقل سياسية يرحى من وراثتها احصاع شعب من الشعوب ولكنها تحوير في الطبيعة يتم العلم لعائدة الاساية . وليست مصر وليست السودان وحدهما هما اللذان يستفيدان من هذه

المشروعات، بل تستفيد منها الاساية جمعاء فائدة اقتصادية عظيمة وما دام صحيحًا، اقتصاديًا، ان كل زيادة في الانتاج الزراعي او المعدني أو الصناعي تحدث في ناحية من الأرض تفيد الاساية جمعاء فمن الجريمة أن تستغل أسباب هذه الريادة لشهوات سياسية وسياس كانت هذه الشهوات في أمر مشروعات الري على البيل ناحية عن مطامع اكلترا أو عن محاور مصر وأمام المصريين مثل في قناة السويس وموعظة. لقد حورت هذه القناة الطبيعة لمصلحة تجارة العالم كافة فرادت بذلك رجاء الناس طرأ وبالرغم مما أثارته من الشهوات والمطامع السياسية التي أصرت مصر فقد أفادت مصر من القناة فائدة مادية وفائدة معوية كبرى وإذا كانت لم تفد كل ما كانت تستطيع إفادته فليس اللب في ذلك على هذا التحويل الصالح للطبيعة، بل اللب على الظروف الخاصة التي أحاطت بالاحيال الحاصرة والتي نهتها لتمهيد السبل لسعادة الاحيال المستقلة

ومشروعات الري الكبرى تحويل للطبيعة من هذا النوع . فالطبيعة تحمل مياه البيل تنحدر بها الامطار في فصل معين من السنة فتساب في محراه لتصبغ في البحر الابيض المتوسط وإذا امكن صطها للاستعانة بها في استغلال الاراضي القالة للزراعة، وعلى ررع الانواع المختلفة في فصول السنة المختلفة، كان ذلك حيراً لمصر والسودان والناس جميعاً في أقطار الارض المحتلة وقد عولج صط

هذه المياه مد قدماء المصريين وعولج في القرن الأخير سحاح . فمن الحرية عدم صسطها اليوم ولدينا من وسائل العلم ما يمكس من ذلك وادا كان واحداً أن يعلن أمثالي من غير المهندسين هذا الرأي مثل هذه الصراحة فواحب المهندسين الذين يحترمون أنفسهم ويريدون أن يسحروا علمهم لمصلحة وطنهم وخدمة الإنسانية ان يعلنوا آراءهم القيمة في هذا الموضوع وفي كل موضوع يعتقدون صلاحه وفائدته . وليس يحذر منهم بحال من الاحوال أن يخلطوا اعتبارات السياسة باعتبارات الفن واعتبارات السياسة وقتية واعتبارات الفن دائمة . والسياسة ظروف تنهر ولكن العلم والفن مادي ، وقواعد تقرر وقد يدو لك أمر من الامور السياسية اليوم في لون فادا هو بعد زمن قصير في لون آخر وقد تحسبك مستطيعاً أن تحكم تصريحه سياسياً فادا تقديرك انقلب عليك عدداً فاصطورت الى البحت عن تصريح لذلك الامر حديد ومثل هذه الشؤون الدائمة المور مع الحياة لا يصح لعالم يبحث مسألة من المسائل المتعلقة بها علمه أن يدحها في حسابه إنما عليه أن يقول في طمأنينة صميم وطهارة دمة ما يعتقد حقاً عليه لعلمه وحده أن يقوله ويجب عليه لذلك أن يبسي ساعة ابدائه الرأي أنه ان أمة صعبة وأن يطر في الأمر لدائه لا للطرف السياسي المؤقت المحيط به

واعل هذه البطرة العالية المتحددة عن العاطمة السياسية أهون



على المصريين في مشروعات الري الكبرى منها في اية مشروعات أخرى والسودان ومصر وطن واحد في الحقيقة وأهل اصوان أقرب الى حلما منهم الى القاهرة والروابط التي تربط مصر والسودان كثيرة وثيقة ان صمصمها أحداث السياسة يوماً فلن تفصها ثم هي لن تصمصها الا الى أحل وذلك الاعتبار أصبح اليوم منه في كل يوم مصر فالام في العرب والشرق تقرب بعضها من البعض الآخر ولو كانت بينها فواصل طبيعية وليس بينها من الصلة ما بين مصر والسودان وكلما اردادت وسائل المواصلات تهدمت الحدود الصناعية بل الحدود الطبيعية وادا كانت الام تسعى اليوم للقضاء على الحواجر الحركية التي أدت كثرتها الى ما يعايبه العالم منذ الحرب الكبرى من أزمات اقتصادية فمعنى ذلك أن ما أقيم في الماضي من الحواجر الصناعية سيتمهدم بطبعه

ولسا الآن بمعرض بحث هذه العلاقة بين مصر والسودان فسرد لها الفصل الأخير من هذا الكتاب لكما نورد ما أوردنا لقول أنه اذا وح على رجال العلم أن يطرحوا حائماً اعتبارات السياسة في أمثائهم فذلك أوح في بحث مشروعات الري الكبرى بين مصر والسودان

---

## عشية الأونة

يوم محالما وبشلال حلما

عدت من حل الأولياء مساء السبت ٢٣ يناير وقد اعترمت  
السعر بالقطار الخاص الذي يرحح الخرطوم صباح العد قاصداً محالما .  
وكان في بيتي أن أتناول طعام العشاء ثم أحرم متاعي وآوي الى مصححي  
لاستريح من عاء هذه الأيام التي قصيهاها بالسودان في مثل نظام  
الحد حلا وترحالا لكن عرني لم يتحقق أن العيت جماعة من  
أصحابا الدين دعونا الى الشاي بالمسكنة القطية أمس في هو الفندق  
ومعهم بعض احوالنا المصريين الذين جعلوا من مقاما بالخرطوم مقاما  
بين أهل وأصدقاء فأمصيا سطرأ من الليل تناول حديثنا فيه شتى  
من شؤون السودان وعادات السودانيين والمحجودات التي تقوم  
بها حكومة السودان في سبيل تعميره ليكون مررعة من أبداع مراع  
القطن في العالم وأهل السودان قسبان عرب وروح فأما العرب  
فيمتارون بدقة في قسبات الوحه وبرقة الشفاء وارتفاع قصة الأنف  
وهم يقسمون أحناداً وعشائر كشعوب شبه الحرية أما الروح فمطس  
الانوف علاط الشفاء عاثرو الاعين وهم يقيمون أغلب الأمر في  
داخلية السودان تحت أمرة سلطان مهم ما ترال بعسيتة بعسيتهم

وروحه روحهم و برعم امتداد الحصار الى الخرطوم والى أم درمان  
عن طريق أهل الخدسات المختلفة الدين يقيمون بهما وعن طريق  
المصريين سوع حاص إدا يمتون الى العرب السودانيين بكثير من  
الصلات بينهما الدين واللغة والمصاهرة والعادات ، فان داخلية السودان  
ما ترال في تنه الحياة الوحشية التي يقصون مثل قصصها عن عاشوا  
في محاهل الأرض مد آلاف السنين قص أحد الدين حصروا معا  
في هذه الأمسية أنه كان مسافراً الى رحاف في المنطقة الاستوائية ،  
ثم بأحد السلاطين الروح وطلب أن يحطى بالثول في حصرة عظمته  
ولما كان يعرف من أرو هذه السلاذ شيئاً كثيراً لم يدهته أن طهر  
له هذا السلطان في هيئة لا تمتاز على هيئة « أي الودع » الذي يطوف  
منسولا في قري الريف مصر ، وطهر من وراء السلطان مائتان ، معلمة  
رماحهم ، وكلهم في خدمته فلما حطى محدثا محصرة السلطان قدم الى  
عظمته من الهدايا بعض المرايا وبعض الورق المفصص الذي تلب به  
قطع الحلوي ، وكان اعتباط عظمته هذه الهدايا عظيما ولعله أمر  
لمن قدمها بشي . كثير من العاح ومن ريش العام

وقص محدثون آخرون شيئاً من مثل هذا القصص فأدكري  
ذلك حان حاك روسو ورحل الطبيعة الذي صوره في كثير من كتبه  
والذي جعله المثل الأعلى للسعادة وود معه أن تعود الاساية الى  
احتداء مثاله وانتسبت لهذه الذكرى وتساءلت لو كان يرصي روسو

مثل عيش هذا السلطان وحووده ثم سرعان ما رالت انتسامتي حين سمعت المحدثين يدكرون من شهامة هؤلاء الروح ولسالتهم واحتقارهم الحياة وأقدامهم على الموت طائعين رالت انتسامتي وتحييت روسو متصراً يقول « أرايت يا صاح الى هؤلاء الذين كنت تحسبهم مثل الصعة والحقارة أنهم سعداء لان مطامع الحياة وشهواتها لم تكتسح من هوسهم أسباب العظمة الحققة التي تصل الانسان بالطبيعة وتجعله حراً منها سعيداً بها مطمئناً اليها . وهم سعداء لأن العلوم والفنون لم تحدهم باطل رحرها ولم ترين لهم من ألوان اللهو متاع العرور ثم هم سعداء لأنهم يعيشون عيش الاساطة فكل ما يبالونه من حير يريد هم سعادة فلم لا تعيش الاساية عيشهم فتطرح وراءها هذا الرحرف الباطل الذي تسميه الحقائق والعلوم والفنون والذي لا يريد على أنه عت الدهن وهو الخيال ؟ »

وأمسكت عن الاندفاع في هذا التفكير حين اضطرت لمشاركه احوانا لما تحدثوا عن مصر وأحوالها وسألوني عما اعتقده مصير ما تم من أحرامها من ائلاف والحديث في السياسة كحديث الافاعي يطول فاستغرق كلام احوانا في مصر وشؤونها بقية سهرتنا ، ثم ودعوني واعتذر جماعة منهم بعملهم عن توديعي ساعة الرحيل من الخرطوم وتنس صبح الاحد ٢٤ يناير واعتلت شمسة مماء السودان الصافية الاديم وتناولت الشاي وأعددت متاعي ودهت الى قاعة



الطعام للافطار ثم خرجت من هو الفندق الى حديقته الصغرى التي  
تفصل بين سياج الفندق وبنايه . وألغيت عند الباب سيارة كبيرة  
وسيارات صغيرة بعثت بها حكومة السودان لتقلنا جماعة صيوفها الى  
المحطة في طريق عودتنا الى مصر وتخطيت الشارع وألغيت بطرة  
على صفحة السيل الأرق وتلعت حولي أودع هذا المطر الذى ألفت  
وألمى أسوأ كاملاً في هاته المحطة دى الى نفسي احساس يحالها  
كلما فارقت بلدًا احتواني وأنا في شك من العودة اليه . احساس  
العراق يترج فيه الألم بالامل ، والخوف بالرجاء . وهل العراق الا  
بعض صور العناء والعدم والموت ! هل هو الا انهيار ما هارق في لحة  
ملا يرى ومالا يحس الا حياءاً وحدها ، في هذه اللحة المسيحة الممتدة  
الى اللامهية والمحجونة عما نأفاق قرية لا تريد على مدى ما تصل  
اليه حواسها وهو انهيار محوف في لحة الرمس الذى لا يدر العالم لحظة  
من غير مور ولا تحدد ومن يدري ما تكون الخرطوم وأم درمان  
والسودان أن قدر لي أن أعود اليه بعد سنوات ؟ ! هل أحد هذه  
الاشياء التي ألغت والتي أصبحت جزءاً من حياتي كما حلقتها ؟ أم أرى  
مكائها شيئاً جديداً أسدل عليها ستار العناء وقام مقامها ! والحق عدي  
أن كل ما يرى وكل ما يحس وكل عاطفة تهر فؤادنا وكل فكرة تحول  
بمواطننا هي بعض حياتنا القصيرة التي تقضي بعد أن تصبح هي  
الأخرى بعض حياة الوجود الأربى الابدى ولن كان كل ما يصيب

المادة يترك فيها أثراً لا يرول — على حد قول هـ رت سـ سـ --  
ها أنتك أنا في أن كل ما يصيب حياة الوحود يترك فيها أثراً لا يرول  
دب الى مـسي الاحساس بالعراق حين رأيت السيارة الكبيرة  
التي أعدت لنقل المتاع والسيارات الأخرى التي أعدت ليستقلها  
المسافرون ومن شأن الظروف التي تحيط بما ساعة العراق أن تحمل  
هذا الاحساس مهما فـحـ سـأعـثـد في شـعـل مـتـاعـا و بـالـمـسـافـرـين  
مـعـا و بـما يـنـتـظـر بـا في سـعـر بـا و كـما جـمـاعـة المـسـافـرـين مـن الـحـر طـوم أـتـد  
ما نـكـون سـعـل بـا فـهـذا يـسـحـث عـن بـعـض رـيـس الـعـام بـهـد يـه أـصـد قـاء  
في مـصـر أو في عـيـر مـصـر و هـذا قـد سـي بـعـض ما اـتـاع أـمـس في مـحـر  
مـقـعـل الـيـوم — يـوم الـاـحـد — و يـر يـد أن يـد ر الـو سـيـلـة لـلـحـصـول عـلى  
ما اـتـاع و هـذا ثـقـل مـتـاعـه ثـما يـد ر ي كـيـف يـحـرمـه و ر حـال الـو لـيـس  
و سـائـقـو الـسـيـارـات يـسـتـعـجـلون المـسـافـرـين لـيـنـتـهـي و اـحـمـم و أـحـيـراً  
سـار ت الـسـيـارـات تـحـترق بـا طـرق الـحـر طـوم فـار د ا د ت بـو سـا اـحـسـامـاً  
بـعـى العـر اق ثـم ا بـلـق القـطـار في مـتـصـف الـسـاعـة الـتـاسـعـة يـقـطـع  
الـطـر يـق الـتي قـطـعـا هـا آتـين مـن حـلـعـا حـتـى بـلـع عـظـمـور أي حـمـد بـعـد ما  
أـر حـى الـلـيـل سـد و لـه و بـلـعـا حـلـعـا في مـتـصـف الـسـاعـة العـاشـرة مـن  
صـاح العـد و ثـقـل مـتـاعـا مـن القـطـار الى الـاـحـرة بـر يـتـابـيا الـتي كـان  
مـقـرراً أن تـسـافـر في أو لـيـات الـمـسـاء فـلـم يـك بـد مـن أن بـمـصـي  
الـنـهار مـحـلـفا

حلما بلد صغير أثنى بنادر المراكري في مصر فليس فيه ما يستوقف النظر، وحكومة السودان حد حريصة على ان لا يشعر صوفها شيء من الملل لذلك نظمت لهم سياحة صغيرة في الصباح الى معسكر حلما كما نظمت لهم برهة بعد تناول طعام العشاء على ظهر برتانيا برورون فيها شلال حلما ويشهدون منه مطراً من أعجب ماطر الطبيعة وأكثرها حللاً ورهة

ومعسكر حلما، والى حاضيه بيت كنشبر، يقع على نحو ثلاثة كيلو مترات من محطة وادي حلما لذلك ركبا اليه قطاراً سار بنا حتى كما حدا . وقد ركب معنا هذا القطار جماعة من الأمريكيين لم يكونوا بالخرطوم ولكنهم جاءوا الى حلما للبرهة بعد أن قصوا في هديق الشلال ناسوان رمزاً غير قليل استحووا معه تعبير مطر اسوان والامريكيون شعب حديد حقاً فالامريكي لا يشعر بأنه مقيد بما يشعر أهل العالم القديم بأنهم مقيدون به من عادات ومن قواعد للسلوك في حركاتهم وفي تهيئاتهم وفي ملابسهم ولقد لفتنا مطر شام يسير في سراويل بيضاء ويتعل حذاء ثقيل عاية الثقل ويرتدي فوق أكتافه حاكته وصدرية عجيب شكلها ولم يكن الانكابر ممن معنا أقل ما دهشة لهذا المظر، وكان هذا الشاب يسير مع سيدة نصف ورحل متقدم الى الكهولة عرفت فيما بعد أنها ابواه، وأن هذا الكهل أستاذ باحدى الجامعات الامريكية واتصل بي وبين

هذه الاسرة حديث طويل أبدى الشاب خلاله من العجب للانكاير  
والاوربين ومحافظتهم مثل ما أبدوا من العجب لاستجماه بالتقاليد  
ومع هذا القدر المتبادل وصل السعريين الجميع فجعل كل يعصي الى  
اصحابه بما رأى وكيف تأثر به

معسكر حلما فضاء واسع من الرمل لا يبق من آثاره الا قوس  
ثم لمحاه ساعة برلما من القطار، وكان هذا العشاء مصرت حيام فرق  
الحيش المصري التي جاءت مع مصطفى فهي ومع ككتشر من بعده  
لفتح السودان على أنه لم يقصد باديء الامر الى القوس ولا الى العشاء  
الذي اصبح صامتا وكان من قبل معسكراً لرجال الحرب وعدته، بل  
دهسا الى دار قيل انها محاطة أو ما يتسه الخفاضة كل اوانها موصدة  
وليس في عمارتها ما يلفت النظر وانتقالا من هذه الدار الى دار  
أخرى كانت مبرلا لكنتشر شعربا أول ما دخلها بانتهاج آثاره في  
هوسا ذلك الزرع الناصر والحصرة الناسجة القائمة أمام المبرل والممتدة  
الى شاطئ النيل ولقد استوقفا هذا المنظر الناعم وسط حواف  
الصحراء حوله، وأحد بمجامع العواد انفساح المبرل وقيام كتان الرمل  
وراءه متموجة بين صعود وهبوط كأنها بعض موحه حين الفيضان.  
وكان للشمس فوق هذا المنظر وفي ذلك اليوم من أيام الشتاء سنا  
يأحد بالابصار ثم ادربا عيوننا الى ناحية هذا المبرل الذي شهد من



تدابر الحرب والسفك ما شهد والذي اصبح اليوم صامتا صمت  
مصطفى فهمي وكنتشرفي حجب العيب وإن كان على حلاوقها ما يرال  
معرضاً لعث الحياة ولتدابر الحرب والسفك ثلاث عرف قيمتها  
ما نكسه من الذكرى لا جمال فيها الا جمال ماشهدته من بطولة  
واقدام ألم يكن الدس اقاموا فيها قواد الحيش المصري الماسل الذي  
بعد الخطط التي وصعت شجاعة وحرأة سحلا له على الباريج فخرآ  
حالداً! وعلى طاهر حدران احدى العرف نقش تذكاري للدس اقاموا  
فيها واحتملوا مع الحد ما احتملوا من مصص وتصحية والى حاب  
اللوحة رير قديم من الفجار لعله في هتاسة سائه اصلب على الحياة  
من أولئك الدس شرىوا من مياهه ولم يبق لهم اليوم على الحياة غير  
الذكر وارير لا يرال ناقياً تمحده الاطار ونود اصحابها شربة من  
مياهه وتعلقت الابصار بهذه الاثار وحاهد كل مصور يريد أب  
ياحد منها رسماً برعم معا كسة الشمس له على أن الابصار لم تكن  
ماخذقة وبالهرو وكشاش الرمل على شاطئه التاي أول ولعا فكات  
ما نكاد تستقر على الساء برهة حتي تعود لتحتلى من هذا المطر البديع  
المتحدد على الرمان ما تحدد الرمان جماله الساحر وسحره الفتان

وحرحا الى فضاء المعسكر القديم والى القوس الباقي من آثاره  
ودهب العص يحياهم الى ذلك المارح القريب حين كات الحدود

الداهمة من حلما الى الخرطوم تقف في هذا المعسكر الى أن تتلقى  
الوامر بالاندفاع في تيه العظمور لانشاء سكة الحديد أو لسحب السمن  
بين احجار الشلال و بقي آخرون سعداء بالخوالج حولهم و بالصور  
التي كان يأخذها المصورون لماعتهم وكان وقت الظهيرة قد اقترب  
فعدنا أدراجنا الى القطار الذي عاد بنا الى محطة حلما حيث برلنا  
عائدين الى بريتايا

ولما من الراحة ما لنا ثم انتقلنا بعد تناول طعام العشاء الى سفينة  
أخرى سارت بنا نحو ساعة ولما بعدنا عن حلما بصعقة كياو  
مترات تدت أمامنا مقدمات الشلال ، فانتشرت في لحة الهرآكام  
صحريه من الخرايت الاسود كانت معثرة ناديء الامر فالماء من  
حلالها فرصات يعد منها لكسها كانت يقترب بعضها من بعض كلما  
اقتربنا نحن منها حتى نالاحت أو كادت وحتى لم يسق للماء أمام العين  
الا مسارب تقف عدد تنوء صحري قريب وملأت اكام الخرايت  
ما بين الشاطئين وترامت الى مرمى النظر والى عاية الافق متموجة  
في لونها الداكن كأنها ظهور قطيع صحم من الهيلة ما تكاد تتحرك  
أو تتلوى الا بمقدار عمت الصوء بها وانعكاسه عنها . وامتدت بين  
هذا القطيع من الخرايت أنصار تلتبس التماسيح التي حرحت الى

رمال الشاطئ، تال دفء شمس الشتاء المحسنة قال الأمريكى دو  
السر اويل الیصاء

— لمد حشاً أمس الى هنا ورأيا من التماسيح قطعاً كبيراً تمدد  
كل واحد من أفرادہ على الرمل وفعرفاه الى الشمس يشنشى  
بأشعتها من علل الشتاء

وبرلنا من السفین الكبير الذي افلما من حلما الى رورق أوتومو دل  
ليتسرب باي تعاريج القوات التي بين الصحور، والتي لا تنسع لرورق  
أكبر منه، كي يصل الى قمة عالية هناك يحيط الباطر منها بالشلال كله .  
وفي لحة نور الشمس الساطعة سري ما الرورق وكأنا في لحة ليل مهم  
فات بين اکتين سوداوين وأمامك على أمتار اكمة سوداء تالته  
تکاد تتصل بها وتقطع الطريق أو يرتطم الساري وتلتمس مسار  
الماء من ما تمر به من آكام الحرايت فيرتد بصرك ولم يهدك شيئاً  
ثم اذا الرورق المحرف ثخاة ليحادي الاكمة القاطعة عليه طريقه فما  
یکاد يحاديها حتى تسبح أمامه اكمة حديدة يتلوى من حولها كملوي  
التعبان في مسار الأرض ولم تمص دقائق فادا ما في عانة كتيعة  
من صحر رهيب مخوف لكن روح الجماعة في طبعها المرح مالم يلاحمها  
الوحل أو يستترها العصب لذلك ظل أصحابنا تلمس أعينهم  
التماسيح التي قص عليهم الشاب الأمريكى أمرها فادا حدع أحدهم

بصره وحيل اليه أنه رأى تمساحاً ثم تبين أن لا تمساح الا في حياله  
تودلت السمكات من حواب الرورق عن صحابة الحيوان الموهوم  
وعن دسه الذي كاد يلقى ما في الهر وعن فكه المرتفع ليتلعا ولم  
يكن محدوع المصر أفل بصيغاً في السمكات من عبره ومالاً لا يمرح  
ومعاً الدليل الذي قص علينا أنه يتسرب تقاربه في هذه اللحة عشرات  
المرات في كل شهر ومعاً النوبيون من أهل هذه البواحي يهتفون  
بأنهم يعرفون مسارب الشلال اكثر من معرفتهم أرقه قراهم ثم  
مالا لا يحد في هذا المطر الرهيب موضعاً لمسرة وبيدا سيدات وفيات  
في تساهن المتورد الوحشات ما يصيء الحلك ويدد الظلم وهن برهة  
هذا المطر معجمات بل معنونات

وطال ما تسرب الرورق وتلويه من عبر أن محطى تمساح واحد  
من سرب صاحبنا الأمريكي حتى انتهيا الى الشاطيء عند أسفل القمة  
الغاية وأسرعنا جميعاً لتسلقها، وما كدنا بلع مستصعبها حتى شعر  
كثيرون بالعبء فاقمة رملية تعوص فيها الاقدام عوصاً وتحتاج  
من أحل ذلك الى مجهود من تخليص القدم من الرمل، ثم التساق  
للعوص به في الرمل من حديد أسكن الشباب لا يعرف المستقة ولا  
يعمره التعب والطهولة لا تشعر تعب ولا مستقة لذلك أسرع  
الاولاد والبنات وأسرع الشباب والبنات الى رأس القمة وفي  
النفس الانسانية وان شق عليها الجهد عريضة المناقصة وحب العور.



وكم كان عجباً مطر شيوخ وعجائز هدم لعب وأصنام الكلال ثم  
لا يريدون أن يطر إليهم الحبل الذي بدهم وكأهم أصعب منه حولا  
أو أقل حيلة انظر الى هذه المحور البادية المترهلة السواء الشعر كيف  
تلته ! لكها مع ذلك تستعين سوي يصل بها عاية القمة لتكون مع  
أسماء واحدتها بما يحيل إليها أنها تلك الحياة ملكهم وتستمتع بها استمتاعهم  
وهي كلما عاصت قدمها وعاص معها قلبها وقعت ربما تسترد قلبها أولا  
وتستل قدمها بعد ذلك وما كنت وما كان عيري ، ونحن نطل  
عليها من اعلى القمة ، نحسب انها بالغة ما تحتل كل هذا الجهد في  
سبيل بلوعة لكن الارادة القوية عالة أبدأ وبارادتها تعلت هذه  
السيدة على الهرم وضعفه ووقفت معنا في اعلى القمة تمتع طرفها بالمطر  
الرهيب العجيب

ما كان أصغر هذه القمة حين كما بعيدين عنها بظر إليها من  
فوق السنين الذي جاء بها حتى أبواب الشلال ، وما أصغرنا نحن الآن  
فوقها ! وقف هذا الجمع الخامل الخائض من أشتات حواب الارص  
في مصر وباكائرا وأريكا وإيطاليا وغيرها ، حول بصعة أحجار  
مشورة فوق رمال هذا الاكمة ، فادا هو من قلة الكم بما لا تلمحه عين  
من طلوا فوق السنين لكه مع قلة كه صلة ما بين هذه الأقطار  
الشاسعة التي يتكون العالم منها ، وهو لذلك روح هذا العالم الذي

يعيش فيه منه يستمد العالم أدق ما في حياته وحركته وهو لذلك  
صغير عظيم ، لكن عطشته ليست في أفرادها ، بل هي في الروح  
الإنسانية الخالدة التي تعظم على الزمان كل يوم بما تترك على الزمان  
من سلطان والتي ترداد عظمة ما تشتمله من الوجود في سلطانها وما  
تدنيه في الوجود من نفسها

وإذا كنا صغاراً فوق الآكمة فمادام تكون فيما حولنا والآكمة  
ليست منه شيئاً مذكوراً مددنا الطرف نريد أن نتحلى عاية السلال  
وأحجاره فأرتد دون هذه العاية وقد ملأته الآكام الحجرية  
الناية في الماء رهبة ، وأحلامها فيما حولنا من كتان الرمل المهيبة ،  
فأحدثته وإياها إلى الأفق في موح لآلاء تحت أشعة الشمس المهددة  
إلى المغرب ، وتحطيا به الهر فإدا بعض أتيحار تحي في هذا المحيط  
العاس حدة الانسجام ، ثم تدت رمماً فوق أكتات الخرايت النائية في  
الماء يحيط بها قواه الصيقة فما يكاد عصها ينسج لمثل انقارب لدي  
تسرب ما حلال السلال إلى حيث أرقيا القمة التي بطل الآن من  
فوقها وبدت على الوحوه علام الدهشة ولا كمار هذا امطر العجيب ،  
فساد الصمت جمعا حياً ثم بدأ الجمع يتدرك القمة عائداً إلى  
القارب يا عجماء ما اكثرت ما يتغير مطر هذا السرب من الميعة  
الحائمة في الماء ، فكما تدرك الهاط سرح القمة بدت تحت صباء

حديد فأحدث صورة غير صورتها فمعص يرداد من بعض اقترانا  
ومعص يرداد عن بعض بعداً ، وكذلك تتعير المحسوسات تتعير  
موقعها منها ، فماداً يكون شأن ماسميه الحقائق في هذه الطرقات  
من تصورات الدهن وأبديّة الخيال !

وحلست أثناء هبوطي على حجر حاتم فوق الرمل وتلفت حولي  
فلم أر أحداً بالقرب مني أب كان كثيرون ما يرالون بأعلى القمة  
وكثيرون غيرهم وصلوا القارب وحملت أناحي بمسي ماداً يكون  
من هذا الوحود العظيم ! وما حياتنا التائرة القصيرة الى حاب هذا  
الخلد الساحي تدو حكمته في سكية ما حواس وطأ بيته واني لبي  
بحواي اد مرت المحور اللادة معتمدة على نوبين وهي تلهث في  
رولها كما كانت تلهث في صعودها لكن انتسامة على ثعرها كانت  
تعبر عما يدور في حاطرها من عظم العطية لانتصارها على ضعف  
التسوحة واقفاءها بذلك نفسها أنها ما ترال قديرة على حمل عبء  
الحياة الثقيل اللديد

وعدا الى رورقا فعاد يتسرب ما بين صحور التلال حتى  
السفينة التي طلّت في انتطارنا وعلونا سطحها والشمس تتأهب للمعيب  
ثم انتقلنا منها الى بريتايا التي سارت ما قيل العشاء  
وفي الأيام التي قصيهاها بها حتى أسوان عادت الى حاطري

صورة الشلال وصورتنا فوق الرنة محاهد، عتا، لبحيط بكل حدوده  
رعم ما رعم من الاحاطة حتى محدود المجهول لكن هذا العجر الذي  
يمسكها ومحن وقوف يرول اذا تحركها فاحتربا في حبالا صور الشلال  
وعبر الشلال جزءاً بعد جزء وهذه الخيالات المحتربة هي قوتنا ودحرنا  
في الحياة وهي الميراث الذي تتعاقبه الاحيال ويريد الانسانية صلة  
بالوحود وسلطانا عليه

و بلعنا اسوان صبح الاربعاء و بلعنا القاهرة صبح الخميس ، فعندنا  
يهرنا برد الشتاء بعد عشرة أيام قصيهاها في ربيع لا تعرف الشتاء .



## مصر والسودان

لا أستطيع أن أحتم هذا الكتاب من غير أن أتناول علاقات مصر والسودان بكلمة وليست عابتي من التكلم عن هذه العلاقات عاية سياسية فلعل القارئ قد أدرك من خلال الفصول السابقة أنني لم أتأثر في أية مسألة من المسائل التي عرصت لها بأهواء السياسة أيًا كانت وإنما توحيت ما يمليه العدل وما تقضى به المصلحة الاسابية العليا التي لا تقف عند حدود مصر والسودان بل تتجاوزهما لما يمكن أن يستفيد العالم كله مما في هذه البلاد من حيرات وإنما عابتي أن أبين أن حير السودان وحير مصر وحير هذه المصلحة الاسابية العليا التي تستفيد منها انكلترا قبل أن تستفيد منها أية أمة أخرى إنما يتحقق على وجه اكمل كلما اردادت مصر والسودان إرتباطا سواء من الجهة الاجتماعية أو الجهة الاقتصادية أو الجهة السياسية وكما تعاوتتا من طريق هذه الرابطة الوثيقة في سبيل ترقية مصادر الانتاح المادية والمعوية فيهما

ولست أريد من أحل هذا البيان أب أدلل على أن مصر والسودان مرتبطان تاريخيًا بروابط قديمة تجعل من حق مصر أن تطالب بالسودان كما كانت فرنسا تطالب بالالراس والاورين ولست

أريد كذلك أن أقيم الحجة على ما أسفقتة مصر في السودان من مهبج وأموال أو أن أرحم الى التاريخ لأي سبب من الأسباب ولتدليل التاريخ في مسألة كعلاقة مصر بالسودان أتمه الاتيأء بالمرافعات التي تحاج الى قاص للفصل فيها والقاصي في العلاقات التي تربط الدول بعضها ببعض هي المصلحة الحاصرة التي يراها أبناء هذا الخيل من غير حاجة للرجوع الى أسايد التاريخ ووثائقه

ومن نافلة القول ذكر الرابطة الطبيعية بين مصر والسودان وما توحه هذه الرابطة من ضرورة توثيق الصلات بين هذين الخراين من أحرأء وادي النيل وحاجة مصر الى توثيق هذه الصلات وتوكيد تلك الروابط أوصح فليس كمصر بلاد معلقة حياتها بهر واحد وليس يصدق على بلاد ما يصدق على مصر من أنها هة النيل ولولا النيل لكات مصر بعض الصحراء الافريقية الكبرى ولو صلت هذه الصحراء ما بين المحيط الاطلايطيقي والسكر الأحمر لذلك كان هم المصريين في كل الأزمان بل كات حياتهم معلقة على هذا الهلر فكل ما تتأثر به مياهه من ظروف الطبيعة أو من عمل الانسان تتأثر به مصر وما طن التاريخ يدكر أن المصريين انهلوا الى الله في صراة وحصوع كاسهلهم اليه ليتم على النيل فيصاه ولا طن المصريين فكروا في أمر من أمور حياتهم ته كبيرهم في هذا الماء المخصب المحس الذي يحيء اليهم من طريق السودان يحمله المخرى العظم بين حروفه

فإذا كان أكبر هم المصريين متحماً إلى الحبوب وكان أكثر تفكيرهم في الصلوات التي تربطهم بحاراتهم البلية وفي تأكيد هذه الصلوات وتوثيقها فليس ذلك مهم حياً في الفتح أو اندفاعاً وراء شهوة الاستعمار التي يجري وراءها كثير من الأمم بل هو الحرص الطبيعي على الحياة حرصاً أصيلاً في سليقة كل حي وفطرته

على أنه إذا كانت حاجة مصر إلى تأكيد الروابط بينها وبين السودان أوضح من حاجة السودان إلى مثل هذا التأكيد لموقع السودان عند منابع النهر فليس ذلك معناه أن السودان أقل من حاجة مصر لتوثيق الصلوات بينهما ولئن كان السودان مع الحياة المادية التي تفيض على مصر مع فيضان النيل فمصر هي مع الحياة المعنوية التي تفيض على السودان مع فيض الحضارة أيما كان مصدره وكما تحيط الصحاري بمصر فتعصر حياتها على ما يعديها النيل به من مياهه كذلك تحيط الصحاري بالسودان وتفصله عن مصادر الحضارة

ولقد نالت الطبعة في ذلك حتى ليحسب الإنسان حين يطر إلى خريطة النيل أن حوضه عالم مستقل فيه كل ما يحتاج إليه الحضارة من أدواها وأسمائها ولقد فحمت موانئ على البحر الأحمر لتصرف تجارة السودان ولحلب التجارة إليه لكن هذه الموانئ لا تصلح ولن تصلح لتكون باب الحضارة والعمران بل كانت الحضارة وكان العمران يهبطان إلى السودان من طريق مصر أكثر مما يهبطان إليه

من أي طريق آخر ولذلك كان السودان بأرحائه الفسيحة هو المهجر الطبيعي لمصر تحمل اليه من أسباب حصاره العالم ما يشركه نصيب في هذه الحصاره

وقد كان العرو والفتح وسائل الحصاره في الماضي فكانت الدول دوات الحصاره القويه تعبر على غيرها من الدول فتعيد من حصارتها وتهبدها من الحصاره القويه ولذلك كثيراً ما اتصلت الحروب بين مصر والسودان لاستنقاء الصلات الطبيعیه التي يجب أن يتسر السودانيون والمصريون جميعاً بمحاربه أسباب صدها لا بالمحاربه في سبيل وصلها . على أن تقدم العلم وتقريبه بين شعوب العالم المختلفه وتصيقه دائرة الأرض جعل العرو والفتح مطوراً اليهما بعين المقت حتى من الاقوياء الدس كانوا يستفيدون منهما وكما ارداد العلم تقدماً واردادت الشعوب بعضها من بعض قرناً وتمتدت الروابط العقلية والمعويه وتحطمت الحدود والخواجر رادت أسباب التعارف والتفاهم وأصحت وسائل العف والطس بين الجماعات مطوراً اليها بعين المقت والاردراء متلها اليوم بين الأفراد والطوائف . ويومئذ تكون بين شعبين متحاورين أو بين شعب واحد يقيم في بقعة من بقاع الارض يسر العلم أسباب الرعد فيها شيئاً عجاً وأمرأ مكرأ ويومئذ يحل التصام بين الشعوب محل التنافس ويكون بين الشعوب المتحاوره التي تصل الطبيعه بينها أقوى رباطاً وأمتن



عقدة ثم تكون كل الاسباب الصاعية الطارئة على هذا التصام  
والمسدة إياه موقوته مرهونة بالروال

لا مصر إدن من أن يكون هذا التصام بين مصر والسودان  
على المواعد التي تقضيها ظروف الحصار في الوقت الحاضر وأدوات  
هذا التصام كثيرة أشرنا الى بعضها حين الكلام عن مشروعات  
الري الكبرى فهذه المشروعات يجب أن لا تراعى فيها الا  
الاعتبارات الفنية التي تؤدي الى حصر أكبر مقدار يمكن حصره من  
مياه النيل لانتفاع الاراضي الزراعية الواقعة على شاطئيه من أول مصر  
دات الاولوية التاريخية في هذا الانتفاع الى آخر منابع النيل كذلك  
يجب على مصر أن تكون المسع الذي تحري منه اسباب الحصار الى  
السودان . فليس الى السودان سبيل للحصار غير هذا المسع . ذلك  
لأن المصريين أكثر العناصر متراخا بالسودانيين مداحيال طويلة  
واش كان هذا الاتراح قد اقترن في احيان كثيرة بعناصر سيئة من  
حاش أو من الحاش الآخر فانه خلق بين الشعبين من الاواصر ما  
يبسر التفاهم بينهما الى حد كبير والحصار اذا مرت بمصر كان يسيرا  
أن يسعيها السودان بسبب هذه الاواصر وأما اذا حماها الى  
السودان عناصر أخرى ولو كانت من أمم اعلى من مصر في الحصار  
كعما فأنها لا تتأقلم في السودان مثل السهولة التي تتأقلم بها حين  
تحملها العناصر المصرية ولعل الاسباب التي ادت في الماضي الى

عدم محاح مصر في حمل هذا العبء الاساسي في السودان أن الدين  
كاوا يقومون برئاسة المصريين هناك كاوا من عناصر غير مصرية،  
وأن المصريين الذين كاوا مرؤوسين لهؤلاء كاوا من طرار محتاح  
لاسباب الحصاره فلايستطيع ان يقدمها لغيره واعتقد اعتقاداً كيداً  
أن مصر تستطيع أن تعاون السودان في هذا المصالح معاونه حديه اذا  
وحد من المصريين ذوي المسكانه والمقدرة من يتطوعون لهذا العمل  
من غير أية فكرة سياسيه بل بدافع التصالح بين التسعين وتحت  
تأثير الفكرة الاساسيه الساميه وحدها

اعلم أن اعتراضا عمليا له قيمته يقف في هذا السبيل ذلك  
وجود الانكيار في السودان وقيامهم بالحكم فيه وهو اعتراض صحيح  
إذا كان الانكيار يريدون حكم السودان لمجرد الحكم والاستعمار .  
وهذا مالا يعقده فللانكيار مصالح بريطانيه يقتصونها من السودان  
أهمها النفط الذي يزرع فيه ولعل المواصلات الامبراطوريه بعض  
هذه المصالح كذلك لكن الانكيار لا مصلحه لهم في اعاقه تقدم  
السودان ومحصره وكلما تقدمت الحصاره في السودان وكان أهله  
اقدر على الاستفاده من وسائل العلم كاوا اكثر اتاحا في سوق العالم  
العامة من حوائجها المختلفه ولانكيارا في هذا مصلحه أي مصلحه  
ولئن كانت الظروف السياسيه قد قصت في الماضي أن تقف مصر  
وانكيارا في السودان موقف الحصومه فاعقد أن الانكيار والمصريين

قد أدركوا تمام الإدراك سوء تلك السياسة وعمق نتائجها بالنسبة لأكثرتنا  
ولمصر والسودان جميعاً. من الحكمة - وهذه هي الحال - أن  
يقدرنا وحب اتجاه السياسة في المستقبل الى غير ما كانت سياسة  
السودان الى اليوم

وليس نظام الحكم في السودان هو المشكلة العويصة في رأيي.  
واعتقد أن من الممكن التفاهم في هذه المسألة بين مصر وباكثرتنا على  
أن تكون السودان ومصر متحدتين بينهما مثل نظام ال federation  
فيكون لكل في المسائل الداخلية حرية السطيم والتشريع وترتبطان  
جميعاً في المسائل الخارجية والمسائل العامة باتفاق مقررة قواعده  
وليس المقام هنا مقام تحديد أو تفصيل لهذا الاتحاد قل قول مدته  
فإذا قل هذا المبدأ كان وضع التفاصيل يسيراً واحسب أن مثل  
هذا النظام في مروته وقابليته للتحويل يستطيع أن يحقق غايات  
الاطراف المختلفة

وقد يمكن إذا قل مبدأ هذا الاتحاد أن يترك الطر في مصالح  
أكثرتنا وامتيازاتها في السودان الى حكومة السودان نفسها تحكمها في  
حدود المسائل المبروكة بموجب نظام الاتحاد لتصرفها  
ومحيل الى أن حلاً كهذا قد يكون من شأنه أن يهي مسألة  
معلقة لا فائدة لاحد من تعليقها، وأن يحل الى جانب ذلك مسائل  
كثيرة كمشروعات الري الكبرى وكحصير السودان وما الى ذلك

مما يعيد السودان ومصر على السواء من غير أن يتشأ عنه صرر لآية  
مصلحة من المصالح

وإذا كان المؤتمر الامبراطوري البريطاني قد قبل مبدأ مساواة  
الممتلكات المستقلة مع انكلترا وأن يكون رباطها جميعاً ولاءها للتاج  
وذلك لمصلحة الامبراطورية البريطانية ولعائدة السلام في العالم ،  
فأن مثل هذه الفكرة الحرة فكرة الاتحاد بين مصر والسودان قد  
تسهل الوصول الى حل مسألة السودان حلاً موافقاً لمطلب مصر من  
غير مساس بما للدول من المصالح فيهما

ولهذا الحل مرايا يعود اكثرها على السودان كما أن لمصر منها  
فائدة لا تنكر وهو في نفس الوقت يكفل لانكلترا أن تحصل من  
السودان على المصالح والامتيازات التي ترمي الى تحصيلها من غير أن  
تضطر لحمل عبء المسؤوليات المستقلة التي يحملها اليوم فيه

وأول مرايا هذا الحل أنه يحقق ما يريد المصريون والسودانيون  
من وحدة القطرين ، من غير أن يحى ذلك على عرة أي منهما ، ومن  
غير أن يعوق تقدمه متأثراً بعوائده وعقائده واعتبارات القومية الخاصة  
وهو مع ذلك لا يحد من الاعتراض عليه ما يحده الاندماج التام بين  
القطرين فالدين يريدون هذا الاندماج يدونه على التاريخ وعلى  
وحدة الخمس والعادات في مصر والسودان وحصوم الاندماج



يسكرون وحدة الخس ويدهون الى أن السودانيين غير المصريين  
والى أن طوائف العرب في مصر وفي السودان لا تكون سواد  
الشعب في أي من السليدين وإنما هي أقليات طارئة جاءت في عصور  
الفتح الأخيرة . وهم يسكرون كذلك وحدة العادات ويدهون الى  
أن تطور الحضارة في مصر غير من عاداتها القديمة حتى لو ان شيئاً  
من الوحدة كان موحوداً في الماضي بين عادات المصريين والسودانيين  
فقد انقطع اليوم وسواء ا كان هذا الاعتراض صحيحاً أم باطلا فهو  
لا يعبر من العلاقات الطبيعية التي بين العطرين والتي أشرت اليها  
من قبل وهو لذلك اذا أمكن حدلاً ان يهص عائناً في سبيل  
الاندماج فلا يمكن أن يهص عائناً في سبيل الوحدة

فالاتحاد السويسري والولايات الامريكية المتحدة ليس بين  
الولايات التي يتكون منها أي من هذين الاتحادين مثل ما بين مصر  
والسودان من شبه أو علاقة انما تصل هذه الولايات روابط المصلحة  
المسجلة فأما ما سوى ذلك فيختلف بين ولاية وولاية اختلافاً بدياً  
فسويسرا على صغرها يتكلم أهلها ثلاث لغات مختلفة هي الفرنسية  
والالمانية والايطالية ، ويدين أهلها بمذاهب مختلفة، ولا تجمع بينهم الا  
طبيعة بلادهم الحلية من ناحية ومصالح الدول المختلفة المحيطة بهم من  
ناحية أخرى والولايات الامريكية المتحدة تجمع من مختلف الامم  
واللغات والالوان لكن رابطة الحوار والمصلحة تسمو فوق كل

اعتبار آخر وتعمل من الاتحاد الأمريكي قوة قومية وعالمية مقطعة بالطير  
ثم ان اعتراضاً آخر يقيمه جماعة من المصريين أنفسهم يجعل  
الاتحاد وسيلة صالحة ذلك أن نظام القبائل والعائلات قد زال من  
مصر ولم تنق منه الا آثار لا قوة لها ولا سلطان وحل محله النظام  
الديمقراطي الصرف الذي يجعل الحياة الدستورية هي الحياة الوحيدة  
الصالحة كنظام للحكم في مصر فأما في السودان فثايرال نظام القبائل  
والعائلات هو النظام الاساسي الذي تقوم عليه الجماعة السودانية .  
ولئن كانت التطورات العالمية المقلدة قد تدفع السودان كما دفعت  
مصر نحو النظام الديمقراطي فان هذا التطور بحاجة الى زمن غير قليل .  
والى أن يقضي الزمن اللارم لمام هذا التطور فمن العسير ، بل من  
التعسف ، إحصاء السودان للنظام الذي تحضص مصر اليوم له  
وتمت اعتبار آخر يحملنا بفصل نظام الاتحاد بين مصر والسودان  
على نظام الاندماج ذلك أن مصر متهمة في سياستها بآراء السودان  
بأنها سياسة استعمار لا سياسة تحرير وهذه التهمة ترونها ألسنة  
السوء كما روت من قبل تهمة حرص مصر على الاستئثار بمياه النيل .  
ولا تكفي هذه الالسن باتهام المصريين بالميل للاستعمار بل تذكر  
السودانيين بأيام قديمة كان نواب حاكم مصر في السودان يسلكون  
مسلك العنف والاستبداد ويصرون هذا المسلك نظاماً لحكم  
المصريين ومع ماطلان هذه التهمة أمام التاريخ والحق لأن هؤلاء

الولاية الدين كانوا يوفدون الى السودان لم يكونوا مصريين وانما كانوا من حلس الحكام الدين يحكمون مصر نفسها ، فاما معتقد أن المصريين أحرص من أن يتهموا بالميل للاستعمار وانهم يريدون للسودان التقدم الحقيقي نحو الحرية وذلك يتحقق تماما تحت نظام الاتحاد فيومئذ يكون المصريون الذين يذهبون للخدمة في السودان إما يذهبون مدافع محبة السودان والحرص على رقيه لا بدافع استعمارهم وحكمه ويومئذ يحد السوداويون الوسيلة للرفي وبتحقيق كل معاني العرة القومية ولهذا الحل مرايا يعود اكثرها على السوداويين انفسهم فهو يطمئن جميع المصريين تمام الطمأنينة على مشروعات الري الكبرى ويريل من نفوسهم كل خوف من أن تكون هذه المشروعات يوما من الأيام وسيلة لا كراههم على قول ما لا يقلوبه اختياراً أو سداً لارغام عرتهم وادلالهم ويومئذ تتسع الاراضي المصرية القابلة للاستغلال وتصعب في نفوس المصريين فكرة الهجرة الى رمن طويل مقل وإد كانت النفس الاساية غير مولعة بالانتقال الا بدافع المصلحة وكان الاكثر لا يبطرون الا لمصالحهم الخاصة القرية فان المصريين الذين يذهبون في هذه الظروف الى السودان سيذهبون تحركهم عواطف اساية سامية تريد أن تمتن صلة الحضارة بين السودان وكافة مواطن الحضارة التي يتعدر انتقالها الى السودان عن طريق غير مصر كما سبق القول وما شك في أن



هؤلاء سيعاونون على سرعة رقي السودان في مصار التقدم الاساسي ما دامت ادوات الحصار المادية تشاد فيه فتعاون على ترايد سكانه وعلى أحد اسائه نصيب في المعارف اللارمة لريادة الرعد والرحاء في ارجائه .

ويعتقد أن السودايين يشعرون بشعورنا هذا، وأن الانكليز الذين أقاموا بالسودان مبادئهم وتعاونوا مع المصريين في تطعيمه يشعرون بهذا الشعور كذلك . ومهما كانت احداث السياسة قد دعت في بعض الظروف الى اعلان سيئات عن المصريين واعمالهم في السودان والحقيقة التي لا ريب فيها أن المصريين كانوا دائما اسد العناصر صلة بالسودايين واكثرها عطفاً عليهم، وأهم لم يكونوا في السودان محركهم عاطمة الانانية التي تحرك غيرهم من البارلين اليوم فيه ، والتي تدفع هؤلاء الى أن يقصروا بظرفهم على المصلحة الشخصية والحرص على اقتناء الثروة

وهذا الحل ادى الى المصلحة البريطانية من نظام السودان الحاضر . فهو حل رضى عرة السودايين ويتفق وكرامتهم القومية وهو لذلك يعد السودان عن اسباب القلق التي تكلف الحكومة البريطانية مسؤوليات الامن والنظام في السودان وما يترتب على هذه المسؤوليات من نفقات يحتملها دافع الصرائب الانكليزي من غير أن يكون لاحتماله إياها ضرورة ملحة ثم هو حل يتفق وتطور العالم في سبيل التصامم السلمي



المتح لخير الجميع ، والذي اصبح يحل رويداً رويداً محل القوة والا كراه والاستعمار . وهو من جهة تالثة اقرار لبطام من لا يتناهى مع ما تريده انكلترا من تقدم رراعة القطر في السودان ومن يحاح مشروع الحرية تمحاحاً ناهراً وهو فوق ذلك يعين على هذا التحاح ويجعله اقرب مالا وأقل مفاق بما يطوع للمصريين من الاحد فيه بيد السودانين ومعاونتهم إياهم معاونة هي لا شك خير واحدى من معاونة العالاة وعير العالاة من المزارعين الطارئين ولئن كان المصريون قد ترددوا في هذه المعاونة لما دعتهم انكلترا اليها من طريق شركة الحرية في سنة ١٩١٣ وذلك لأن ظروف السياسة كانت يومئذ مبعثاً للحواف والقلق .

بنا اقرار بطام كبطام الاتحاد بين مصر والسودان وما يترتب على هذا البطام من الطمأنينة لعوس المصريين يريل كل اسباب الحواف والقلق

وتمت اعتذار آخر لا يمكن أن يعيب عن فطة السياسة البريطانية وبعد بطرها ذلك أن سواد المصريين لا يمكن أن مهدأ لهم مال اذا رأوا السودان ممصلاً عنهم وهم سيد كرون دائماً كله وريهم شريف ناشأ « اذا تركنا السودان فالسودان لن يتركنا » ، وكلمة المستشار الانكليزي لورارة الاشغال المصرية « السودان الرم لمصر من الاسكندرية » وادا صبح أن مرت فترات من الوقت هدأت فيها عواصف السياسة لسبب من الاسباب واصطر المصريون للرعى عن

حالم سواء لعدم ملائمة الوقت أولاً للقادة الطاهرين منهم قد شجعت  
اطماعهم بما نالوا من المناصب والجاه والمصالح لانفسهم ولدويهم فان هذه  
الفترات لا يمكن أن تدوم في حياة الأمم مادام ثمت ما يدعو الى ترعرع  
الامور فيها كذلك لا يمكن أن يعيب عن فطرة السياسة البريطانية  
و بعد بطرها أن السودان ومصر يديهما فصلا عن رابطة النيل الطبيعية  
رابطة الامة والعقيدة والحوار وهذه روابط لا وعود لها عند أي من  
الدول الاخرى المتاحة للسودان وطسعي مع تقدم الرقي والحصارة  
في السودان أن ترداد عقدة هذه الروابط متانة وأن يطر السودان  
لمصر تمتل العطف الذي تنظر مصر به للسودان ويومئذ لا يترك  
السودان مصر إذا هي تركته ولا يمكن أن يعيب عن فطرة السياسة  
البريطانية و بعد بطرها أحيرا أن فترات القلق اصالح الفترات للشعوبة  
السياسية وابعدها عن أن تكون الطرف الملائم للانهاق الودي المعقول  
فإذا كان ذلك كله صحيحاً كان الوقت الحاضر اسب الاوقات  
للمكبر في اتحاد مصر والسودان على المادىء السابق ذكرها ذلك  
بأنه وقت سكية وهدوء وكل اتفاق يتم فيه يتم بعد روية وتفكير  
ويكون مسعناً عن اعتقاد صحيح بمصلاحه

ولقد اكدت لي اقامتي القصيرة بالسودان صحة هذا الرأي  
الذي عرصت فكما ان السودانيين بحاجة الى أن يقوموا بالعمل  
لتتطور بطهم الحاصرة في اتحاء يتفق وسيرة العالم الحاصرة - هذه

السيرة التي لا مهر من وصولها الى ايجاد مشاهة كبيرة بين نظم الحكم في مختلف دول العالم بسبب ما تقرب المواصلات الدول بعضها من بعض - فهم بحاجة في هذا السبيل الى معونة صادقة محلصة ليست لها أية عاية سياسية وإذا كان وعود الانكايير للاشراف على تقديم دراعة القطر في سهل الحرية من شأنه أن يعطيهم في ذلك مثلاً صالحاً فأن العارق بينهم وبين الانكايير في اللغة والحس والعادات والدين يحملهم بحاجة الى المصري القريب منهم في ذلك كله والذي درس الانكايير عن قرب ، والذي لا يرحو بعد وضع قواعد الاتحاد بين مصر والسودان ، الا أن يمهّد السبيل لبقاء هذا الاتحاد وثيقاً متيناً بعيداً عن العثرات والاصطرابات

ولعل هذا الرأي يروق الاطراف المحلفة دوات المصلحة فيه ولعل الطبعة الثانية لهذا الكتاب - اذا قدر له أن يطبع طبعة ثانية - تصع الى حاد هذا الفصل الاخير من فصوله صورة الاماق الذي يتم تأييداً لهذا الرأي



## خاتمة

ارحو أن أكون قد وفقت في الصحف القليلة التي يحتويها هذا الكتاب الى نقل صورة صحيحة مما رأيت أثناء العشرة الايام التي قصيت بالسودان، كما أرحو أن تكون الآراء التي سحت لي في مختلف الشؤون متفقة وماتليه الرعائب الانسانية السامية التي حاهدت للدعوة الى تحقيقها غير متأثر بأى هوى من اهواء السياسة ولهذه الماسة أرى واحماً علي أن اصرح أن هذه الآراء تنحضية تحت لا تعبر الا عما حال يحاطري كعرد من افراد المصريين وهي لا تعبر عن وجهة نظر جماعة من الجماعات أو حزب من الاحزاب بل هي قد تلقى من كثيرين في مصر وفي السودان وفي انكلترا معارضة شديدة، كما أرحو أن تلقى من كثيرين كذلك في مصر وفي السودان وفي انكلترا تعصيماً لها وتأيداً وانما دفعني الى اندائها بالصراحة التي أديتها بها حرصى على تقديم السودان ورفاهيته وعلى طمأينة مصر ومصالح انكلترا وسلام العالم، وعلى الحق الذي يحب أن يكون له السؤدد دائماً في النهاية

وكت أرحو أن يظهر هذا الكتاب من أشهر ما صيه فقد نديء في طبعه في شهر مارس سنة ١٩٢٦ لكن ظروفاً طرأت على



مد شهر ابريل حالت بيبي وبين الاستمرار في كتابة الفصول اللاحقة  
لمصل أم درمان . ولم اتمكن من العود لتحرير سائر الفصول وتقديمها  
للطبع الا بعد نومهر الماصي

ومد نومهر تراكم على من شؤون الحياة ما جعلني اسير بسطاء  
شديد على أن هذا السطاء كانت له مرايا الأناة في تقدير الوقائع  
والآراء وذلك ما يجعلني غير آسف عليه

القاهرة في ٣ يناير سنة ١٩٢٧

# فهرس

صفحة	
٣	اهداء الكتاب
٥	مقدمة
١٣	من مصر الى الخرطوم
٤٢	الخرطوم للطرة الأولى
٥٨	عيد الملك أو يوم الملك
٦٩	حكومة السودان في الخرطوم
٨٥	يوم نأم درمان
١	حملة افتتاح حراں سار
١٢٣	العودة الى الخرطوم - عيد محالح قطن السودان في بركات
١٣٩	حراں سار ومشروع ري الحرية
١٦٣	يوم في حل الاولياء - مشروعات الري الكبرى
١٨٧	عتية الأونة - يوم محلها وشلال حلما
٢ ٢	مصر والسودان
٢١٧	حاتمة

★

## مطبوعات المطبعة المصرية بمصر

٧٠	القاموس المصري عربي وانكليزي تأليف الياس انطون الياس
٥	» » » » انكليزي وعربي
٢٠	قاموس الحيب عربي وانكليزي
١٥	» » » » انكليزي وعربي
٣	» » » » وبالعكس
٥٠	» المدرسى » وبالعكس
١	التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية
١٢	الهدية السنية » » وبالعربية
١	قاموس عربي وانكليزي (باللغة) تأليف سقراط سيرو
١	القصص المصرية (٨٠ قصة مصورة) ترجمة توفيق عبد الله
٢	نول دي سوييف الفاحرة » » »
١	رواية تايدس مصورة (لاماتول فراس) ترجمة احمد الصاوي محمد
١٥	» الرقيقة الحمراء ( » » ) » » »
١	التربية الاجتماعية تأليف علي فكري

\* تطلب هذه الكتب من كل المكاتب في مصر والسودان وفلسطين وسوريا والعراق ، او مما رأساً بالعنوان الالى —

الياس انطون الياس — صاحب المطبعة المصرية — بالعجالة (صندوق البريد

رقم ٩٥٤)

٥	حواطر حمار ( مصور للاولاد والرجال ) ترجمة حسين الحمل
١	مسارح الأدهان ( ٣٥ قصة كبيرة مصورة ) تأليف خليل بيدس
١	الحصارة المصرية القديمة ( لعوستاف لوبون ) ترجمة صادق رستم
٨	مقدمة الحصارات الاولى « « « « «
٢	المرأة وفلسفة التناسليات ( مصوّر ) تأليف الدكتور فحري
٢٥	« « « « « محمد تقماش
٣	الامراض التناسلية وعلاجها وطرق الوقاية منها « «
١	رسائل عرام حديدة ( مريم بصور ) تأليف سليم عبد الاحد
١	العرنال ، بقلم محائيل نعيمة عصو الرابطة القلمية ، امريكا
٢٥	علم الاجتماع ( الجزء الاول في حياة الهيئة الاجتماعية ) تأليف
٢٥	« « ( الجزء الثاني في تطور الهيئة الاجتماعية ) نقولا حداد
١	حصاد الهتيم ( مصور ) تأليف الاستاد ابراهيم عبد القادر المارني
١	مختارات سلامه موسى ( تأليف الكاتب الاجتماعي الشهير )
١٠	بطرية التطور واصل الانسان تأليف الاستاد سلامه موسى
١٥	أسرار الحياة الروحية ترجمة نقولا حداد
١٥	الحب والرواح تأليف « «
١٥	في أوقات الفراغ تأليف الدكتور محمد حسين هيكل بك
٣	كتاب الحقوق الوطنية تأليف فرسيس محائيل
٢٠	روح الاشتراكية تأليف عوستاف لوبون وترجمة محمد عادل رعيتر



- ١ الآراء والمعتقدات تأليف عومستاف لوهون وترجمة محمد عادل رعيتر
- ٨ رواية الانتقام العذب ترجمة اسعد حليل داعره
- ١ فاتة المهدي ، أو استعادة السودان ( نشرت تناعاً في الاهرام )
- ٢ رواية باردليان ( ٣ احراء كبيرة ) ترجمة طايوس عد
- ٢ » الاميرة فوستا ( حرآن كبيران ) » » »
- ١٦ » كابيتان ( حرآن كبيران ) » » »
- ١ » فارس الملك » » »
- ١٦ » الساحر العظيم » » »
- ٥ » روكامول ( عن الجزء الواحد ) » » »
- ١٥ » فلمرح ( حرآن كبيران ) » » »
- ٦ » الهمس الحائرة ، تأليف فريد افدي حبيش
- ١٥ الدنيا في اميركا تأليف الاستاد امير ناطر
- ١٢ المراحعات تأليف الاستاد عباس محمود العقاد
- ٢٠-٢٥ انا تول فراس في مادلله ، تأليف سعادة الامير شكيب ارسلان
- ٢ ملقى السليل في مذهب الشتوء والارتقاء تأليف اسماعيل بك مطهر
- ٨ المعلم والصحة تأليف الدكتور محمد بك عبد الحميد
- ١ المرأة الحديثة وكيف نسومها بقلم الاستاد عبد الله حسين
- ٥ مركز المرأة ترجمة الاستاد سليم عقاد
- ١ عشرة أيام في السودان ، تأليف الدكتور محمد حسين هيكل بك

# في أوقات الفراغ

تأليف الكاتب الكبير

الدكتور محمد بك حسين هبكل

مدير جريدة السياسة

مجموعة مقالات مختارة مما كتبه هذا العالم الكبير

عن اتاتول فرانس وبييرلوتي وقاسم أمين وجورجي زيدان وغيرهم. ثم رسائل خاصة بمصر، منها خلاصة كتاب مستر كارتر عن قبر توت عنخ آمون، وقصصاً وأحاديث، كأبيس وسميراميس وحالد، وغير ذلك مما يصيق بما المقام عن الاسهاب في شرحه

ثم الدسحة ١٥ فرشاً واحرة للريد ٣٣ قروش

مختارات

## سلامة موسى

ليس بين كتاب مصر الآن من هو أصرح برأيه وأحرره من الاستاد سلامة موسى الذي يعرفه جميع قراء الصحف والمجلات فهو كثيراً ما يقتحم الميادين التي نخشى اقتحامها الملائكة، لا يبالى



أن يصرح برأيه في الدين وفي الاشتراكية وفي المرأة ، وفي مثل  
هذه الشؤون الاجتماعية ، غير متعمد في كل ما يكتبه اطهار براءة  
أو التماهي بمهارة ، وإنما عاينه التي لا يحيد عنها هي فائدة القارىء  
وليست هذه بالمره القليلة القيمة في وقت يرى فيه عدداً غير قليل  
من كتابائنا لا يعي من وراء كتابته الا أن يقول عنه الناس كما يقولون  
عن الهلوان « ما أروع ! » في حين كان يجب أن يقولوا « ما أضعه »  
ولسا شك في أننا بحكم جميع قراء العربية مجتمع هذه المقالات  
الهميسة ، وغيرها مما لم يبشر للآن ، حتى يتيسر للحيل الحديد  
قراءتها والانتفاع بها دون أن يحتاج الى الكد في البحث عنها في  
متفرق المحلات والصحف - ثمة ١٠ قروش مصريه

---

## مُقَرَّبُ الْأَسْوَدِ

### رواية غرامية تاريخية

قلم الكاتب الروائي الأشهر المرحوم  
طاب يومه

